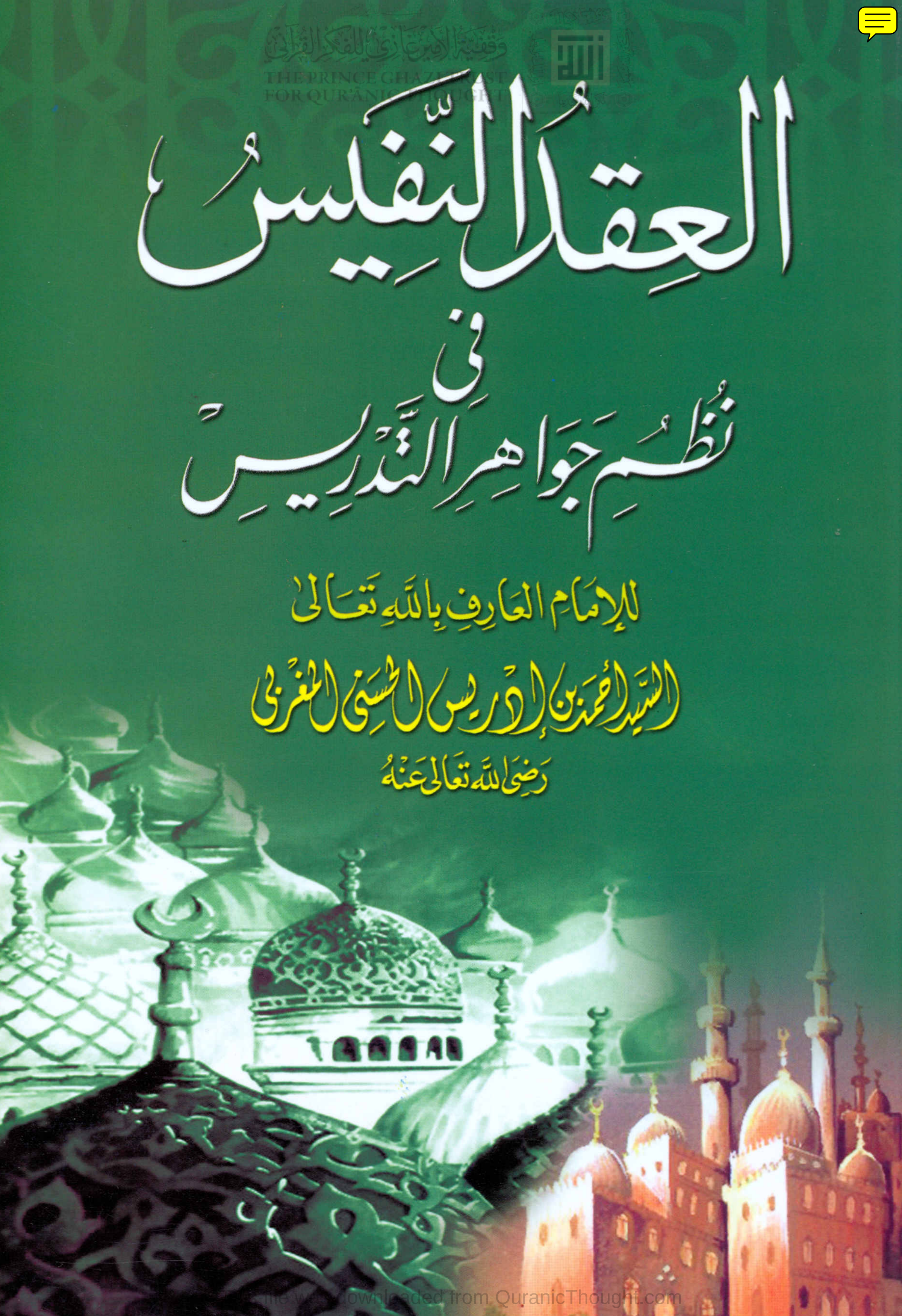

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
العقد النفيس
في
نظم جواهر التدريس
للإمام العارف بالله تعالى
السيد أحمد بن إدريس الحسني المغربي
رضي الله تعالى عنه
This file was downloaded from QuranicThought.com



للإمام العالم بالله تعالى

السيد أحمد بن إدريس الحسني المغربي

رضي الله تعالى عنه

الناشر : دار جوامع الكلم

١٧ شارع الشيخ صالح الجعفري ـ الدراسة

القاهرة - تليفون : ٥٨٩٨٠٢٩



ترجمــة

الإمام السيد أحمد بن إدريس

رحمــه الله تعالى

نسبــه :

هو - رضى الله تعالى عنه - بقية السلف وعمدة الخلف ، القطب الأوحد ، والفرد الأمجد ، الكامل الربانى ، والغوث الصمدانى ، واحد زمانه الذى ليس له فى عصره ثانى ، خاتمة العلماء المحققين ، الذى تفجرت ينابيع الحكم على لسانه ، وفاضت عيون الحقائق من خلال جنانه ، محيى معالم الطريق بعد دروسها ، ومظهر آيات التوحيد بعد أفول أقمارها وشموسها ، خلاصة أهل العرفان ، والمتحقق بمقام الإحسان ، صاحب العلم والتدريس سيدنا السيد أحمد بن إدريس ، الحسنى نسبا ، المغربى بلدا ، هو من ذرية الإمام إدريس بن عبد الله المحض من السادة الإدريسية الساكنين بالمغرب ، وهم أشهر من أن تذكر أخبارهم .

مولـده ونشأتـه :

ولد رضى الله عنه بقرية يقال لها « ميسورا » بالقرب من مدينة فاس . ونشأ رضى الله تعالى عنه من صغره مجبولا على الاجتهاد فى كسب العلوم بهمة عرشية ونفس زاكية مرضية ، فأخذ رضى الله تعالى عنه علوم الظاهر عن أكابر أهل عصره ، وجهابذة وقته ، حتى صار فى أوان شبابه إماما فى جميع علوم الظاهر . ثم أخذ رضى الله تعالى عنه الطريق عن

شيخه العارف بالله تعالى سيدى عبد الوهاب التازى ، وكذلك أخذ عن سيدى أبى القاسم الوزير وغيرهما من أئمة العصر ، ولم يزل على قدم التجريد حتى اتصل بصاحب الشريعة صلى الله عليه وآله وسلم .

قال رضى الله تعالى عنه : اجتمعت بالنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم اجتماعا صوريا ومعه الخضر عليه السلام ، فأمر النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم الخضر عليه السلام أن يلقننى الأوراد فلقننيها بحضرته صلى الله عليه وآله وسلم ..

مناظرة العلماء له بمكة وغيرها : قدم رضى الله تعالى عنه إلى مكة فى عام ١٢١٤هـ فأقام بها ١٤ عاما ، وصار رضى الله عنه يتكلم فى علوم التفسير والحديث بما يبهر العقول من أنواع العلوم والبلاغة وحسن التعبير.

وكان رضى الله تعالى عنه له قوّة فكر فى أخذ الدليل من الكتاب والسنة استنباطا وانتزاعا . ولم يكن له فى زمانه من يدانيه فى الحفظ وملكة الاستحضار، ولمّا حضر الشيخ أحمد الصاوى إلى مكة بقصد الحجّ ، أغراه أهل مكة على مسألة سيدى أحمد واختباره حسدا منهم ، فلما حضر بين يديه وسأله ، أجابه رضى الله تعالى عنه عن كل ما سأله ثم قال له : يا صاوى دع عنك هذا ، وعجل بالمسير إلى المدينة فقد قرب وقتك ، فودّعه وسار ؛ فلما وصل إلى المدينة المنوّرة انتقل إلى رحمة الله. وتعصب عليه علماء مكة وجمعوا له أحاديث موصولة ومقطوعة وضعيفة وصحيحة ، وخلطوا أسانيدها ، وجمعوا له مسائل من فنون العلم ليختبروه بها ، فلما جلسوا بين يديه أجاب كل واحد عن مسألته ورجع الأسانيد إلى الأحاديث ، وتكلم



في العلم بكلام صحيح يكاد يخرج عن طور العقل، تعجز عنه فحول العلماء.

وقد ذكر في بعض تراجمه أنه جلس رضي الله تعالى عنه ستة مجالس في ثلاثة أيام كل يوم مجلسين: مجلسا بعد صلاة العصر إلى المغرب، ومجلسا بعد صلاة الصبح إلى ما شاء الله من النهار، وقد سأله بعض الحاضرين بعد العصر عن قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ فأتى من علومه وأسراره بما أذعنت له القلوب ، وابتهجت به الأسماع ، وأيقنت أنه وحي معنويّ ، ثم عاد الرجل السائل صبيحة تلك الليلة وأعاد السؤال عن تلك الآية ، فكمل المجلس بنمط آخر أبهى وأبهر وأعلى وأفخر مما مضى ، ثم جاء الرجل بعد العصر أيضا وقال : يا سيدي ﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ فشرع رضي الله تعالى عنه بما كان أشدّ تأثيرا ووقعا في القلوب بنمط عجيب غير ما تقدم من الأسلوب الغريب ؛ ولم يزل الرجل يسأل عن تلك الآية بعينها إلى أن أكمل المجالس الستة في الأيام الثلاثة . ثم قال رضي الله تعالى عنه : لو عمرت ولبثت ما لبث نوح عليه السلام في قومه أتكلم على هذه الآية الشريفة في كل مجلس بشرط أن لا أعيد لكم ما سبق ، ما نفد .

وتكلم رضي الله تعالى عنه في زبيد بمحضر علمائها ومفتيها ورجالها اثنى عشر يوما يستغرق أوقاته في تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ الآية من سورة الأحزاب ، حتى كتبوا تفاسيره وتقاريره وكلامه على الآية فبلغت سبعين كراسا.

وصحبه رضي الله تعالى عنه في بلاد المغرب قبل قدومه مكة خلق كثيرون من الفضلاء والعلماء الأعلام ، وقد ظهر على يديه هناك جملة من

الكرامات يطول ذكرها ، وعرفوا فضله ومكانته من العلوم والعرفان .

وبالجملة فإن مناقب هذا الأستاذ لا تحصى ولا يبلغ أمدها ولا تستقصى، فإنه كان جامعا بين الشريعة والحقيقة ، له الباع الطويل فى جميع العلوم ، والشهرة التامة فى علمى القرآن والحديث رواية ودراية ، كشفا وتحقيقا أذعن بفضله الخاص والعام ، وأخذ عنه العلماء الأعلام أئمة العصر.

من أخذ عنه من العلماء : فممن أخذ عنه وصحبه العلامة الفاضل الأكمل السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل مفتى زبيد من أعيان علماء عصره، والمتفق على جلالة قدره فى العلم والعمل . ومنهم المحدّث الفقيه الشهير بالمناقب المأثورة ، شيخ علماء وقته بالمدينة المنوّرة الشيخ محمد عابد السندى صاحب الثبت فى الأسانيد المسمى بحصر الشارد فى أسانيد محمد عابد . ومنهم علامة وقته من الفضلاء الفحول ، الجامع بين علمى المعقول والمنقول ،العارف بالله تعالى السيد محمدالسنوسى ، مع أنه رضى الله تعالى عنه أخذ الطريق عن مشاهير الأولياء بأرض المغرب فى وقته ، فأخذ عن العارف بالله تعالى سيدى الشيخ العربى الدرقاوى ، والسيد أبى العباس أحمد التجانى رضى الله تعالى عنهما . ولما وصل إلى مكة المشرّفة أخذ عن سيدى أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه ، وأذعن له الإذعان التامّ وصحبه ولازمه ودلّ عليه ، وشهرة فضله وكماله تغنى عن وصف حاله . ومنهم العلامة الفاضل الإمام العارف بالله تعالى مربى المريدين ومرشد السالكين ، الشريف الحسينى ، سيدنا السيد محمد عثمان الميرغنى المكى. ومنهم العارف بالله تعالى سيدى الشيخ محمد المدنى ظافر من أعيان المدينة المنوّرة ووجوهها رضى الله تعالى عنه ، فإنه لما رجع من المغرب كاملا



مرشدا مأذونا من شيخه سيدى العربى الدرقاوى رضى الله تعالى عنه اجتمع بسيدى أحمد رضى الله تعالى عنه بمكة المشرّفة وأخذ عنه الطريق ، وأثنى عليه الثناء الجميل . ومنهم الشيخ محمد المجذوب السواكنى من أولياء السودان ، الشهير فى وقته بين الخلائق بالكشف الصادق والكرامات الخوارق ، أخذ عنه وصحبه مدّة مديدة ، وآخرهم أخذا العارف بالله تعالى صاحب الكرامات والتأييد الشيخ إبراهيم الرشيد . وله رضى الله تعالى عنه غير من ذكروا من الخلفاء والأتباع ما لا يدخل تحت حصر ، رضى الله تعالى عنهم وعنا بهم .

وبالجملة فإن ما ذكرته لك فى هذه المقدمة هو قطرة من بحر زخار، فعنه حدّث ولا حرج ، ولا يخفى على من يطالع أحزابه عظم قدره ومكانته، ولا سيما هذا الكتاب الذى هو جدير بأن يكتب بماء العيون لما أورد فيه من درر المسائل التى خلت عنها معظم المؤلفات ، رضى الله تعالى عنه ونفعنا به وأعاد علينا وعلى جميع المسلمين من عظيم بركاته آمين ..

وفاته رضى الله تعالى عنه : وكانت وفاته رضى الله تعالى عنه بأرض اليمن بقرية يقال لها « صبيا » ، وذلك فى ليلة السبت ، ودفن صبيحة ذلك اليوم .. يوم ٢١ رجب سنة ١٢٥٣ من هجرة سيد المرسلين ، أمطر الله عز وجل على ضريحه الأنوار وصيب الرحمة والرضوان .



مقدمة

بقلم جامع الكتاب

أحد تلاميذ سيدى أحمد بن إدريس المقربين

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد حمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وآله وأصحابه أجمعين ، فإنى مقدم مقدّمة بين يدى هذه الكراريس ، يزول بها إن شاء الله عن قلبى صدى التلبيس ، وهو أنى لما نظمتنى بحمد الله تعالى يد عنايته فى عقد نظام التدريس ، وساقتنى سياط القدر إلى حضرة بانى ما اندرس من معالم الدين على أحسن تأسيس ، إمام العلماء العاملين وواسطة عقد الأولياء السالكين ، سيدى الإمام الأعظم الشيخ الأفخم « أحمد ابن إدريس » أعاد الله علينا من بركاته ، وتولى الله عنا مكافآته وسلك بنا طريق أوليائه ، وألحقنا بصالحى أمة خاتم رسله وأنبيائه ، محمد سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه ، أردت ولله الأمر جميعا ، أن أثبت فى السطور وإن لم أكن أهلا للتصدير ما أورد من فوائده ، وأصدّر ما صدر من شوارد مصادره وموارده ؛ لكن لما لم تكن لى أهلية للغوص فى بحار بواطنه وتيار ظواهره ، لاستخراج ظواهر أصدافه وأصداف جواهره صرت أقدّم رجلا وأؤخر أخرى ثم استخرت فوجدت التحرير أولى وأحرى

لتكمل إن شاء الله الفائدة ، وتعود على الموصول العائدة ، ولأمر أقدمنى على ذلك ، وجرّأنى على ما هنالك ، وهو أنه رضى الله تعالى عنه بين أظهرنا نغدو إليه ونروح ، وبدر فى سماء العلياء على رؤوس الأشهاد يلوح ، فاذا مثلت بين يديه ، وصرت واقفا لديه ، عرضت عليه ما نقلته ، وأسمعته مامن كلامه عقلته ، فما أجازه ثبت فى رَقّ التحرير ، وما كشط عن صدوره محى عن التصدير ، أو نصلح ما أمر بإصلاحه ، أو بإثبات أرواحه ، وتعويض أشباحه ، لأنى لم أنقل منه ما سمعته حال إملائه ، ولا اغترفت من زخاره حين إلقاء دلائه ، بل أضبط بذهنى السقيم ما أمكننى من إبراز معانى عباراته ، وأسبكه فى قالب لفظ ناقص عن لفظه بجميع جهاته ، فربما آتى بلفظ لا يعبر عن تلك المعانى أو لا يفى بها ، وربما شردتها عن مجتمعات سِرْبها فتصدّيت لما قلت آنفا مقرّا بالتقصير ، عارفا مستعينا بعون المستعان ، متكلا على من عليه التكلان . وسميتها :

العقد النفيس
فى نظم جواهر التدريس

لسيدى أحمد بن إدريس

نفعنا الله عز وجل به آمين ..

بسم الله الرحمن الرحيم

أول الكتاب

الحمد لله ربّ العالمين ، وصلى الله وسلم على رسوله الآمين ، وآله الطاهرين ، وصحبه أجمعين ..

وبعد ..

فهذا ابتداء الكلام على نقل ما سمعته من الشيخ سيدى أحمد بن إدريس ، أزاح الله بشمس علمه ظلم التلبيس ، وهدانا لاقتباس نور علمه ، ورزقنا حفظ ما قنص من شوارد المعانى بشباك ذوقه السليم وفهمه ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ـ ﴿ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

سئل رضى الله تعالى عنه : ما معنى الدعاء المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اللهمّ رضنى بقضائك حتى لا أحبّ تأخير ما عجلت ، ولا تعجيل ما أخرت » ؟

فأجاب : إن معناه التسليم لله تعالى حتى أن المصيبة العظيمة تكون عند وقوعها أحبّ إليك من عدم وقوعها ، وإن كانت النفس لا تشتهى إلا عدم وقوعها ، فإن الخير لك فى وقوعها باعتبار المآل ، فإن الله سبحانه لا

يفعل إلا ما يعود عليك نفعه ، فإن المصائب مثلا مقدمات للنتائج ، لو اطلعت عليهنّ لتمنيت وقوع المصيبة عند عدم وقوعها ، فإن الله سبحانه جعل الوجود خيرا من العدم ، فأوجدك من العدم بحيث لم يكن لك اختيار ، فكن فى الوجود كأنك فى العدم ، وربما منع عنك ما نفسك وهواك يشتهيانه ولكن الخير لك فى منعه ، ألا ترى أن الصبىّ ربما أنس إلى النار فسعى نحوها والمشفق عليه يدرؤه عنها فيبكى من ذلك المنع ، ولكن لو علم أنها تحرقه حمد المانع له بعد سعيه إليها ، وذلك التسليم هو الذى أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوب حيث قال تعالى : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ ثم قال : انظر إلى تسليم أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه لما مرض المرضة التى مات فيها ، قيل له : هل نأتى لك بطبيب ؟ فقال : الطبيب أمرضنى ، يعنى أن الطبيب الأعظم وهو الله جلّ وعلا أمرضنى ، فعلمت أن ذلك المرض عين الطبّ .

ثم انظر إلى إبراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام لم يسأل ربه حين رماه النمروذ فى النار ، بل لما تعرّض له جبريل عليه السلام وهو فى الهواء قال له : ألك حاجة ؟ قال : أما إليك فلا ، وأما إلى الله فبلى ، قال : سل ربك ، قال : علمه بحالى يغنى عن سؤالى ، فهذا غاية التسليم عند وقوع الحادثة .

وأما عند كون الدعاء عبادة فدعاؤه عليه الصلاة والسلام كثير كما فى قوله : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) وَاجْعَل لِّي لِسَانَ

صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ فتأمل موافقته للمقام ومطابقته للحال .

ثم سئل رضى الله تعالى عنه : ما الدليل على وجود الحقّ سبحانه وتعالى ؟

فأجاب : أن انظر إذا خرجت إلى البرّ فرأيت هناك خيمة أنت تعلم أن لها ناصبا لأنها لا تنصب نفسها علما ضروريا ، كذلك تنظر إلى خيمة السماء المرفوعة بلا عمد بهذا الإتقان والإحكام ، فتعلم علما عقليا ضروريا أن لها صانعا سبحانه وتعالى ، وهو لا يتحيز جلّ وعلا فى مكان . وانظر إلى السمن فى اللبن لا يتحيز فى جهة ، بل هو فى جميع أجزائه ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ .

وسئل رضى الله تعالى عنه : هل صحّ أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة .

فأجاب : إن ذلك من عند خلق آدم ، وأما الدنيا فلا يعلم ابتداء خلقها إلا خالقها .. « فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سأل جبريل عن عمره فقال : لا أعلم غير أن كوكبا يطلع فى الحجاب الرابع فى كل اثنين وسبعين ألف سنة مرة ، وقد رأيته اثنين وسبعين ألف مرّة فقال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم: وعزّة ربى أنا ذلك الكوكب » فسبحان العالم لا إله إلا هو.

وسئل رضى الله تعالى عنه عن القدر؟

فأجاب : أن لا يملك الإنسان لنفسه نفعا ولا ضرا ، ويقول الله تعالى

فى كتابه العزيز: ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ﴾ وقال تعالى حاكيا عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ ، ثم لما نسب المرض إلي نفسه التى لا تنفع ولا تضرّ أعقبه بالدعاء بغفران ذلك الذنب فقال : ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾. وزعم بعض المفسرين أن الخطيئة هى أنه قال عليه الصلاة والسلام : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾ وهو كذب ، وليس كذلك فإنه معصوم ولا يجوز عليه الكذب ، بل المعنى : بل فعله كبيرهم وهو الله جلّ وعلا ، لأنه إله الآلهة وهم مقرّون بالحقّ جلّ وعلا ، ويقولون : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾.

فأجاب على ما عندهم مطابقة للمقام ، فقال : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ ﴾ وقوله : (هذا) مبتدأ محذوف الخبر : أى هذا قولى ﴿ فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾ .

وسئل رضى الله تعالى عنه عن قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ إلى آخرها ؟

فأجاب: هم الذين يصلون وقلوبهم مشتغلة بغير الله سبحانه وتعالى انظر إلى المصلى إذا توجه إلى غير الكعبة هل تصحّ صلاته ؟ كذلك إذا توجه بقلبه إلى غير الله تعالى ؛ بل توجهه بقلبه إلى الله تعالى أحقّ من أن

يتوجه بقالبه إلى الكعبة ، فوصفهم سبحانه وتعالى بأنهم عن صلاتهم ساهون ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴾ يعني يصلون بقوالبهم لا بقلوبهم ألا يراءون؟ ، والرياء : هو الشرك ، نسأل الله السلامة والعافية ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ وهو الإناء ، يعني أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم وخلق قلبه إناء له سبحانه وتعالى فمنعه وشغله بغيره ، وكذلك جميع الذات لم يخلقها الله تعالى إلا ماعونا : أي إناء لذكره وعبادته ، بدليل قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ .. وقوله تعالى لموسى : ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ فإذا منعتها مما خلقت له وشغلتها بغير ما خلقت له فأنت ممن يمنع الماعون ؛ وما فسر المفسرون في الماعون داخل تحت هذا المعنى ، فإن يعقوب عليه الصلاة والسلام لما اشتدّ حبه ليوسف والقلب لا يسع إلا الواحد فرّقه عنه تأديبا له ثم خفي عليه وهو في الجبّ بالقرب منه لما أراد أن يفرّقه عنه ، وحين أراد اتصاله به وجد ريحه من مصر إلى كنعان ، فسبحان القادر لا إله إلا هو . وكذلك إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما عظم في قلبه حبّ إسماعيل وذلك لكونه بشر به وقد بلغه الكبر وامرأته عاقر ، فبلغ به الحبّ إلى الغاية ، فبلاه الربّ جلّ وعلا بذلك البلاء العظيم وهو ذبحه له فسلم غاية التسليم ثم فداه الله سبحانه بذبح عظيم ، وهذا كذلك لكون القلب لا يسع إلا الواحد ، مع كونه قد عظم حبّ إسماعيل فابتلاه بذلك ليخلي قلبه له جلّ وعلا . والذبيح إسماعيل بلا شكّ ، لا كما قيل هو إسحق لثلاثة أدلة :

الأوّل : أن الله سبحانه وتعالى ذكر قصة الذبيح إلى آخرها ثم قال : ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ ﴾، وذلك الترتيب في كتاب الله تعالى تقتضي الحكمة فيه ذلك .

الثــاني: أن إسحق لم ينقل أحد ولم يسمع أنه سكن مكة بخلاف إسماعيل ، فالنصّ القرآني: ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ ، ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾ والذبح وقع بمنى .

الثــالث: أن الله سبحانه وتعالى بشر إبراهيم بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب فى حالة واحدة ولو كان إسحق لما صحّ الابتلاء وهو يعلم أن فى صلبه يعقوب كما بشره الله به .

وسئل رضى الله تعالى عنه عن الحقّ تعالى : هل يرى ؟ فقال : نعم بلا كيفية وتتلاشى عند رؤيته الحواسّ ، فإن رآه رآه بجميعه ، وإن سمعه سمعه بجميعه لا بجارحة فقط ، ولهذا قال ابن الفارض :

إذا ما بدت ليلى فكلى أعين　　　وإن هى ناجتنى فكلى مسامع

وسئل رضى الله تعالى عنه عن أهل الطريقة : هل جميعهم عارفون بالشريعة ولا يفتون إلا بها ، أم لا ؟

فأجاب: إن منهم من يكون عالما ومن لا يكون ، إنما العالم منهم يكون نطقه إذا أفتى بالكتاب أو بالسنة ، والذى ليس بعالم قد يأتى بلفظ يصيب به المعنى المقصود من الشارع لكن بعض إصابة ، وقد يخطئ بذلك اللفظ المعنى الذى أراده الشارع لأنه ليس بمعصوم ، إذ لا يكون معصوما إلا كلام الله أو كلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ؛ ثم قال : والفرق بين المعجزة من النبى والكرامة من الولىّ أن المعجزة تكون على جهة التحدّى والإعجاز ، ليعلموا أن تلك المعجزة لا تدخل تحت طوق البشر . وأما الكرامة

فتنقسم إلى قسمين : باختيار الوليّ ، وبغير اختياره ؛ فالتى بالاختيار كشرب خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه للسم ، لأنه رمى بقطرة من ذلك السم بعير فتفتتت أعضاؤه ، فتناول الإناء الذى فيه السم وشربه جميعه والقوم ينظرون ، فهذه باختياره متيقنا أنه لا يضره ، لأنه لو شربه غير متيقن أنه لا يضرّ كان آثما ، لأن قتل النفس حرام ، وكما اتفق للشيخ محيى الدين بن العربى حين جاءه رجل يعتقد أن التأثيرات للطبائع فى الثمار وفى المخلوقات، فدارت المذاكرة فى إلقاء النمروذ لإبراهيم عليه الصلاة والسلام فى النار ، فقال ذلك الرجل : ليست النار هذه التى تحرق بالطبع ، إنما هى نار الغضب وليس هناك نار تتأجج ، فقال الشيخ محيى الدين : أهذه النار التى تراها هى التى تحرق بالطبع؟ قال : نعم ، فقال لبعض أصحابه : هات تلك النار ، ثم مدّ كمّ قميصه وقال : ألقها على كم القميص ، فألقاها وجعل يحدّث ساعة ثم كشف كمه وإذا النار قد عادت فحما ولم تحرق شيئا من ثوبه ذلك ، فكانت سبب توبة ذلك الرجل، وما أبداها إلا لهذا الغرض ، إذ لو كانت على جهة التفاخر لكانت مذمومة عقلا وشرعا ، فإن رجلا منهم جاء إلى رجل يتصيد الحوت فى البحر ولكنه لم يقبض شيئا ، فأدخل ذلك الوليّ يده فى الماء فخرج فى كل شعرة من شعر يده حوت فقال ذلك الصياد وهو منهم : أتفخر عليّ ، ثم أومأ إلى البحر أن هيا الرواح ، فجعل الماء يمشى بعده ، فكلا الرجلين بقيا زمانا يجاهدان فى أن يعودا إلى الدرجة التى كانا فيها فما أمكن .

وسئل رضي الله تعالى عنه عن قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ .

قـــال : العفو : هـو أن تعفو عمن أساء إليك ، وإذا كنت كذلك فقد اتصفت بصفة من صفات الله تعالى ، فحقا عليه أن يعاملك بما اتصفت به. ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ لا كما قيل من أن العفو هو ما فضل من القوت ، بل قال الله تعالى : ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ ومنه ذلك العفو لأنه أحبّ ما يكون إلى الإنسان سيما عند احتياجه إليه فى يوم القيامة والقرآن يخدم بعضه بعضا .

وقال رضى الله تعالى عنه: إنّ كان إذا دخلت على اسم من أسماء الله تعالى فإن عملت فى الاسم الرفع وفى الخبر النصب فلا تسمى ناقصة تأدّبا ، إنما يقال لها الحرف الرافع للاسم الناصب للخبر ، وإذا لم تعمل سميت التامة ، وكذلك الذى تسميه النحاة زائدا لا يقال له فى القرآن زائد وليس بزائد ، بل تحته معنى نحو قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا ﴾ بقيت ما هنا النافية لتؤدى معنى ، وهو أن يبقى فى الإثبات شمّ من النفى لأنهم ماجاءوها هم باختيارهم ، إنما سيقوا إليها : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾ فبقيت النافية لتؤدى هذا المعنى، وكذلك قولهم فى قوله تعالى : ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ إنّ من هنا زائدة وليس كذلك تعالى الله ، بل لا يستقيم المعنى إلا بها ، لأن قوله : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ أى من مثل عبدنا فالضمير راجع إلى عبدنا ، ولا يصحّ المعنى إلا بها ، فتأمل ..

وكذلك قوله تعالى : ﴿ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ فهى وإن كان المعنى للثبوت لكن أتى بالنافية هنا ليبقى للنفى شم وهو يؤدى

معنى أنهم غير واثقين بالتقوى منهم ، وذلك شأن المؤمن ، فإنه ورد فى حديث بعض السلف أنه عرف كذا عددا من الصحابة كلهم يخشى على نفسه النفاق، ذكره البخارى ، فتأمل فائدة الإتيان بـ(ما) .

وقال رضى الله تعالى عنه فى العالم الإنسانى : ما أشرف هذا الجوهر لو عرف بقدره ، فإن الإنسان إذا ملك جوهرة نفيسة يحرص عليها غاية الحرص ويضنّ بها فيضعها فى صندوق [وهذا النوع الإنسانى تحيط بـــه][(١)] من فوق سبع سماوات ومن تحت سبع أرضين وهو فى بطنهن وجميع ما فيهنّ مسخرات له قائمات فى خدمته شجر الدنيا وحجرها ومدرها وحيواناتها وجميع ما فيهنّ مسخرات له قائمات فى خدمته ، وجامدها ومائعها ، ونجوم السماوات وشمسها وقمرها وسحابها ومطلعها وما فيها حتى الملائكة أسجدها له ، ومن أبى منهم صار طريدا بعد أن كان قريبا ، ملعونا بعد أن كان فى جيش الملائكة ، وجميع الملائكة فى السموات حتى حملة العرش فى خدمته : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

ثم لما أهبط الله آدم إلى الأرض قال للملائكة : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي

(١) زيادة يستقيم بها سياق العبارة ، وليست فى الأصل .

الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ هنا ذكروا المساوئ ولم يذكروا المحاسن مع أن فى بنى آدم محاسن كثيرة . لكن حملتهم الغيرة على التكلم بذلك . وحق لهم أن تعتريهم الغيرة على الخلافة ﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ ولما أراد أن يظهر لهم سرّ الخلافة علمّ آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال : ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أى فى زعمكم ذلك قالوا : ﴿ سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ هذا كان موضعه عند قوله ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ وهذه الآية وهى قوله : ﴿ سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ ينبغى لكل طالب للعلم أن يقرأها عند ابتداء كل حضور فى موقف شيخه وبالله التوفيق .. لأن الملائكة لما قالوها كذلك أمر آدم أن يعلمهم الأسماء ، لكنه(١) أهمل نفسه ووضعها فى غير موضعها وتكلف ما لا يعنيه وتحمل مشقات من الدنيا لم يخلق لها كما قال تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ فما أحسن هذا الشاهد فى حقه وقد أثقله الحمل ولا شيء على ظهره .

وقال رضى الله تعالى عنه فى الصحابة رضى الله تعالى عنهم: هم مخصوصون بأمور لا تعمّ جميع الأمة ، فلا يقول العالم : أحكم باجتهادى وأقيس عملا بقول معاذ رضى الله تعالى عنه حين بعثه النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن وقال له: « بم تحكم ؟ قال: بكتاب الله ، قال : فإن لم تجد؟ قال : فبسنة النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم : قال : فإن لم تجد ؟ قال: أجتهد رأيى » لأن معاذا قال فيه النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم : « أعلمكم بالحلال والحرام » . وجاء فى الحديث « إنه يحشر يوم القيامة فى مقام

(١) هذا استدراك على قوله سابقا : (ما أشرف هذا الجوهر ..) .

العلماء ، والعلماء بعده بقدر رتوة [١] حجر » وفى بعض روايات هذا الحديث أنه قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن قال : أجتهد رأيى « فتثبت حتى تعلم أو تكتب إليّ » فلا يجوز للعالم الآن أن يجتهد رأيه فى حكم من الأحكام أو يقيس لأنه يحكم بما لا يعلم لما فى حديث مسلم « حاكم فى الجنة وحاكمان فى النار ، فالذى فى الجنة رجل علم الحقّ وعمل به ، واللذان فى النار : رجل حكم بالجهل ، ورجل علم الحق ولم يحكم به » ، فهذا الذى حكم بالجهل وإن طابق الحق لكن لا يعلم به وهذا الحاكم برأيه إذا قلت له : أتحلف بالله العظيم إنه الحقّ ، فإن بذلها فلا بد أن تطالبه بدليل ولا يكون إلا من الكتاب أو السنة وإن رجع علم أنه ما بين الخطأ والصواب ، وما ألجأه أن يوقع نفسه فى هذه الورطة مع أنه فى النار إذا أصاب فكيف إذا أخطأ؟ فالحكم فى هذه القضية إما أن يكون فى الكتاب أو فى السنة، إنما هو مقصر فى البحث أو مسكوت عنه فهو عفو ، ألا ترى أن الحقّ تعالى نهى عن السؤال فى المسكوت عنه والكتاب ينزل فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴾ فإن من قبلنا سألوا نبيهم أن يبعث لهم ملكا ليقاتلوا فى سبيل الله . وكانوا فى فسحة غير مأمورين بالقتال ولا مكتوبا عليهم ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ ﴾ وذلك عقوبة لهم لأنهم ما طلبوا الملك إلا وكل منهم طامع أن يكون هو ذلك الملك ، فلما لم يكن واحدا منهم بل بعث فيهم طالوت وهو أفقرهم ولا كان منظورا بعين من يملك الملك بل هو أضعفهم : ﴿ قَالُوا أَنَّىٰ

(١) الرتوة : الرمية كما فى القاموس ا هـ مصححه .

يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ﴾ .
وفى مثل من أمثال الصوفية : لو نزلت قلنسوة من السماء لوقعت على رأس من لم يردها ، فإن طالوت لم يرد أن يكون ملكا ، فلو لم يسألوا لكانوا فى راحة من هذا كله ، ثم القليل اتبعوا الملك فابتلوا بالنهر ، وذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ فانظر إلى هذه العقوبة والحال أنهم سألوا أنبياءهم ما لم يكتب عليهم ، فكيف إذا سأل الرجل ما لم يكتب عليه؟ ، ثم أجاب من نفسه فالله المستعان .

ثم ضرب مثلا أن بعض الملوك كان مشغوفا بفرس فمرضت ، فقال: لو أخبرنى أحد بأنه مات لأضربنّ عنقه ؛ فلما مات قال بعض غلمانه : إن الفرس احتوى والتوى ومدّ قوائمه إلى الهواء ، فقال السيد: مات ؟ فقال الغلام : من فم سيدى سمعناها . فلا يقف الإنسان إلا عند الكتاب والسنة ، فإنهما لم يتركا شيئا ، بل هذه الشريعة ليلها كنهارها ، قال الله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد بين لنا الحلال والحرام وسكت عن أشياء رحمة بهذه الأمة ، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحدّ حدودا فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها » ، ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ وأيضا فإن الصحابى إذا حكم برأيه فهو إذا غلط رجع عنه لا محالة ، ولابدّ من عرضه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن ينزل ،

وأما الآن إذا غلط فمن يردّه إلى الصواب؟

ثم قال رضى الله تعالى عنه: « اعلم أن الجماعة المنبه عليهم بقوله « يد الله مع الجماعة » هم القافون أثر كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإن كان واحدا فإن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم كان وحده فى أوّل البعثة ، وكذلك إبراهيم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

ثم قال رضى الله تعالى عنه فى حقّ الصحابة : إنّ من رأى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم سمى صحابيا ولا يدخل النار، فقيل : إن أبا لهب رآه ، فقال : رآه أنه ابن أخيه ولم يره أنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والفوائد فى العقائد .

ثم قال : وإياك أن تخوض فى الصحابة بشىء فإن الجناب خطر ، قال تعالى : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

واعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فى علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه « اللهمّ من كنت مولاه فعلىّ مولاه » وجرى بينه وبين معاوية ماجرى فلا تنظر إلى ظاهر الأمر وانظر إلى حقيقته ، فإن معاوية رضى الله تعالى عنه من الصحابة ، وأيضا فإنه خال المؤمنين ، فأمّ حبيبة أخته وهى زوج النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم توفى وهى تحته بإجماع الأمة ، والنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أبو المؤمنين ، فإن فى بعض الآيات ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ

وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ وهو أب لهم ﴿ وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ فاذا عرفت فسأضرب لك مثلا : إذا جئت وأبوك وخالك يختصمان فإن عضدت أباك أغضبت أمك ، وإن عضدت خالك أغضبت أباك ، فإن كانا موجودين فالأولى لك أن تسعى بينهما بالصلح وإن قد سلف فقل ما ندبك إليه قول الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

وأيضا فإن الحلاج سأله بعض الناس ما الفتوّة ؟ فلم يجبه ، فلما حكم الحكام بقتله ، فحين قتل الحلاج خرج دمه جلالات ، فرآه السائل فى المنام وإذا هو فى موقف العرض وغرماؤه جميعا والحقّ تعالى يقول : هؤلاء غرماؤك فسل ما شئت نصنع بهم ، فقال : ربّ لا أسألك إلا أن تعفو عنهم ، ثم التفت إلى السائل فقال له : هذه الفتوّة ، كأنه أراد أن يكون الجواب بالفعل لا بالقول .

وقال رضى الله تعالى عنه: نوّه الحقّ جلّ وعلا بفضل نبينا صلى الله عليه وآله وسلم على سائر النبيين بأن ناداه فى جميع القرآن : بيا أيها النبىّ، يا أيها الرسول ، يا أيها المزمل ، يا أيها المدثر ؛ ونادى سائر النبيين بأسمائهم فقال تعالى: ﴿ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ﴾ ـ ﴿ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ ـ ﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾ ثم من لطفه سبحانه وتعالى أنه نادانا فى الكتاب العزيز بيا أيها الناس ، يا بنى آدم ، يا أيها الذين امنوا ؛ ولم يقل : يا أيها الذين كفروا إلا فى موضع واحد ، وذلك إنما هى حكاية عنهم يوم القيامة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ

تَعْمَلُونَ ﴾ وذلك معاملة لهم باللطف وعدم التنفير ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ ، ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً ﴾ ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يعاملهم بذلك ، فقال ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ وذلك لأن الصيد إذا نفر عسر صيده ، ثم أمرنا تعالى ألا نجادل أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم ، لأن حرف الاستثناء بمعنى الاستدراك وهو قوله تعالى ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ أى لكن الذين ظلموا منهم ، وأما غير الظالمين فهم الذين آمنوا منهم وقد صاروا إخواننا . ثم بين سبحانه وتعالى كيف يكون الجدال بالتى هى أحسن ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾.

وقال رضى الله تعالى عنه فى قول الله سبحانه وتعالى ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ أتى سبحانه وتعالى بلفظ أقيموا ولم يقل صلوا ، وذلك لأن الصلاة كالأعضاء وسائر الجسد، والخشوع روحها ، فاذا حصل الخشوع والحضور مع الحقّ جل وعلا صارت قائمة لأن الشيء لا يقوم إلا إذا كان له روح ، وأما إذا لم يكن له روح فهو ملقى هناك مرمى لا روح له يقوم به ، بل لا يقدر على الحركة وقوله : ﴿ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ و ومثله قوله : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ـ ﴿ والأمر يومئذ لله ﴾ مع أنه جلّ وعلا ملك الآخرة والأولى وله الأمر فى الابتداء والانتهاء ، لكنهم لما ادّعوا أن لهم فى الدنيا ملكا ولهم فيها أمرا سلم لهم على دعواهم سبحانه ما ألطفه تبارك وتعالى ، ساجلهم

سبحانه وتعالى على دعواهم لأنهم ادعوا أن لهم مالا فقال: سلمنا ، وعليكم منه الزكاة وهو العشر أو نصف العشر أو ربع العشر ، مع أنه قد قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾ ولهذا لم يملك الأنبياء شيئا لعلمهم أن ليس لهم شيء ، فما فى أيديهم جميعه لله ، هم وغيرهم فيه سواء.

قيل إن أحمد بن حنبل والشافعى كانا قاعدين ، إذ مرّ شيبان الراعى فقال أحمد بن حنبل : إنى أريد أن أسأل شيبان سؤالا ، فقال له الشافعى : لا تفعل ، قال : لابد ، قال : دونك وإياه ، فقال أحمد بن حنبل : يا شيبان فى كم الزكاة من الغنم ؟ فقال : على مذهبكم أم على مذهبنا ؟ فقال : أو هما مذهبان ؟ قال: نعم ، قال : أفتنى بهما ، فقال : أما على مذهبكم ففى الأربعين شاةً شاةٌ ، وأما على مذهبنا فلا يملك العبد مع سيده شيئا ، فالجميع حق الله تعالى ؛ وسأله أيضا عن المصلى إذا سها فى الصلاة بزيادة أو نقصان بم يصلحها ؟ فقال : على مذهبنا أو على مذهبكم ؟ فقال : أجبنى على كلا المذهبين ، فقال : على مذهبكم يجبر بالسجود ، وعلى مذهبنا هذا قلب غافل يجب تأديبه ، فخرّ أحمد مغشيا عليه .

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن الجلسة قبل القيام من وتر فى الصلاة وهى التى يقال لها جلسة الاستراحة ، **فقال :** هى السنة فمن لم يأت بها فقد خالف السنة ، لأنه قد ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم فى الصحيح ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ وقال صلى الله عليه وآله وسلم: « **صلوا كما رأيتمونى أصلى** » .

وأورد رضى الله تعالى عنه أحاديث عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم هى حقيقة أن تكتب بسواد العيون :

الحديث الأول : « ثلاثة يرضاهنّ الله لكم ورسوله : أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرّقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله عليكم ؛ وثلاثة يكرههنّ الله منكم ورسوله ، قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » ..

الحديث الثانى : « ثلاثة حقّ على الله أن يعينهم : رجل تزوّج امرأة ثقة بالله وتوكلا عليه ، ورجل استدان دينا ثقة بالله وتوكلا عليه فى قضائه ، ورجل فكّ رقبة ثقة بالله وتوكلا عليه » هذا اللفظ أو معناه .

الحديث الثالث : « ثلاثة يزوّجهم الله من الحور العين ما شاءوا : رجل اؤتمن أمانة شهية خفية فأدّاها من مخافة الله تعالى ، ورجل قرأ فى دبر كل صلاة قل هو الله أحد إحدى عشرة مرّة ، ورجل عفا عن قاتل » يعنى يكون العفو من المقتول أو من الولىّ .

وقال رضى الله تعالى عنه : كل مقدّم فى القرآن فهو الأهمّ بدليل قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما رقى الصفا « أبدأ بما بدأ الله به ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ » فإن تأخر الأهمّ فلنكتة .

وقال رضى الله تعالى عنه : فى العناية من الله سبحانه وتعالى ببعض عبيده لما قال الكهنة والمنجمون لفرعون : إنه يكون خراب ملكك على يد ولد من بنى إسرائيل فأمر بذبح الأبناء ؛ فلما ولدت أمّ موسى . موسى ألقته فى البحر خوفا عليه من الذبح فالتقطته امرأة فرعون وقالت له : ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ



لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ فقال فرعون: قرّة عين لك ، فلو سكت لكان قرة عين لهما ، ثم لما أخذته امرأة فرعون أبى أن يقبل ثدى مرضعة وذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ﴾ لهم أختــه ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ فردّه الله إلى أمه وكانت نفقتها عليه وتربية موسى على يد فرعون . وأما السامرىّ فلما خافت أمه عليه الذبح ألقته فى كهف فى جبل ، فتولى جبريل عليه السلام تربيته وصار بعد كافرا، وفى ذلك يقول الشاعر:

فموسى الذى رباه جبريل كافــر ... وموسى الذى رباه فرعون مرسل

كذلك سحرة فرعون جاءوا فى أول النهار يريدون أن يدحضوا حجة الله بالباطل ، وهذا شرّ أىّ شرّ ، فما غربت شمس ذلك اليوم إلا وقد صاروا فى أعلى مراتب الإيمان ، فإنه لما بعث فرعون فى المدائن حاشرين ليأتوه بكل سحار عليم ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٢)﴾ أجــري الحقّ سبحانه وتعالى ذلك على لسان فرعون هو أنه وقع لهم الأجر من ربهم وكانوا عنده من المقرّبين ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ (٤٣) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٤)﴾ فلما رأى موسى عليه الصلاة والسلام ذلك خاف كما فى آية طه : ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ وذلك الخوف ليس هو من ذلك السحر وهو كون الحبال والعصىّ صارت حيات ، ولكن خاف أن يلتبس الأمر على من لم يعرف ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَىٰ (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ



تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ ليس أنها ازدردت الحيات التى خيل إليه من سحرهم أنها تسعى ؛ وهى الحبال والعصى ، إذ لو كان كذلك لكان لهم مدخل فى قدح الحجة بأن يقولوا سحره أعظم من سحرنا ، فالتقمت عصاه حبالنا وعصينا ، كما أن بعض أنواع الحيوانات يأكل بعضها بعضا ، فان الحوت الكبير يأكل الصغير وكذلك الطير ولكنها أبطلت السحر ، فإذا العصىّ والحبال ملقاة هناك لم تتحرّك ، بل حبال وعصىّ على أصلها ، فلم يبق لهم عذر ولحقهم الخزى والفضيحة على رءوس الأشهاد لما صارت كذلك ، فما بقى إلا أن ألقى السحرة سجدا : أى ألقاهم الله سبحانه وتعالى : ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَىٰ (٧٠) قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ (٧١) قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ﴾ أى وعلى الذى فطرنا وقدم البينات هنا على الذى فطرنا لكونها السبب ﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ ولم يقولوا والآخرة خير وأبقى ، أو والجنة خير وأبقى ، وذلك لقوة إيمانهم قد تعلقت قلوبهم بالله سبحانه وتعالى ، فانظر كيف جذبتهم العناية فى أسرع وقت ، اللهمّ عناية من عندك ياربّ العالمين .

وقال رضى الله تعالى عنه : أعظم الرزايا على هذه الأمة ثلاث :

الأولى: « لما اشتدّ المرض على النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قال:

« ائتونى بدواة وقرطاس أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده »، فما فعلوا وكثر منهم اللغط عنده صلى الله عليه وآله وسلم ، فعوقبوا بأن قال لهم : « قوموا عنى » .

الثانية : « أن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لما جاء رجل إليه فقال : ألست تحدّث نفسك أنك خير هؤلاء؟ يعنى الصحابة ، قال : بلى ، ثم ذهب ذلك الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من يقوم فيقتله ، فقام أبو بكر رضى الله تعالى عنه فوجده قد خطّ خطا وصلى ، فقال : لا أقتل رجلا يصلى وهو يناجى ربه ، ثم قال : من منكم يقوم إلى الرجل فيقتله ، فقام عمر رضى الله تعالى عنه فقال : أنا يارسول الله ، فمضى فوجده يصلى ، فقال : إن أرجع فقد رجع عنه من هو خير منى لا أقتله وهو يصلى ، فهلا سمع قول النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم من يقوم فيقتله بعد أن قال أبو بكر هو يصلى ، فقال : أيكم يقتل الرجل ، فقال علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه : أنا يا رسول الله ، فقال : أنت له إن وجدته وما أظنك تجده ، فجاء فلم يجده ، فقال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم : لو قتلتموه لكانت أوّل فتنة فى الإسلام وآخرها وما اختلف فى أمتى اثنان ، وذلك الرجل هو رأس الخوارج » .

الثالثة : « جاء النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يعلمهم بليلة القدر فتلاحى اثنان من أصحابه ، فقال : إنى خرجت لأعلمكم بليلة القدر ، لكن لما تلاحى فلان وفلان رفعت وعسى أن يكون خيرا لكم ، وقال : لما اختلف اثنان من أمتى رفع علمها وبقيت خافية فى العشر الأواخر من رمضان » .

وسئل رضى الله تعالى عنه : إن إبليس يجيء للإنسان بوساوس يشغله بها في أمر دينه ، وربما جاء في الصلاة ، **فقال** : لا يضرّه ذلك فإن التسلط هو أن يفسد على الإنسان دينه ليس التسلط مجرّد الوسواس ، فإن الصحابة رضى الله تعالى عنهم شكوا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا : يا رسول الله إن الشيطان يوسوس لأحدنا ما نتعاظم أن نتكلم به ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : « أوقد وجدتموه ؟ قالوا نعم ، قال : ذلك محض الإيمان » وذلك لأن إبليس كاللص ولا يتسوّر اللصّ إلا على البيت العامر أما على الخراب فلا يرجى فيه شيئا يأخذه ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ** ﴾.

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن التوكل فقال : قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ** ﴾ وذلك أنهم علموا أن النصر لا يكون إلا من الله تعالى : ﴿ **إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ** ﴾ فوكلوه وفوّضوا ولم يعترضوا لأن الموكل لا يعترض على الوكيل إلا لأحد أمرين : إما أن يكون متهما للوكيل بنوع خيانة ، أو أنه ليس عالما بالمضارّ من العدوّ فيدفعها ، أو غير عالم بجلب المنافع لموكله فيجلبها ، وكل ذلك غير مجوّز على الله ، تعالى الله علوّا كبيرا ، فلما صدقت الوكالة له جل وعلا لم يتكلوا على كثرة ولا اكترثوا من قلة فنجّاهم من عدوّهم ونصرهم عليهم ، وفي يوم حنين يقول الله تعالى فيهم : ﴿ **وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ**

كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ وذلك لأنه أصابهم ما أصابهم لأنهم اتكلوا على أنفسهم فوكلوا إليها فانهزموا ولم يبق إلا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فعمت المصيبة جميع الصحابة ولم يتكلم بتلك الكلمة إلا البعض وهى قولهم : لن نغلب اليوم من قلة، فانظر إلى هذه المصيبة أصابتهم من الله سبحانه وتعالى، لكنها فى الحقيقة من أنفسهم : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ ثم انظر إلى الحسنة ما تكون إلا من عند الله سبحانه ابتداء ، فإنك إذا فعلت الحسنة فمن أقدرك عليها ؟

لك الحمد يا ربى على كل نعمة

ومن أعظم النعماء قولى لك الحمد

وقال رضى الله تعالى عنه : من لطف الله تعالى وحسن خطابه لعبيده يقول لهم فى الجنة : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ ـ ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وجميع ما أسلفوا هو نعمة من الله سبحانه وتعالى ، لكن لما كان الخطاب بأنه مقابل لما أسلفوا ارتفع المنّ وكأنهم هم الذين جلبوا لنفوسهم تلك النعمة بما أسلفوا ، وذلك من تمام نعمته سبحانه وتعالى ، فإن الإنسان إذا حصلت له نعمة يرى أن سببها سعيه عظمت لذاتها عنده ، فما امتنّ سبحانه وتعالى عليهم فى هذا ، والمنة له ، فما أكرم هذا الربّ تبارك وتعالى ، فذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ مع أن المعنى غير مقطوع ، بل على حاله ، والله تعالى أعلم ..

وقال رضى الله تعالى عنه : لما كان يوم بدر نصر الله سبحانه وتعالى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجنوده ، وشاور النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه فى أمر الأسرى ، لأن الله أمره بقوله ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ فأجمع الصحابة رضى الله تعالى عنهم على أخذ الفداء إلا عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه فإنه أشار بقتلهم ، فعاتب الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ ﴾ والنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ما عمل بمشورتهم إلا بأمر الله سبحانه وتعالى حيث قال ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ وقد أجمع رأيهم على الفداء إلا عمر رضى الله تعالى عنه ، ثم هو مأمور بالعفو ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ﴾ وهو من خلقه عليه الصلاة والسلام المجبول عليه ، والله سبحانه أمسك الوحى فى تلك الحالة ليقضى أمره ، ثم بعد نزلت آية العتاب ، ثم بعدها ﴿ لَوْلا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ والكتاب الذى سبق هو قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ وهو سبحانه تعالى لا يخلف الميعاد ، ثم النتيجة قوله تعالى لأهل بدر (اعملوا ما شئتم فإنى قد غفرتِ لكم) ثم لما سبق فى قضائه من سعادة العباس وعقيل ومن أسلم منهم ، فلما كملت آية العتاب قال تعالى : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ تابعهم سبحانه وتعالى على حسب مرادهم لأن الغنائم فيما سبق كانت تنزل نار من السماء تأخذها ، فأحلها الله لهذه الأمة من ذلك الحين ، والغنائم أحلت لهذه الأمة ، إن الله جعل زينته والطيبات من الرزق فى الدنيا وفى يوم القيامة للذين آمنوا فاغتصب الكفار عليهم من التى فى الدنيا ،

والمغتصب عليه له أن يأخذ حقه أينما وجد ، إما بتسلق أو جهارا أو خفية ، كذلك ما اغتصبه الكفار على الذين آمنوا فلهم أن يأخذوه بأى وجه هو لمن سبق إليه . وأما ما كان فى يوم القيامة فهى للذين آمنوا لا يقدر عليها غاصب ولا يشاركهم فيها مشارك . قال سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ فهى لهم فى الدنيا لا لغيرهم . ثم قال ﴿ خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن النوم ألا يكون فى الجنة مع أنه معدود من اللذات فى الدنيا .

فأجاب : إن لوجوده فى الدنيا نعمتين ، ولعدمه فى الجنة نعمتين ، فنعمتا وجوده فى الدنيا أنه جعله سباتا ، والسبات ربطة للعقل ، لأن المجنون الذى قد ذهب عقله لا ينام ، النعمة الثانية الراحة من النصب، فإذا نام ذهب التعب .. « وأما اللتان فى الجنة عند عدمه : فإن أهل الجنة قد شاركوا الحقّ فى البقاء كما جاء أنه يكتب إليهم من الحىّ الذى لا يموت إلى الحىّ الذى لا يموت ، أما بعد : فإنى أقول للشىء كن فيكون ، وقد جعلتك اليوم تقول للشىء كن فيكون » وهو سبحانه وتعالى لا تأخذه سنة ولا نوم ، مع أن السنة هى أول النوم فقد يتوهم أن البارى تبارك وتعالى منزّه عن الاتصاف بالقليل ، ولا يكون له إلا الشىء الكثير من الأوصاف ، فقال : ولا نوم ، هذه فائدة قوله ولا نوم . والثانية يفوتهم عند النوم من النعيم العظيم ما لا مزيد عليه وذلك غبن ، فتأمل هذا والله تعالى الموفق .

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

فأجاب بما معناه : والذين آمنوا صدّقوا فاتصفوا بصفاتنا وتخلقوا بأخلاقنا ، فإن الله سبحانه هو المؤمن ، وعملوا الصالحات التي بلغوا بها إلى مقام « كنت سمعه وبصره » إلى آخره فإنا جعلنا فيهم قوّة وقدرة على عمل الصالحات التي يبلغون بها إلى هذا المقام ، فإنا لا نكلف نفسا إلا وسعها ، فلم يأمرهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بقوله « تخلقوا بأخلاق الله » إلا وهو يعلم أنه أقدرهم على ذلك ، وفى هذا تلميح إلى أن الله تعالى خلق آدم على صورته ، فمن بلغ هذا المقام ﴿ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ ، والجنة جنتان : جنة المعارف ، وجنة الزخارف ؛ فلا التفات إلى جنة الزخارف لمن كان من أصحاب جنة المعارف ﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ فى الدنيا والآخرة جعلنا الله منهم بفضله آمين ..

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن قول الله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾.

فأجاب بما معناه : أى أنها تعبد الله تعالى مأمورة بذلك ، قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ .

فهى مخاطبة بأمرين :

أحدهما عبادة الله والآخر تسخرها للإنسان ، فإنه ذللها سبحانه لبنى آدم وجعل منها متوحشا كالسبع ليعرف ما قد ذلل له منها ، فهى أمم أمثالنا تعبد الله وتوحده وتمجده ، وكذلك الجمادات فإنها تعبد الله وتسبحه.

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ ..

وقال سبحانه وتعالى في قصة داود عليه السلام : ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ ﴾ ، ففى الحديث « إن الأرض تلبى إذا لبى الحاج إلى أن تنقطع من كل جهة ، والمؤذن يشهد له كل رطب ويابس إلى منتهى صوته » وهل فى الأرض إلا رطب ويابس .

وقال رضى الله تعالى عنه : إن الحصى التى سبحت فى كفّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هى كذلك فى كل حالة ، وإنما هو كشف الحجاب عن مسامع الصحابة رضى الله تعالى عنهم فسمعوها ، فكانت من خرق العادات ، وقوله تعالى : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ إلى ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ أى تشهد للعباد وعليهم ، فكل بقعة تشهد بما صنع فيها العبد ولا تشهد بما شهدت به بقعة أخرى ، كالأذن لا تشهد بما رأته العين ، لأن ذوقها غير ذوق العين ، وكذلك سائر الأعضاء والجوارح ، فما من شىء فى الدنيا إلا وهو شاهد بالتوحيد يسبح بحمد ربه .

وقال رضى الله تعالى عنه : سخر الله سبحانه وتعالى جميع ما فى السموات والأرض لبنى آدم وهى جميعها ليست مفتقرة إلى ابن آدم أبدا ، وابن آدم مفتقر إلى جميع ما فى السموات والأرض ، فالله سبحانه وتعالى أعطى ابن آدم قبل سؤاله ، وإنما سؤاله بلسان الحال لا بلسان المقال ، فجميع ما سأل من كل ما هو مفتقر إليه قبل وجوده ، ثم خلق سبحانه وتعالى وأوجد أرزاق المسخرات له فهو رأس المخلوقات وسنامها ، ولولاه ما خلقت المخلوقات ولا دار الفلك . فالشمس وجميع الكواكب فى منفعته والدوابّ جميعها فى منفعته ، وما توحش منها كذلك لأن بتوحشها يعرف قدر المسخرات ، وما نزل من السماء كذلك وجميع ما يخرج من الأرض، والملائكة يستغفرون لهم ؛ فالإنسان يذنب والملائكة تنوب عنه ؛ فقسم سبحانه ذكر الملائكة بينه وبين بنى آدم قال : ﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ثم زاد فى كيفية استغفارهم ودعائهم لهم ، فقال سبحانه وتعالى على ألسنتهم ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ إلى قوله ﴿ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ فهم يستغفرون للذين تابوا ، وهم يشفعون لمن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرّياتهم ، وأسجدهم له وهو فى صلب أبيه ، فابن آدم له عند الله هذا الشأن ، وخلق من أجله جميع المخلوقات فسخرها له وخلقها له وهو يعبد ما خلق من أجله ويعرض عمن خلق له ، فكيف هذا السقوط من الثريا إلى الحضيض ؛ نسألك اللهمّ عافيتك .. اللهم اشغلنا بعبادتك عن عبادة من سواك يا أرحم الراحمين .. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ؛ ثم الجمادات كالأحجار والأشجار والأرض جميعها تدعو لبنى آدم وتستغفر لهم وتشهد لهم بأعمال البرّ كتلبية الأرض إلى منتهاها للملبى



بالحجّ ، وشهادة كل رطب ويابس للمؤذن إلى منتهى صوته وغير ذلك مما لا يحصى ، فسبحان الكريم ما أكرمه على عبيده .

ومن فوائده رضى الله تعالى عنه فى كيفية الصلاة على النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم : اللهمّ صلّ وسلم وبارك على مولانا محمد وعلى آله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علمك .. اللهمّ إنى أسألك إيمانا دائما ، وأسألك قلبا خاشعا ، وأسألك علما نافعا ، وأسألك يقينا صادقا ، وأسألك دينا قيما ، وأسألك العافية من كل بلية ، وأسألك دوام العافية ، وأسألك تمام العافية وأسألك الشكر على العافية ، وأسألك الغنى عن الناس ..

ومن فوائده أيضا رضى الله تعالى عنه : اللهمّ إنى أسألك بنور وجه الله العظيم الذى ملأ أركان عرش الله العظيم وقامت به عوالم الله العظيم أن تصلى على مولانا محمد ذى القدر العظيم ، وعلى آل نبىّ الله العظيم بقدر عظمة ذات الله العظيم ، فى كل لمحة ونفس عدد ما فى علم الله العظيم ، صلاة دائمة بدوام الله العظيم ، تعظيما لحقك يا مولانا يا محمد ، ياذا الخلق العظيم ، وسلم عليه وعلى آله مثل ذلك ، واجمع بينى وبينه كما جمعت بين الروح والنفس ظاهرا وباطنا ، يقظة ومناما ، واجعله يا ربّ روحا لذاتى من جميع الوجوه فى الدنيا قبل الآخرة يا عظيم ..

وقال رضى الله تعالى عنه: من أراد الله سبحانه به خيرا رزقه الأدب معه فإن إبليس أذنب حيث لم يسجد لآدم ، فترك ما أمره الله ، وآدم عليه الصلاة والسلام أذنب حيث أكل من الشجرة ففعل ما نهاه الله عنه ، لكن لما قال سبحانه وتعالى لإبليس : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ

أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ والعالين هم ملائكة لم يؤمروا بالسجود إنما هم هائمون فى الله لا يعرفون غيره وهو ليس منهم ، فما بقى إلا أنه استكبر ، فبين استكباره بأن قال : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ فنسب إلى الحق سبحانه الظلم لأنه جعل نفسه خيرا منه ، وسجود الأعلى للأدنى ظلم ، فأضاع الأدب أىّ إضاعة فكان سبب طرده ولعنه ، وآدم عليه السلام لما قال له الحق سبحانه وتعالى ولزوجه : ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٢) قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .. فلزما الأدب واعترفا بذنبهما ولم ينسبا الظلم إلا إليهما ، فغفر سبحانه وتعالى لهما . وانظر أيضا إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام حيث دعا ربه سبحانه وتعالى حيث قال : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾ .. ثم لزم الأدب ههنا ولم يقل : وإذا أمرضنى فهو يشفين ، بل قال ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ فنسب المرض إليه تأدبا مع الحقّ سبحانه وتعالى ، ثم خاف عند ذلك فخشى أن يكون بسلوكه فى طريق الأدب قد وقع فيما لا يليق بجلال سيده سبحانه وتعالى بأن نسب المرض إلى نفسه فقال : ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ فجعل نسبة المرض إليه خطيئة .

وانظر أيضا إلى الخضر عليه السلام حيث نبأ موسى بما لم يستطع عليه صبرا فقال: ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ فعند ذكر العيب هنا قال : فأردت وأتى بالضمير المفرد ، ونسب

العيب للسفينة إلى نفسه ، وذلك تأدبا مع مولاه سبحانه وتعالى ، وقال في قتل الغلام ﴿ وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا ﴾ فأتى بالضمير لاعلى صيغة الإفراد لأن في قتله على أبويه حزنا وكربا في الابتداء عند قتله ، وسرورا وراحة في الانتهاء باعتبار ما انتهى إليه أمرهما ، لأن الله سبحانه وتعالى أبدلهما بابنة خرج منها سبعون نبيا ، فالضمير ههنا هو ضمير نفسه مع الحقّ سبحانه، والنكتة في إتيان الضمير بصيغة التثنية التأدّب مع الحقّ جلّ وعلا ، فالأمر الذى يقتضى الحزن والكرب وهو ما حصل لأبويه عند قتله نسبه إلى نفسه وما آل إليه الأمر نسبه إلى الحقّ سبحانه وتعالى ، ولذلك لما كانت الحالة لا تقتضى إلا السرور والراحة ابتداء وانتهاء نسب الأمر إلى الله تعالى ولم يجعل لنفسه مدخلا فقال في وصف الجدار : ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا ﴾ فقال في الأولى : فأردت ، وقال في الثانية : فأردنا ، وقال في الثالثة : فأراد ربك .

وانظر أيضا إلى دعاء نبينا سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام قال: « لبيك اللهمّ لبيك، لبيك وسعديك ، والخير في يديك، والشرّ ليس إليك »: أى لا يتقرّب به إليك فما أحسن هذا التأدب مع مولاه سبحانه وتعالى موافقة لقوله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ وقول أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه لما قيل له في مرضه الذى منه مات : هل نلتمس لك طبيبا ؟ فقال : الطبيب هو الذى أمرضنى ،



ليس على ما زعم من فسره بظاهره ونسب إلى أبى بكر أنه لم يتأدّب وأنه لم يقل مثل الخليل عليه الصلاة والسلام ﴿ وإذا مرضت ﴾ فنسب المرض إلى نفسه، بل قال : أمرضنى ونسبه إلى الحقّ سبحانه وتعالى ، لكن ليس على ظاهره ، بل معناه : أن الطبيب داوانى بدواء يزول منه دائى وهو المرض ، فالمرض هو عين الدواء ، وإذا كان كذلك فليس بشرّ وإذا لم يكن بشر فلا إساءة فى الأدب ، بل ذلك من حسن الأدب ، فافهم ما فى هذا البحث من نكت فى لزوم الأدب .

وقال رضى الله تعالى عنه فى قول ابن عطاء الله : ربّ معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزّا واستكبارا . ومأخذ هذا مستنبط من كتاب الله تعالى ومن حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ ..

وفى الحديث فيما حدّث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ربه « أنا عند المنكسرة قلوبهم » فإذا قلت الملك عند فلان ، فهو أجل وأعظم من أن تقول : فلان عند الملك ، وكذلك : أنين المذنبين أحبّ إلىّ من زجل المسبحين .

وقال رضى الله تعالى عنه : إن من تحرّى الطهارة وتورّع عن النجاسات وهو يأكل حراما فورعه ذلك كورع الكلب يأكل النجاسات والقاذورات ، وإذا أراد أن يبول رفع رجله لكيلا يصيبها شيء من البول .

وقال رضى الله تعالى عنه فى قوله صلى الله عليه وآله وسلم « إنه



ليغان على قلبى وإنى لأستغفر الله فى اليوم سبعين مرّة » معناه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستغرق قلبه فيما وراء الحجب السبعين التى هى وراء السموات والأرضين ، وهو مأمور بالتبليغ فيستغفر سبعين مرّة ليظهر قلبه على أمته فيطلعوا على أسراره ، فإن الشاذلى رأى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم مناما فقال : يا رسول الله ما معنى الغين الذى تستغفر منه سبعين مرة ؟ قال : ذلك غين أنوار لا غين أغيار يا مبارك .

وقال رضى الله تعالى عنه : فى قوله تعالي : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات ثُمَّ اتَّقَوْا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَّأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ فكرّر لفظ اتقوا ثلاثا ولفظ آمنوا ثلاثا ، وقال فى آخرها : وأحسنوا مرة واحدة : أى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليس عليهم جناح فيما طعموا من الطيبات من الرزق ، ثم كلما طعموا زادهم إيمانا وتقوى ، وإذا كان الأكل للطيبات بالنية على تقوية الأعضاء للطاعة زادك إيمانا وتقوى لأن الصحابة منهم من حرّم الدسم ومنهم من حرم النكاح ليتفرغوا للعبادة ، ثم قال تعالى : ﴿ ثُمَّ اتَّقَوْا وَّأَحْسَنُوا ﴾ أي أنّ الإحسان مقارن للتقوى والإيمان وفى الحديث : « إنه نزل جبريل عليه السلام على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : ما الإيمان ؟ قال : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالبعث قال : ما الإسلام ؟ قال : الإسلام : أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤدى الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان ؛ قال : ما الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ؛ قال : ما الساعة ؟ قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل » فإذا كان الإحسان

مقارنا للإيمان والتقوى فقد صار وليا فقد أحبه الله ، وإذا أحبه الله فقد صار سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به كما يليق بجلاله سبحانه وتعالى : ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ وكيف يخافون ويحزنون وقد صار الحقّ منهم بهذه الصفة : قال الشاعر :

هم الذخر للملهوف والكنز والرجا
ومنهم ينال الصبّ ما هو طامع
بهم يهتدى للعين من ضلّ فى العمى
بهم يجذب العشاق والربع شاسع

وقال رضى الله تعالى عنه فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ على حذف مضاف : أى أصحاب الكوثر، وهم المؤمنون الذين هم أولاد النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم كما فى إحدى القراءات وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم ؛ والكوثر هو النهر الذى فى الجنة عدد أقداحه عدد نجوم السماء ، لأن الكفار قالوا : إن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أبتر ، أى لا نسل له ، وإنه ينقطع ملكه ولا له بنون يقومون بملكه ، فنزلت ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ أى أصحاب الكوثر قاموا بعده بحقّ الإسلام وقفوا فيه آثاره إلى الآن ولله الحمد ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ أى اجعل هذا القول فى نحر أعدائك ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴾ وأنجز الله سبحانه وتعالى قوله ، وهو أن لا يبقى الآن فى الآفاق جميعا ذرّية لأبى لهب ولا لأبى جهل ولا لأحد ممن مات منهم وهو كافر .

وسئل رضى الله تعالى عنه : هل يجوز أن تفرد الصلاة على غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنقول: اللهم صل على فلان ، من دون أن نذكر النبى صلى الله عليه وآله وسلم؟ **فقال** : نعم أخبرنا الله سبحانه وتعالى بأنه يصلى علينا ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ وقال تعالى فيمن قال عند المصيبة : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾.

ويدلّ على أن الصلاة من الله تعالى هى الرحمة وزيادة لا كما قيل إنها الرحمة فقط ، أن الرحمة عطفت على الصلوات من باب عطف العامّ على الخاص ؛ ثم إن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم كان يجيئه المتصدق بالصدقة فيصلى عليه امتثالا لقوله تعالى ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

وقال رضى الله تعالى عنه : قال الله تعالى : ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ إن العقبة بلغة العرب : هى الجبل الوعر المسالك الذى لا يصعد إليه إلا بمشقة ، ثم قال : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴾ أىّ عقبة هى ؟ ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ والرقبة هنا منكرة لتقتضى الشمول لكل رقبة محبوسة ، إما فى دين فيقضى عنها فيفكها ، أو من وجب عليه القصاص فيفكها ، أو ضالّ يهديه فيفك رقبته من حبس الضلال أو غير ذلك ، ثم قال تعالى : ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾ أى ذى جوع ، والمراد المطعم هو الجائع وإن كان غيره شبعان ﴿ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۞ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ .. اليتيم على قسمين :

أحدهما الملتجئ إلى الله تعالى لا يصافى أحدا غيره ولا يصادق ولا يحبّ إلا الله ، أو فى الله فهو يرى وجود أبويه وعدمهما على حدّ سواء ، وهذه أعلى رتبة ، فهو يتيم وإن بلغ سنّ الشيخوخة .

والثانى اليتيم عن أبويه أو أحدهما ، ولا يكون يتيما إلا ما دام لا يمكنه التكسب .

والمسكين على قسمين :

الأول : هو المتمسكن إلى الله : أى الذى لا يسكن إلا إلى ربه فهو ملازم حضرته فلا يأنس إلا إليه ، وهذا هو الذى قال فيه الصادق المصدوق صلوات الله عليه وعلى آله : « اللهمّ أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين » وهذا هو أعلى درجة .

والثانى : هو اللاصق بالتراب .

ثم قال تعالى : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ .. كان هذه من قوله ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ تامة ، يعنى تستغرق الزمان ماضيا وحالا ومستقبلا : أى بقى مؤمنا حتى مات كما قال تعالى : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ ..

ولم يقل من عمل الحسنة ليكون معناها : من جاء يوم القيامة بالحسنة ولم تحبط ومن جاء بالسيئة ولم تمح .

وقال رضى الله تعالى عنه: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

قال : هذه الآية من المخوّفات التخويف العظيم ، لأن إنما للحصر ، ومن ذا يكون متصفا بهذه الصفة ؟ فإنه قيل لبعض الأولياء وهو الحسن البصرى كيف تجد إيمانك؟.. فقال : أومن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشرّه ، وأما أنى ممن ذكر الله ﴿ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ إلى آخرها فلا أدرى ، والذكر هو باللسان والقلب ، والاعتبار بالعين لقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي ﴾ فهو ذكر هنا بالعين ، فإن الاعتبار فى العالم ذكر وهو أعظم الذكر ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ المراد الآيات القرآنية والعالمية : أى إذا نظرت إلى مخلوقاته زادك إيمانا ، لأنها آيات تتلى عليك ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ .

وقال رضى الله تعالى عنه ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴾ الإنسان يلقى منيه ولا يدرى أين صار ، فيوكل الله به ملكا خلق من سرّ الخالق البارئ المصورّ يضعه فى قرار مكين : أى لم يخن فى شىء منه بل يحفظه غاية الحفظ ، ثم يكون علقة أشدّ من النطفة ، فإذا كان كذلك استأذن الملك ربه يقول : ربّ هل قد وفى أجله أفتزلق ، فإذا هو لم يصل أجله يقول لا انقله مضغة ، فيصير مضغة وهى أشدّ من علقة ، فيستأذن الملك ربه كذلك فيشقّ جلّ جلاله بصره وسمعه ويخلق فيه الأعضاء حتى يصير فى الصورة الإنسانية فيبرز

إلى الوجود وليس له عقل يعقل به ولا فهم يفهم به ولا نطق يتكلم به بما يريد، فيجوع ويعطش وهو لا يحسن الكلام فيصيح ، وذلك الصياح يدعو ربه دعوة مضطرّ فيجاب في الحال والسرعة فيوجد الله له اللبن في ثدى أمه ، حتى لو أنها أرادت أن تدفعه وتردّه ما أمكنها ، ولو أرادت وجوده قبل أن يولد المولود ما أمكنها ، فياليتنا كنا كذلك مجابين الدعوة في الحال ، ثم يوجده سبحانه وتعالى سائغا ليس يحتاج إلى مضغ لكون الطفل بلا أسنان يمضغ بها ، ولا يحتاج إلى هضم لأن معدته غير قوية على الهضم ثم يجد فيه الريّ والشبع فيستغنى عن الماء والطعام لأنه لا يقدر أن يطلب عند عطشه ماء ولا عند جوعه طعاما فيهديه إليه ويهوى إليه لا إلى عضو غيره ، ثم يلهمه المصّ على تلك الكيفية سبحانه وتعالى ، ثم لا يزال ينمو ولا ينظر عيانا لأن كل شيء إذا مددته بعد أن كان متحيزا لابد أن تنظر لمده تأثيرا في طوله وعرضه ؛ وأما هذا النموّ فهو في كل حالة لا يزال ينمو هو جملة وكل عضو من أعضائه وهو لا يدرك ثم يتولد معه التدبير ، وكلما زاد معه التدبير نزع الله الشفقة من قلب أبويه بقدر ذلك ، فإن أمه في أوّل الأمر لا تستطيع أن تفارقه ساعة ، ثم بعد قد تفارقه اليوم واليومين، ثم قد تفارقه بعد أن يكمل تدبيره الزمان كله ، فلو لم يدبر له أمرا بل رضى بالله كفيلا كما كان أوّلا لكفاه كل مؤنة ، وتيسير ما هو موجود أهون من إيجاد ما هو معدوم باعتبار عقل الإنسان ، ألا ترى أنك قد تهتمّ بتيسير قوت يومك وهو موجود على ظهر الأرض وتيسيره أهون من إيجاد اللبن من العدم من بين فرث ودم ، حسبنا الله ونعم الوكيل ..

وقال رضى الله تعالى عنه في قول أهل الكلام : الاسم عين



المسمى أو غير المسمى : خاضوا فيما لا يعنيهم ، وحيروا من اطلع على علومهم من بعدهم ، الذات هى جميع الأسماء وهو تعالى متحلّ بجميع صفاته فى ذاته ، ألا ترى أن الرجل إذا كان حدّادا نجاراً خياطاً عمارا عالما فاذا رأيته رأيت رجلا ، ثم إذا ظهرت لك صفة من صفاته علمته بها فسميته بها ، فإن علمته نجارا مثلا سميته نجارا ، وإن علمته حدّادا سميته حداداً وهلم جرّا. فالبارى جلّ وعلا يعلم بجميع صفاته من صنعه سبحانه وتعالى .

قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه للنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم « أوصنى يا رسول الله ، قال : قل ربى الله ثم استقم ، فقال : ربى الله ولا حول ولا قوّة إلا بالله ، فقال له النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم : ليهنك العلم يا أبا الحسن » لأنه قال : ربى الله ، ومن قال ربى الله فقد آمن بالله وبكتبه ورسله ووعده ووعيده ، ثم استحضر فى جواب قوله : ثم استقم : لا حول ولا قوّة إلا بالله : أى أن الاستقامة لا تكون إلا بحول الله وقوته وتوفيقه ، فإذا أردت ولم يرد الله تعالى لم تقدر أبدا ، ولو حاولت بكل ممكن .

ثم قال : رأى بعض الأولياء النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال له : يارسول الله ، قلت : شيبتنى هود وأخواتها من القرآن ما الذى شيبك منها ؟ قال : قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ . ولم يسأل علىّ كرّم الله وجهه عن الاسم ولا عن المسمى ، بل عرف بحقيقة الأسماء كلها بقوله (ربى الله) ولم يجبه النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم إلا بذلك الجواب الذى يظهر من فحواه أن قد علم بالعلم جميعه ، ثم فى البقرة ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ أى أسماءه سبحانه وتعالى ، وإذا علم بأسمائه لزم

علم أسماء غيره من جميع المخلوقات فلا حاجة لنا فى ذلك العلم الذى يقال فيه الاسم عين المسمى أو غير المسمى لأنه مظلم والعلم نور ، وهو خفىّ والشريعة ظاهرة ، والحقّ بين يثبت فى القلب حتى لو أراد من عرف الحقّ أن يطمسه من قلب نفسه لما قدر ، والباطل داحض إن الباطل كان زهوقا لا يحتاج إلى من يزهقه ، لأن العدم لا يحتاج لإعدام ، والوجود لا يحتاج إلى إيجاد ، وإذا بطل من الإنسان شيء من مفاصله بفالج أو غير ذلك ، نسأل الله العافية والسلامة ، لا يقدر أن يقوم بل يبقى قاعدا ، وإن أقامه غيره فلا يقوم إلا متى بقى ملازما له ، فإذا تركه وقع والله الموفق .

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً (١٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ ﴾.

فأجاب : الجهالة هنا هى أن يعمل السوء وهو جاهل بحق الله تعالى لا أنه جاهل أنه سوء ، ثم لما علمت بالله وعلمت أنه عندك حاضر لا يغيب ، وأن السيئة الصغيرة فى جناب من عصيته كبيرة وأىّ كبيرة ، وعلمت بطشه وصدّقت وعده ووعيده وتبت من قريب ، تاب الله عليك مالم تغرغر بالموت ، فإن تبت قبل أن تغرغر فقد تبت من قريب ، فأتى الله سبحانه وتعالى بعلى فى قوله ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ ﴾ أى وجبت لأنه لو قال من الله أو لله فلا تؤدى هذا المعنى ، ثم قال تعالى ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ ﴾. فذلك

لا ينفع

ثم قال رضى الله تعالى عنه: واعلم أن الإنسان فى كل حالة مخاطب بالموت قال تعالى: ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ ﴾ ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ .

قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم « ما مددت بصرى إلا وظننت الموت يبتدرنى قبل أن يرتدّ إلىّ طرفى ، وما التقمت لقمة إلا وظننت الموت يبتدرنى قبل أن أسوغها » هذا أو معناه .

ومن هنا ارتفع حكم التسويف والأمل ، قال تعالى : ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ الآية ، فالأمد والأمل بمعنى واحد ، وهو الذى يجوز أن يكون له فيه توبة ولا يتوب ولم يعلم أن الموت فى كل حالة يطلبه لقول الصدّيق رضى الله تعالى عنه :

كل امرئ مصبّح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

وقال رجال لأحد الأولياء لما رأوه لا يتكلم معهم فى خوضهم : لم لا تتكلم معنا إنا نحبّ حديثك ؟

فأجاب : الحالة التى تحبّ أن تكون عليها عند الممات كن عليها فى جميع الحياة .

فانظر إلى هذه الكلمة التى تلحق بالمعجز، لأنك إذا رأيت الأمير

النافذة أوامره إذا قيل له تموت غدا هل يبقى من أمره ذلك : احبسوا فلانا ، قيدوا شدّوا الفرس ، جهزوا الجيش ، أم ينتظر الموت ويرتقب له ويتهيأ له ، دائم الفكر متذكرا لسيئاته ، قد يذهل عمن عنده ولا يتكلم بشيء مما جرت به عادة ، وكذلك غيره من أهل الصناعات والزراعة والتجارة إذا قيل له تموت غدا لا يشتغل بشيء من ذلك الذى هو فيه سابقا ، بل يشتغل بالتأهب للموت ، فانظر معنى هذه الكلمة .

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ أى إن الأبرار لفى نعيم فى الدين لأنهم فى هدى والهدى نور والنور وجود والوجود هو الله ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ لأنهم فى ضلال ، والضلال ظلمات ، والظلمات عدم فيحيون بإحياء الله ، والأولون بحياة الله تعالى ، وليس من كانت حياته بإحياء الله كمن حياته بحياة الله ، وأنى وأين ؟ فوجودهم كعدمهم وإن كانوا فى الظاهر فى نعمة . ألا ترى أن الملك إذا كان حزينا بموت ولده أو بنصر عدوّه ربما كان فى بستان أنيق بين نور وشقيق ، وفى يده مفاتح الخزائن ، وبين يديه الخيل الصوافن ، تتهادى له الجوارى ، وينزّه طرفه فى العيون الجوارى ، ويتبختر فى ظلال زهوه ويتيه فى قصور زخارفه ولهوه ، لكن قلبه فى نار الحزن وعينه مطلقة للوسن ، قد عاف الطعام والشراب وضاقت عليه الفسيحات من الرحاب ، قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ الآية ، وقال تعالى فيمن عداهم : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ .. وقال تعالى ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ .

وسئل رضى الله تعالى عنه : هل يحتاج المصلى على النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول : وصحبه ؟

قال: لا يحتاج لأنهم قد دخلوا فى آله ، لأن الآل هم المؤمنون من أمته ، فهم وغيرهم من المؤمنين قد دخلوا فى الآل بدليل ما ثبت فى بعض القراءات : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ وهو أب لهم .. وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ أى أهل الكوثر وهم الذين يقومون بشريعته من بعده كالخلفاء الراشدين من بعده ومن تبعهم لأن الكفار قالوا : إنه أبتر وإن هذا الأمر سيبطل بعده ، لأنه ليس له ذرّية يقومون بهذا الأمر بعده ، فنزلت هذه السورة وأثبت الله بها معزّتين : إحداهما أن الله سبحانه وتعالى أقام هذا الدين بآله من بعده إلى الآن . والثانية أن الكفار حين تكلموا بذلك ولهم ذرية وأحفاد لم تمرّ أدنى مدة إلا ولا يعلم أن أحدا ينسب إليهم ولا بقى منهم بقية ، نفى نسبهم عن الدنيا بالكلية، فسبحان العدل الحكيم ، وذلك مصداق قوله تعالى ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾.

وسئل رضى الله تعالى عنه : إذا صلى الرجل صلاة المغرب ثم أراد أن يتصدّق على رجل آخر بالصلاة معه هل يقتصر على الثلاث أو يقوم بعد أن يسلم الإمام يأتى برابعة لكون الثلاث لم تشرع فى حقّ المتنفل .

فأجاب: بأن المتنفل إما أن يكون إماما أو مأموما ، فإن كان إماما اقتصر على الثلاث كما ثبت فى الحديث .. « أن رجلا جاء إلى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وقد صلى هو وأصحابه ، فقال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم : أيكم يتصدّق على الرجل فيصلى معه ؟ فقام رجل » قيل فى حديث

آخر : هو أبو بكر ، وإذا كان أبا بكر فهو الإمام بلا شكّ لأنه الأفضل وهم لا يقدّمون إلا الأفضل عملا بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « إنما أئمتكم شفعاؤكم يوم القيامة فانظروا لأنفسكم شفعاء » وجائز أن يصلى المفترض خلف المتنفل لهذا ، ولفعل معاذ كان يصلى مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ثم يخرج فيصلى بالناس ، ومعلوم أنه لا يرضى بالصلاة مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلا فريضة ، ويتنفل حين يصلى بالغير وذلك فى مغرب وغيره ، فهذا هو الدليل على الاقتصار على الثلاث ، وعلى أنه يجوز للمفترض أن يصلى خلف المتنفل وإن كان المتصدق المتنفل هو المأموم قام وأتى بركعة بعد أن يسلم إمامه ، لأن الثلاث فى حقّ المتنفل ليست مشروعة.

وذكر رضى الله تعالى عنه فى حال كون المتنفل إماما والمفترض مأموما أنه ربما صار الأمر والتصرّف للضعيف الأدنى كأن تحصر المرأة عن طواف الإفاضة فيجب على محرمها أن يحصر معها فتصير هنا متبوعة وهى فى كل حالة تابعة .

وقال رضى الله تعالى عنه : اعرف الرجال بالحقّ ولا تعرف الحقّ بالرجال؛ فربما كان الحقّ عند من هو غير مقطور به ، وربما كان المقطور به يخفى عليه الحقّ ، ألا ترى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما استأذن عليه أبو موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه ثلاثا ولم يؤذن له رجع، فلما فرغ عمر مما هو فيه قال : أين أبو موسى ؟ فقيل له : رجع ، فأمر من يبتغيه ، فلما وصل قال : لماذا رجعت ؟ قال : كان هكذا يفعل الصحابة مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : لئن لم تأتنى بشاهد لأوجعنك أو كما

قال، فقصد أبو موسى الأنصار ، فأخبرهم ، فقالوا : إن الصبيان منا يعلمونه ، فأرسلوا معه أصغرهم فشهد بذلك ، والحال أن عمر كان أكثرهم استئذانا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخفي عليه مثل هذا . وكذلك لما خطب يوما فنهى عن المغالاة في المهور ، فقالت امرأة : تنهى عن المغالاة في المهور وقد قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا ﴾ فقال : حتى النساء أعلم منك يا عمر، فكن مع الحقّ يعرّفك بأهله ، ولا تقل : لو ثبت هذا لعلمه فلان ، فربما أخذ الحقّ من غير أهله كما قال سبحانه وتعالى حاكيا عن إبليس : ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ .. قال تعالى ﴿ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴾ أي فالحقّ تقول والحقّ أقول . ثم ثبت في الحديث « أن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه لما كان على الصدقة جاءه إبليس فأمسكه ، فقال : لئن تركتني لأعلمنك شيئا إذا قلته لم يدخل بيتك شيطان ، فتركه ، قال : تلك آية الكرسي ، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لما أخبره : لقد صدقك وهو كذوب » فالحقّ معروف لا غبار عليه .

وقال رضي الله تعالى عنه في قول الله لرسوله ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ إن من هنا للتبيين ، وقال تعالى بعد أن عدّد الرسل في سورة الأنعام : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ واستثنى سبحانه وتعالى واحدا منهم في أمر مخصوص فقال : ﴿ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ .

وقال رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى في قصة يوسف :

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ أى همت فيما هو همها ، فإنها قد عرّضت من قبل ليوسف تعريضات فما بلغت ما تريد ، فلما لم يمكن إلا التصريح صرّحت به، فراودته عن نفسه صريحا ، وهو عليه الصلاة والسلام همه الخلوص منها ، فهمّ لما غلقت الأبواب ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ وما بقى منه بدّ بالتخلص منها بقتل أو بضرب أو بما يدفعها عنه ، لأن ذلك همه لولا أن رأى برهان ربه ، والبرهان الذى رأى هو صورة امرأة العزيز ، لأنها برهان لصانعها جلّ وعلا ، لأن البرهان للشيء هو الدلالة عليه ، وذلك معنى قول أبى بكر رضى الله عنه : ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله قبله ، ومعنى :

وفى كلّ شيء له آيـة تدلّ علي أنه الواحـد

فألهمه سبحانه وتعالى أن يدرأ بالتى هى أحسن ﴿ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ﴾ بذلك التخلص وهو الهرب ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ﴾ وقد كان يوسف أراد أن يكلمه عند أن ألفياه ، لكنه ردّ أمره إلى الله ﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أشارت عليه بالسجن خوفا عليه من القتل عند الغيرة كما تفعله الملوك ، فلما تكلمت بذلك ونسبت إليه ذلك دافع عن نفسه فقال : ﴿ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ﴾ .

وقال رضى الله تعالى عنه : إذا لم تجد دليلا على الحادثة فى عمل أو فتيا من الكتاب أو من السنة فقل لا أدرى فهى خير لك من أن تفتى برأيك ، فإن قولك لا أدرى خير لك من أن تكذب على رسول صلى الله عليه

وآله وسلم لأن من أحدث شيئا فى شريعته فقد كذب عليه ، وفى الحديث « العلم ثلاثة آية محكمة ، وسنة ماضية ، ولا أدرى » هكذا هو أو معناه ، وقال الشاعر :

تعلمت لا أدرى لأدرى أننى   إذا قلت لا أدرى بأنى لا أدرى

غيره :

إذا شئت أن تدرى تعلمت لا أدرى
فإن قلت لا أدرى أفادك من يدرى
وإن قلت أدرى لست تعدم سائلا
يبين بالتسآل أنك لا تدرى

وقال رضى الله تعالى عنه لما سئل عن الدعاء المأثور عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى السجود وهو : « اللهمّ ربّ جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدنى لما اختلفوا فيه من الحقّ بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم » .. هل يجوز ذلك مع أنه قد نهى عن تلاوة القرآن فى الركوع والسجود ، وهذا الدعاء متضمن الآية .

فأجاب : إن ذلك يجوز لأنه ليس قاصدا التلاوة ، والنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قال « نهيت أن أقرأ القرآن راكعا وساجدا » لأن التلاوة حكاية عن الله تعالى ، والركوع والسجود موضع خضوع ، ولا يحكى عن الله تعالى فى موضع الخضوع لأنه نائب عن الله تعالى ، وهنا ليس بتلاوة

فيجوز ، وكذلك فى سجود التلاوة ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن قوله تعالى : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ﴾ .

فأجاب : إن لها وجوها ، لأن الله سبحانه وتعالى لا يتحيز ، فكذلك كلامه لا يتحيز فى معنى ، ومن حيزه فى معنى فهو لقصور علمه وفهمه ، فأحد وجوه تفسيرها : هل جزاء الإحسان من الله ابتداء إلا الإحسان منه انتهاء ؟ أى ما ابتدأ سبحانه وتعالى من العطاء لا يسترجعه لأنه حرّم ذلك على عبيده ، فما ظنك به جلّ جلاله وهو بالإحسان بادئ حاشاه يختم بالإساءة ، ولكن إذا نزعت عن الإنسان نعمة أنعم الله عليه بها فإنما هو لكونه لم يقبلها ، فإذا ألبسه الله حلة فقد يلبسها أياما ثم يلقيها ، وقد لا يقبلها فى الساعة ، فيقال له أعطيناك حلة فلم تقبلها نحن نعطيها غيرك ،و أىّ نعمة كانت نعمة دين أو نعمة دنيا : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ ابتدأ كل إنسان بالإسلام لأن كل مولود يولد على الفطرة فلم يقبله البعض بل تهوّد أو تنصر ، وعلى هذه غيرها من جميع النعم .

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن تفسير قول الله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ .

فأجاب : إن ويل واد فى جهنم مخصوص جعله الله للأفاك : أى الكذاب ، و للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، وللمطففين ، وللهمازين اللمازين ، والهمزة واللمزة متقاربان ، وهو الذى ينظر فى عيوب الناس التى

لا تضرّه ولم ينظر فى عيوب نفسه التى تضرّه ، قال تعالى : ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ أى يعيبونك ، ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ وهم المتشوّفون بقلوبهم لما فى أيدى الناس : ﴿ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ﴾ أى هذا الرجل الملازم على جمع ما فى أيدى الناس : ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴾ وقد لا يأكل من ماله ذلك لقمة : ﴿ كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴾ أى مطبقة ﴿ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ وذلك لأن العمود الحديد إذا صار نارا ، والنار لا تفارقه فهو أشدّ فى العذاب ، نسأل الله العافية والسلامة .

وسئل رضى الله تعالى عنه : أىّ الأولى للإنسان التكسب أو عدمه ؟

فأجاب : إنه ينبغى للإنسان أن يقف حيث أوقفه الله ، فإن أوقفه فى كسب بقى فيه ولا يتكل على ذلك الكسب ، فإن رجلا من الصالحين كان خرازا ، فحدثته نفسه يوما أنه إن لم يعمل لم يأكل شيئا ، فقال لها : وأنا عقوبة لك يا نفسى لأقفنّ حيث أوقفنى الله ولا أطعمك مما أكتسب شيئا ، فبقى كذلك حيث أوقفه يتكسب من حرفته ويتصدّق به ولا يأكل منه شيئا ، وإن لم يوقفه فى تكسب بقى كذلك حيث أوقفه، لكن لا يسأل ولا يتشوّف قلبه إلى إعطاء أحد إلا الله ، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى خلق خلقا للتكسب فلابد أن يتكسبوا وخلقا لا للتكسب فلا يمكنهم ، فلا بأس بالأمرين وكلاهما حسن مع شروطهما . ألا ترى أن الصحابة فى الهجرة منهم جماعة فى

الصفة ، منهم أبو هريرة وعثمان بن مظعون لم يأمرهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بتكسب ، ومنهم من تكسب بالتجارة كعمر وعثمان ولم ينههم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم .

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن أخذ الفقير لما أعطى هل لا بأس بذلك ؟.

فأجاب : إنه لا بأس مع عدم السؤال والتشوّف لما فى أيدى الناس ، فإن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الذى من شمسه فاضت الأنوار على من سبق ومن لحق كان يقبل الهدية . وفى الحديث « كل لقمة لك لابد أن تأكلها فكلها بعزّ ولا تأكلها بذلّ » أى ربما أكلتها بسؤال والتجاء إلى مخلوق كلها بذلّ ، وإن أكلتها وأنت عازم ومعتقد أنها من الله وإن أعطاك مخلوق فأنت أكلتها بعزّ . وفى الحديث « لا ترضينّ أحدا بسخط الله ، ولا تحمدنّ أحدا على رزق الله ، ولا تذمنّ أحدا على ما لم يؤتك الله ، فإن رزق الله تعالى لا يسوقه إليك حرص حريص ولا يردّه عنك كراهية كاره » وإن الله عزّ وجلّ بعدله وقسطه جعل الروح والفرج فى الرضا واليقين ، وجعل الهمّ والحزن فى الشكّ والسخط ، إنما الشكر الذى أمرنا به لمن أحسن إلينا لكونه السبب كما قال تعالى : ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ فإن الخالق البارئ المصوّر هو الله سبحانه وتعالى ، وأبواك السبب ، فأمرك بشكرهما بل قرن شكرهما بشكره سبحانه ، وإذا أرجعت ما أعطيته فقد أسأت الأدب ، لأن الله تعالى أعطاك ذلك فلم تقبله ، وهذا إساءة أدب وأىّ إساءة ، فرجل عاهد الله تعالى أن لا يسأل أحدا ولا يأخذ شيئا إذا أعطى وهو فى الحجّ حينئذ فكابد مكابدة عظيمة وأدركه الجهد ، فلما كان يوم منى رأى رجلا فى أعلى سوق منى يسعى سعيا



بالغا ، فلما سامته ألقى فى حجره فلوسا ثم ذهب لا يستطاع أن يلحق ، فبقى الرجل مفكرا لأنه قد عاهد الله أن لا يقبل شيئا والرجل لم يعلم من هو ولا يمكن لحوقه فأخذ ذلك رغما منه وكان تأديبا له ، لأن هذه الصورة هى أعظم ما يكون فى موافقة ما يريد له ، لكنه لم يخرج من قبولها . فقيل له : فإن كان المعطى ظالما ؟ قال : إن علمت أنه ينزجر ويخاف إذا أرجعت ما أعطاك أرجعته ، وإن لم يؤثر قبضته وتصدّقت به ، لأن ما فى يده مال الله محبوس فى يده يدعو الله أن يطلقه ، فكان لك السعى فى إطلاقه ، وإن كنت تعلم بصاحبه أرجعته له . فقيل له : فإن كان أكلا كأن يكون دعوة فكنتُ ممن دعى؟ فقال : إن أمكنك الخلوص فهوالأولى ، وإن لم يمكن ولا بد فكل وتصدّق بمثله فى مقابلته ، لأنه لابدّ من المحاسبة على مثاقيل الذرّ ، فتكون هذه فى مقابلة تلك ، وإن كنت فقيرا نويت ذلك إن يسر الله عليك ، ونية المؤمن خير من عمله . فقيل له : فإن وقع ذلك كيف الخلوص منه ؟ قال : التوبة ؛ وصورة التوبة فيما كان بينك وبين الله تعالى أن ترجع لكل ذى حقّ حقه إن كان معلوما وإن لم يعلم تصدقت بذلك أو بمثله حتى تعلم أنك قد أوفيت ، وإن كنت فقيرا نويت ذلك ؛ ونية المؤمن خير من عمله .

وقصارى الكلام أن الظالم محنة على نفسه وعلى غيره ، ففرّ منه أىّ فرار ﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ والظلم بمعنى النقص ، قال الله تعالى : ﴿ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ﴾ أى لم تنقص ، وأىْ شىء أنقص من نفسك فانها عدوّة لك فلا تركن إليها فتمسك النار .

وقال رضى الله تعالى عنه : « سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولا يجمعهم مع العاملين ويدخلهم النار أوّل الداخلين إلا أن يتوبوا



إلا أن يتوبوا إلا أن يتوبوا ، فمن تاب تاب الله عليه : الناكح يده ، والفاعل والمفعول به ، والضارب والديه حتى يستغيثا ، والمؤذى جيرانه حتى يلعنوه والزانى بحليلة جاره ، ومدمن الخمر » ، هذا الحديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ما أدرى السبعة مجموعة فى لفظ الحديث أو كل واحد على انفراده .

وقال رضى الله تعالى عنه : فى التتن أى التنباك حين حدّث بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو « ثلاثة يكرههنّ الله : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » فقال : وأعظم إضاعته فى التنباك فأىّ عقل لمن اشترى منه الرطل كما بلغنى فى سنة متقدّمة عدم فيها وبلغ الرطل أحد عشر ريالا ، أعقل هذا وراءه ؟ بل هو بمسافة من ورائه هلا كسا به عاريا ، هلا أطعم به جائعا ؟ وهو لا يسمن ولا يغنى من جوع ، وليس بدواء كما يخيل لهم ، فان الدواء والسمّ إذا داوم عليهما إنسان لا يضرّه السم ولا ينفعه الدواء ، والحال أنه داء مقطوع به ، فكيف زعمهم بأن التنباك دواء وهو يشرب الدواء أكثر من قوته ؟ وأيضا فهو داء ، ألا ترى إلى منافس المطبخ التى يخرج منها الدخان كيف اسودّت ، فكيف صدر هذا الشارب له وحلقه ؟ قد تراكم فيهما الصدأ فكيف يرجى النفع فيمن هذا حاله ، فانا عرفنا عدة من الناس ممن تركه ابتهجوا وخفت عليهم المؤنة واعتدلت طبائعهم كما أخبرونا ، وتوفر لهم النوم الذى هو سبات الإنسان وثبات عقله ، والحال أنه تركه بعد أن فعله . فكيف الذى لم يذقه البتة ؛ هل اتفق له داء لا يكون دواؤه إلا التنباك ؟ لا بل ليس مذكورا فى كتاب من كتب الحكماء ، ولا سمع عن حكيم أنه دواء . فأىّ إضاعة للمال أشدّ من هذه الإضاعة مع أنه أخبرنى من



أثق بخبره ولا أشكّ في صدقه أنه رأى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقال له : يارسول الله التنباك حلال أم حرام ؟ فالتفت إلى عائشة وهي بجنبه فقال : لو شربته هذه لما قاربتها ، فقال : أحلال أم حرام ؟ قال : لو شربته هذه ما قاربتها ثلاثا ، قال الرائي : فحدّثت نفسي أني أقول له : هل حرّمته في الشريعة ؟ ففي أيّ موضع من مواضع الحديث ، فأنسيت في الحال . فانظر إلى هذا الذي لو شربته عائشة أمّ المؤمنين لفارقها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أيّ داهية أعظم من فراق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمّ المؤمنين ، وأيّ تعريض بتحريمه أعظم من هذا ؟ ومن رأى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقد رآه حقا ، ومن رآه مناما فكأنما رآه يقظة .

وقال رضي الله تعالى عنه لما سئل عن الذنب الذي أذنبه داود عليه السلام ﴿ وَخَرَّ ﴾ له ﴿ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ فقال: قد ذكر رجل فيما تقدم في مجلس عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه قصة داود عليه السلام ، فقال رجل من العلماء : إن كانت القصة كما ذكرت فالله ستره فلا ينبغي لنا أن نهتك ستر الله على رسوله ، وإن كانت القصة لا أصل لها فلا ينبغي لنا أن نكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال عمر : هذاالكلام أحبّ إليّ من حمر النعم . وما قاله المفسرون في قصة داود عليه السلام أخذه بعض العلماء السالفون فقال لم يذكره الله سبحانه وتعالى . فإن قلنا : إما أن نخطئ أو نصيب ، فإن أخطأنا كذبنا على نبيّ الله ، وإن أصبنا كشفنا ستر الله لأنه لم يذكره ، وقد غلط ههنا كثير من المفسرين ، والمقام خطر ، نسأل الله العافية .

وقال رضي الله تعالى عنه : إذا أردت أن تسترشد أحدا أو تأمره أو

تنهاه فابدأ بنفسك ثم بأهلك ، فإن عمر رضى الله تعالى عنه كان إذا أراد أن يأمر بشيء أو ينهى عنه لا يفعل حتى يبدأ بأهل بيته ، ثم لِنْ لمن وعظت ولا تنفره بالتبكيت فإن بعض العلماء دخل على الرشيد ، فقال له : إنى جئت لأعظك فاصبر لى لأنى أريد أن أغلظ عليك ، فقال: لا تفعل فإن الله أرسل من هو خير منك إلى من هو شرّ منى ، فقال : ﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ فكان الرشيد أعلم منه ، وإذا لنت فى الخطاب كنت مقتديا بالقرآن والسنة ، وما عليك أن لا ينفع أمرك أو نهيك ، فإن الموعظة كالريح تجمع بين الضدين تطفيء وتؤجج ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ .

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن أخذ الأجرة على درس القرآن أو على تعليمه .

فأجاب: إن ذلك حرام ، لأن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم هو المقتدى به فى جميع الأمور ما لمَ يبين لنا صلى الله عليه وآله وسلم أن ذلك الحكم خاصّ به ونحن مأمورون باتباعه ﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ والحقّ سبحانه وتعالى يقول لرسوله ﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ ﴿ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ ﴾. وفى الحديث « حقّ على الله فى قارئ القرآن أن لا تأكله النار ما لم يأكل به مالم يغلُ به ما لم يراء به ما لم يدعه إلى غيره » . وأحلت الأجرة فى الرقيا به



لاغير كما ثبت فى حديث « وما يدريك أنها رقيا ، ثم قال : اقسموا لى معكم » ليبين لهم أن ذلك فى غاية من الحلّ ، ثم هو صلى الله عليه وآله وسلم مأمور بالتبيين ، قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ، فلو كان قوله تعالى : ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ خاصا به لبين لنا فإن القرآن لم يجمل بل بين بعضه بعضا أو بينته السنة ، فانظر إلى قوله تعالى : ﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ ﴾ واليد عند العرب مطلقا إلى العضد ، فبين بقوله ﴿ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾ وقال ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ ولم يبين فبينته السنة بأن ذلك من الرسغ ، ومن السنة ما بينته السنة ، مثل « تجزيك ولا تجزى غيرك » فكيف لا يبين لنا أمر الأخصِّية ونحن مأمورون باتباعه ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ ..

ومن فوائده رضى الله تعالى عنه فى الطبّ ، أنه وصف من ابتدأ فيه الجدرى أن يطلى بنشا يخلط عليه ملح بقدر ما يؤثر طعمه فيه ، وذلك مجرّب نفعه ، ويطلى بواطن قدميه بحناء وعصفر فإنه يدفعه عن العينين . ووصف فى الورم إذا وقع فى الرجل واشتد الوجع ، بأن يؤخذ زبل الغنم القديم ويدقّ ناعما ثم يطبخ بماء طبخا جيدا ثم يضمد عليها .

وقال رضى الله تعالى عنه : إذا نظرت إلى من عصيت فلا صغيرة من الذنوب بل أصغر الصغائر كبيرة ، فانظر إلى من أذنبت إليه ولا تنظر إلى الذنب نفسه.

وقال رضى الله تعالى عنه : عامل العبد لأجل سيده فإن عاملت

العبيد لأجل سيدهم عاملك بما عاملتهم به .. ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ فإن كنت رحيما بهم كان بك رحيما ، وإن كنت عفوّا عنهم كان عفوّا عنك ، وما اتصفت بصفة من صفاته سبحانه وتعالى إلا اتصف لك بها عند الفاقة والاحتياج والافتقار .

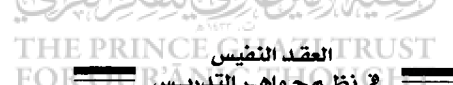
وقال رضى الله تعالى عنه : قال الله سبحانه وتعالى ﴿ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ سبحانه وبحمده ما ألطف هذا الأمر من ملك الدنيا والآخرة نزّل نفسه سبحانه وتعالى منزلة المستقرض لما ادّ عينا أن لنا مالا وأنا نملكه ، فطلب منا شيئا منه على جهة القرض نعطيه فقراءنا وهو يتولى قضاءه ، فجعل نفسه وليا فى الأخذ للقرض وفى القضاء ، فإن الصدقة لا تقع فى يد الفقير إلا وقد وقعت فى يد الله ليربيها حتى تكون اللقمة كأحد ويضاعفها لنا ثم يعطينا إياها عند الفاقة والحاجة إليها ، وقال تعالى : ﴿ يا أَيُّهَا الَّذين آمَنُوا أَنفقُوا من طَيِّبَات مَا كَسَبْتُمْ وَممَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ أى أنفقوا من أطيب ما تجدون كما فسره قوله تعالى : ﴿ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ وكما تحبون أن يعطيكم الله سبحانه وتعالى فأحبوه لغيركم منكم ، ولو نظر الغنىّ إلى النعم التى أنعم الله عليه بإيجاد الفقير وهو سبحانه قادر على أن يغنى الجميع لكان الفقير أعزّ عنده من كلّ شىء لكونه سببا لهذا الشرف وهذه المزية التى لا يعادلها شىء وهى أخذ الحقّ منه سبحانه وتعالى .

وقال رضى الله تعالى عنه: « لما رغب النبىّ صلى الله عليه وآله



وسلم الصحابة في الصدقة ، قال عمر رضى الله تعالى عنه: وصادف قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [أنه كان] عندى مال : ثم قال عمر رضى الله تعالى عنه فى نفسه : إن كنت سابقا سبقت أبا بكر اليوم بصدقة عند تجهيز الجيش إلى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فحمل نصف ماله ثم أتى، وإذا أبو بكر رضى الله تعالى عنه قد أتى بجميع ماله ، فقال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لعمر : ما تركت لأهلك ؟ قال : تركت لهم نصف مالى ، وقال لأبى بكر ما تركت لأهلك ؟ قال : تركت لهم الله ورسوله ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : بينكما ما بين كلمتيكما ، وجاء رجل آخر بشىء من ذهب وذلك جميع ماله ، فقال له النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم : ألك غيره ؟ قال لا ، فأرجعها له ، فأعطاها ثانيا ، فأرجعها النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فأعطاها ثالثا فرمى بها النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم حتى كاد أن يشجه » وذلك لأنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يفعل شيئا إلا بإذن ربه تعالى ؛ فأبو بكر أخذ منه جميع ماله لأنه قال : تركت لهم الله ورسوله ، والرجل لم يقبل منه لكونه قال : ما تركت لهم شيئا . والفرق بين أبى بكر وعمر فى الفضل كالفرق بين كلمتيهما لأنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لهما « بينكما ما بين كلمتيكما » .

وقال رضى الله تعالى عنه فى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار ، تعس عبد القطيفة » إن ذلك ليس موقوفا على هذه المذكورات ، بل تعس عبد الكتاب لأنه يلهو بنقشه عن عبادة الله يخدم الخادم ويرفض المخدوم ، فربما بقى فى تدقيق المسائل حتى فاتته الجماعة أو الوقت ، وتعس عبد الهيئة فربما لا يخرج بين الناس إلا فى



هيئة مخصوصة فهو يعبدها ويسوّى عمامته ويتعب فى تحصيل ما يشترى به الثوب الذى لا يبرز بين الناس إلا به ، وإذا شغله شيء عن الله فقد شاركه فى العبادة . ومعنى ذلك أن تدخل ذكره على فكرك كلما ذكرت الله سبحانه ذكرته مثله أو أقلّ أو أكثر ، فإن كان مثله فهو معنى قوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ ومعنى قوله سبحانه ﴿ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ أى يعادلون به غيره كمعادلة المحول على البعير وهى المساواة ، وإن كان أكثر فهو معنى قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ وإن كان ذكره تعالى أعدل وأكثر فهو أوّل درجات الإيمان، وهو معنى قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ وذلك أنه بقدر ذكرك للشيء يكون حبك له ، وإذا لم يكن فى قلبك إلا الله ولا تحبّ سواه فلا تذكر غيره ولا تشتغل إلا به ، وهذه أعلى درجات الإيمان ، فلا تشتغل بنقل الرسوم ولا بغيرها عن عبادة الله سبحانه وتعالى ليكون قلبك فارغا عما سوى الله سبحانه بجميع أفعالك وحركاتك وسكناتك وأقوالك .. قيل : إن مجنون ليلى لما زارته وقالت : ها أنا ذه ما تريد منى ؟ قال لها : إليك عنىّ فإن حبك قد شغلنى عنك . وأما من أنفق بسطته فى طلب الرسوم ظانا أنه العلم فقد أخطأ ، ولو علم معنى قوله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ أن المراد علمه بالله سبحانه وتعالى لما خاض فى الرسوم والزيادة فى الأحكام فإن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وضع عنا من الأحكام ، منها أنه راجع فى

الصلاة من خمسين إلى خمس ، ومنها أنه لم يعد لصلاة التراويح خشية أن تفرض ، والعلم بالله سبحانه مستفاد من تقواه : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ وبالله التوفيق .. وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن تعارض الحديثين مثل حديث عليّ ابن طلق فى مسّ الذكر « إنما هو بضعة منك » وحديث بسرة « من مسّ ذكره فليتوضأ » .

فأجاب : أن لا تعارض بينهما ، والعمل بهما لا يرجع إلى قاعدة المحدّثين من التصحيح والتضعيف ، لأنه قد ورد الحديثان ، فإن عملنا بحديث طلق لم يبق عمل بحديث بسرة ، وإن عملنا بحديث بسرة كان العمل بكلا الحديثين فعملنا به وحكمنا بالوضوء ، لأنه إن كان ناقضا فقد توضأنا منه ، وإن كان غير ناقض فالوضوء على الوضوء نور على نور ؛ وإذا وردت أحاديث مثل أحاديث التشهد ، فالأولى العمل بها جميعا ، ففى رواية « التحيات لله والصلوات والطيبات » وفى رواية : « التحيات لله الصلوات لله الطيبات لله » وفى رواية : « الغاديات الرائحات » وفى رواية « أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له » وفى رواية بحذف (لا شريك له) ، وفى أخرى بحذف (وحده) وحذف (لا شريك له) فيعمل بالجميع تارة بهذا، وتارة بهذا، ثم قال فى حديث الزكاة « فيما سقت السماء وأنبتت الأرض » وحديث « لا زكاة فيما دون خمسة أوسق » لاتعارض بينهما ، وإنما قدر الأوسق لكونه قد أجمل فيما أنبتت الأرض فشمل الخضراوات وغيرها فبين بذكر الأوسق أنه لا يزكى إلا ما يكال وأفاد فائدة جيدة ، وهى تقييد النصاب ، فالثانى مبيِّن

والأوّل مجمل ، وفى القرآن أيضا ما هو مجمل يبين بعضه بعضا كما فى قوله تعالى ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ ﴾ هذا مجمل بينته إحدى القراءات (من أمّ) وقوله تعالى : ﴿ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ هذا مجمل بينته إحدى القراءات وهى بعد قوله (فكان أبواه مؤمنين ـ وكان هو كافرا) فهذا صريح وإن أدمج كفره فى قوله ﴿ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ .. وقوله ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ ﴾ هذا مجمل بينه الثابت فى إحدى القراءات ﴿ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن هذا الشرط **فقال** : لا يوخذ بمفهومه، بل إذا لم ترد تحصنا وهى زانية فلا يتملكها بل يبيعها ، ولا يجب عليه أن يبين للمشترى أنها زانية ، ولا يكون عدم التبيين خيانة لأن القلوب بيد الله وهو مقلب القلوب سبحانه ، فسترها هو الذى يجب عليه .. انتهى

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن الشرط الذى فى قوله تعالى : ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾.

فأجاب : إن الآية تحتمل معنيين : أحدهما قصر الصلاة من رباعية إلى ثنائية، والآخر عدم التطويل ، لأنه ثبت أنه كان يحصل لبعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم حزن بعدم التطويل ؛ وفى بعض الأحاديث « أن اثنين من الصحابة قام أحدهما يصلى ونام الآخر ، فجاء العدوّ ورماه بسهم فسهم



اثنين أو ثلاثة ، فقال النائم للمصلى : هلا أيقظتنى ؟ قال : كنت فى سورة طويلة فخشيت أن أقطعها » ومفهوم الشرط معمول به فى هذا المعنى ، وأما على كون القصر من الرباعية إلى الثنائية ، فليس الشرط معمولا به ، بل تقصر الصلاة فى السفر فى الأمن .

وسئل رضى الله تعالى عنه: عن قوله تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ .

فأجاب : بأن الحكمة هى استعمال العلم فى محاله ، وأن يجتنب ما نهاه ربه عنه على أحسن حال ، وأن يستعمل مكارم الأخلاق مع جميع خلق الله تعالى .

وقال رضى الله تعالى عنه فى قوله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ قال : المذكور فى القرآن قصة واحدة وهى ثلاث قصص : الأولى المذكورة فى القرآن وهى قوله تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ وذلك أنه لما جاء الخصمان عند داود عليه السلام حكم عليه داود أن يغرم لصاحب الزرع زرعه ، فلم يجد ما يغرم صاحب الغنم سوى الغنم ، فغرمها جميعها لصاحب الزرع ، فمرّا على سليمان عليه السلام فسألهما عن حكم داود فأخبراه ، فقال : أنا أحكم غير هذا الحكم ؛ الغنم تبقى لدى صاحب الزرع ينتفع بألبانها وصوفها ، وصاحب الغنم يقوم بمؤنة الأرض حتى تعود كما كانت عليه ، وكل واحد منهما يردّ لصاحبه حقه ،

فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ وداود حكمه ذلك هو عين الصواب لأنه حكم عليه بأن يغرم ما أفسدته أغنامه ، فقدّر الذى أفسدته فجاء بقيمة أغنامه فهو عن علم وحكم ، لكن حكم سليمان أخفّ لأن كل واحد منهما صارت نفسه طيبة بذلك الحكم .

والقصة الثانية : أن امرأتين خرجتا إلى البرية بولديهما صغيرين فجاء الذئب فافترس أحد الطفلين ، فسبقت الكبيرة من المرأتين وقد فقدت ولدها إلى ابن الصغرى فأخذته وادّعت أنه ولدها ، فتحاكمتا إلى داود وكل واحدة ادعت أنه ولدها ، لكن لما كان فى يد الكبرى حكم لها به لكون يدها ثابتة عليه وذلك عين الصواب فى الحكم ، فمرتا على سليمان فسألهما عن الحكم فذكرتا له حكم داود ، فقال : لا ، عندى حكم غير هذا ، ثم أخذ الشفرة وقال : نقسمه نصفين لكلّ واحدة نصفه ، فرضيت بالحكم التى هو فى يدها والأخرى قالت : لا تقسمه يا نبىّ الله هو ولدها قد رضيت بحكم داود ، فعلم أنه ولدها لأنه أدركها الحنان الذى لا يتفق إلا للأم فحكم لها بالولد .

القصة الثالثة : أنهم جاءوا بامرأة بكر حول فرجها منىّ ، فأراد داود أن يقيم عليها الحدّ ، فقال سليمان : ائتونى بنار ، ثم أحمى الذى يزعمون أنه منىّ على النار فنضج وإذا هو زلال بيض ، فتيقن أن ذلك كيد وأنقذها من حكم الجلد .

وسئل رضى الله تعالى عنه : ما الفرق بين العفو والغفران ؟ .

فقال: الغفران بعد العتاب ، والعفو بلا عتاب كما جاء فى الحديث : « إن الله سبحانه وتعالى يوم القيامة يكتب إلى رجل من عباده كتابا يقول فيه :



أنت فعلت وتركت يذكر ذنوبه ، ثم يقول : لكن قد غفرناها لك ولم نطلع أحدا عليها ، فيخجل ذلك الرجل غاية الخجل من ذلك » فهذا غفران . والعفو تفسيره ما ورد « أنه سبحانه وتعالى يذكر ذنوبا لرجل شائب ، فيقول : لا ياربّ ما فعلت شيئا من ذلك ، فتقول الملائكة : أما علمت ياربّ أنه فعل ولكنه كذب ؟ فيقول بلى ولكنى استحييت أن أكذب شيبته ، فيدخله الله سبحانه الجنة » فسبحان اللطيف الخبيربهذا الذنب العظيم ، وهو إنكاره لذنوبه عند توبيخه بها من المطلع عليها الذى سعد بسببه السعادة العظمى ، فهذا هو العفو ، وأىّ عفو هذا ، يعنى أن العفو كونه لم يظهر أنه كذب بل ستره ولم يعاتبه عليه.

وقال رضى الله تعالى عنه : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾ وهى الجمال والكمال ﴿ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ وهو سرّ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ والنصر العزيز لا يكون إلا لله تعالى ، ثم قال بعد تمام هذه الآية : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ أعاد الضمير مفردا ولم يعده مثنى ، فهنا نكتة بينها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ وذلك معنى قوله تعالى فى الحديث القدسى « لا يزال عبدى يتقرّب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ، ولسانه الذى ينطق به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها » كما يليق بجلاله سبحانه وتعالى :

تأمل سطور الكائنات فانها ... من الملك الأعلى إليك رسائل

وقد خطّ فيها إن تأملت خطها ... ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل

وفى بيعة الرضوان قال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم « هذه يد الله وأشار إلى اليمنى ؛ وهذه يد عثمان ، وأشار إلى اليسرى ، أو قال اليسار ، ثم وضع إحداهما على الأخرى » فظهر معنى ذلك بالفعل فى ارتقاء عثمان رضى الله تعالى عنه على المنبر إلى الدرجة التى كان يرتقى إليها النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن ولى الأمر ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا ﴾ فرقى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى درجة النبوّة ، ثم رقى أبو بكر رضى الله تعالى عنه إلى الدرجة التى تحتها وهى درجة الصديقين ، ثم رقى عمر رضى الله تعالى عنه بعده إلى درجة الشهداء وهى التى تحتها ، ثم جاء عثمان رضى الله تعالى عنه فرقى إلى الدرجة التى كان يرقى إليها النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وذلك فى شطر خلافته الأخرى ليظهر سرّ وضع يد الله سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله فى يد عثمان عند بيعة الرضوان وهم نقموا على عثمان فى ذلك ولكنهم لم يعرفوا الحقائق فى الأمور وبالله التوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وقال رضى الله تعالى عنه : « كان النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يقف على رؤوس الآى ويرتل القرآن » وذلك مأخوذ من الرتل ، وهو الفرق الفاصل بين الأسنان كما أمره الحقّ تعالى : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ فإن قراءة الفاتحة ورد فى الصحيح « أن الإنسان يقول : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴾ فيقول الله : حمدني عبدى ، فيقول ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾، فيقول الله تعالى : أثنى عليّ عبدى ، فيقول : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ فيقول الله سبحانه وتعالى : مجّدنى عبدى ، ثم يقول : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فيقول الله سبحانه وتعالى : هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل ثم يقول: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ .. الخ فيقول الله سبحانه وتعالى : هذا لعبدى ولعبدى ما سأل » فالوقوف عند رؤوس الآى حتى يجيبه ربه بذلك ، لأن شروع العبد فى الكلام الثانى قبل جواب سيده عليه فى الكلام الأوّل من سوء الأدب ، وقولهم لا يقف الإنسان عند قوله ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ إنما هو رأى لا فائدة تحته ، فإن القارئ إذا وقف على خسر استشعر القلب أمرا يجب عنده الحضور وبعد كماله فى الحضور ووقوفه فى مرتبة الخوف يبتدئ ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ كذلك فى قوله : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ يستشعر القلب وكأنه يسائل عند ذلك أو،يقف على ما يطمئن به خاطره، وذلك قوله تعالى: ﴿ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ والسائل هو الذى يمعن النظر فى التدبر ، فإذا كان كذلك فلا بد أن يحصل الخوف عند قوله ﴿ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ ثم يتأمل قليلا عند وقوفه فى هذه الأسفلية ، ثم يفتح باب الرجاء بقوله : ﴿ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ فينبغى للقارئ أن يقف على رؤوس الآى كما فعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

وقال رضى الله تعالى عنه: مدح التخلى عن الناس : قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ فى مريم عليها السلام ، وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ

إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ فنتيجة الوهب تحصل من مقدمة العزلة .

وقال رضى الله تعالى عنه : المؤمن كلما اتصف بصفة من صفات الله تعالى قرب منه إلا سورة الإخلاص فلا يشاركه فى صفاته فيها أحد ، فإن آدم عليه السلام لم يولد لكنه يلد ، وعيسى عليه السلام لم يلد لكنه يولد من جهة الأم لا من جهة الأب ، والله سبحانه وتعالى : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ لا إله إلا هو آمنا بالله وكتبه ورسله .

وقال رضى الله تعالى عنه : تأملت فى قوله تعالى فى قصة سليمان عليه الصلاة والسلام ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ ﴾ وقال للنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ فلاح لى المعنى بحمد الله فسررت به ، وهو أن الله سبحانه وتعالى تولى أمره جميعه فى جميع أحواله فى حركاته وسكناته وإقدامه وإحجامه وسيره ووقوفه ونطقه ، فهو سبحانه بصره ولسانه وسمعه ويده .

قيل لبعض الأولياء وهو أبو يزيد رضى الله تعالى عنه: فوّض أمرك إلى الله فقال : ليس لى أمر فأفوّضه إليه ، وفرقان بين الأمر من الله سبحانه وتعالى وبين الأمر من العبد .

وقال رضى الله تعالى عنه فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾ وهو جلّ جلاله إذا أمر بخلق حسن فهو أحقّ به بدليل « ما كان الله لينهاكم عن الربا ويأخذه منكم » فهو أحقّ سبحانه إذا حضر قسمة الرحمة منه سبحانه وتعالى بين خلقه أن يرزق منها من أساء من خلقه وهو أرحم

الراحمين لا يحكم على خلقه حكما إلا وهو أولى به جلّ وعلا ، وحين خرج موسى عليه السلام يستسقى بجميع قومه أو حى الله إليه : أن فيكم رجلا نماما خطاء، فقال : ياربّ عرّفنى من هو أستتيبه ؟ فقال : كيف أنهى عن النميمة وأكون نماما . سبحانه وتعالى ما ألطفه بخلقه ، وأمره أن يأمرهم جميعا بالتوبة فيكون من جملتهم . وفى الحديث ما معناه : إن الله لا يعذّب مسلما تسمى باسم نبىّ كرامة له من حيث اتحاد الاسم ، ولا يعذّب الله سبحانه وتعالى من تسمى مؤمنا يقول : أنا المؤمن وقد سميتكم المؤمنين فقد وافق اسمكم اسمى فادخلوا فى رحمتى ، وهذا أعظم الرجاء ، ثم قال : واجعل الخوف فى معادلته فإنه ليس للتسويف هنا مسلك بل الرجاء يكون أكثر من الخوف ، لأنه ورد أن المحتضر للموت إذا كان عنده أحد فليذكره بالرجاء وسعة الرحمة ، كذلك الإنسان فإنه في كل حالة محتضر : ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ فليس للتسويف هنا من مدخل .. ﴿ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ ومن هنا يتولد التسويف ، يعنى من طول الأمل وهو استبعاد الآخرة لا من الرجاء.

قيل لرجل صالح : علمنى ، فقال : أجمع لك التوراة والزبور والإنجيل والفرقان فى ثلاث كلمات : أن تخاف الله تعالى خوفا لا يكون شىء أخوف عندك منه ، وترجوه رجاء أشدّ من خوفك منه ، وأن تحبّ للناس ما تحبّ لنفسك. وفى الحديث « أنا عند ظنّ عبدى بى فليظنّ بى ما شاء ».

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ من هو الظانّ هنا؟ .

فأجاب: بأن الظانّ هو الرجل لا يوسف لأنه لا يجوز الظنّ على يوسف عليه الصلاة والسلام لأنه أوحى إليه الحقّ سبحانه وتعالى بتأويل الرؤيا، والظنّ لا يغنى من الحقّ شيئا « وإياكم والظنّ فانه أكذب الحديث » فكيف يظن يوسف فيما أوحى إليه ربه سبحانه وتعالى ، وقد غلط المفسرون فى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ أن الظن هنا فى موضع العلم وليس كذلك ، بل الظنّ هنا فى محله ، والمراد أنهم يظنون فى صلواتهم تلك أنهم ملاقو ربهم فيصلون صلاة مودّع ، وهذه حالة المؤمن أنه فى كل حالة يترقب الموت .

وقال رضى الله تعالى عنه : قال رجل صالح لآخر : من أين أقبلت؟ فقال: من الصيد ، قال : أو لست محرما ، يعنى أنهم قاصدون ربهم كما يقصد الحاج مكة ، فإن الحاج يحرم حتى يقضى مناسكه ، كذلك هم محرمون حتى يلاقوا ربهم ، فإذا لقوه أحلّ لهم كل شيء، وهذه حالة عظيمة ، وهى سرّ قوله صلى الله عليه وآله وسلم « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » وقال تعالى : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ حتى الغنم والبقر سالمة من شرّهم، والحال أنهم يذبحونها لكن ذلك بغيتها ، فإن أكل المسلم لها عندها كالشهادة عندنا ، فذلك الذبح أوصلها بغيتها التى لا بغية لها فوقها ، وقوله « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » هو من حديث تمامه « والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه ، والمجاهد من جاهد نفسه

وهواه » وهو الجهاد الأكبر ، وقوله « المهاجر من هجر ما نهى الله عنه » أى إذا رأيت منكرا وما قدرت على إزالته تركته وقمت عنه وانتقلت إلى موضع غير ذلك الموضع ولو بمسافة يسيرة ، فإن خطواتك تلك خطوات هجرة ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ أى يظنون فى ذلك القتال ، لأن المجاهد الصابر متيقن لأحد الأمرين ، إما الشهادة أو النصر ، ومتظنن أيهما يقع ؛ بخلاف الفارّ من الزحف فإنه ليس من الأمرين ، لأن النصر قد فقد بالفرار لا محالة وكذلك الشهادة ، والفرار أيضا لا ينجيه من القتل إن كان كتب عليه ، فربما وقع فيما فرّ منه وحرم إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ فالظنّ فى محله كما ترى .

وقال رضى الله تعالى عنه فى تفسير قوله تعالى : ﴿ لإِيلافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ رحلة الشتاء والصيف هو إتيان الحجيج إليهم : أى قريش فى الشتاء إن كان الحجّ شتاءً، أو فى الصيف إن كان وقت الحجّ فى الصيف لأنهم يقبلون إلى مكة من كل فجّ عميق ، ويقتحمون الأخطار والمشاقّ ، ويأتون بأرزاق أهل مكة : ﴿ يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وهذه هى المنة العظيمة عليهم أن غيرهم يسعى إليهم برزقهم مع مشقة عليه وأىّ مشقة ، يقاسون من الشدة والتعب والبرد إن كان الحجّ فى الشتاء ، ومن شدّة الحرّ إن كان الحجّ فى الصيف ، وهم ماكثون قاطنون فى أوطانهم آمنون كما تراهم الآن ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾

الذى هو السبب فى ذلك ﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ لا كما ذكر المفسرون من أنها رحلة اليمن والشام يرحل إليهما أهل مكة وهم قريش ، لأن الله سبحانه أراد أن يظهر لهم النعمة التى هم فيها ويعرّفهم بها . وأما إذا سافروا بأنفسهم فهم كغيرهم من الناس ، بل يحمل إليهم من محاسن جميع الأرض وهم واقفون فى أوطانهم يأتيهم بها غيرهم ، وهذه هى النعمة العظيمة التى لا نعمة فوقها .

وسئل رضى الله تعالى عنه : عمن رأى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم على غير الصورة التى هو منعوت بها هل يعمل بها أم لا ، وهل الرؤيا على غير هذه الصورة حقّ أم لا ؟

فأجاب : إنها رؤيا حقّ ، وأن من رأي النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فقد رآه حقا وإن كان على غير صورته ، بدليل أن جبريل عليه السلام كان يجيء للنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم على صورة دحية ، وإنما تختلف حالات الرائين له صلى الله عليه وآله وسلم ، ففى المرآة تنظر صورتك ، فإن كنت حسنا رأيت حسنا ، وإن كنت قبيحا رأيت قبيحا ، كذلك من رأى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يراه على قدر عمله مع الله سبحانه وتعالى ، والمؤمن مرآة أخيه ، وأما إذا أمره بأمر أو نهاه عن نهى ، فإن كان على الصورة المنعوت بها صلى الله عليه وآله وسلم فأمره فى النوم كأمره فى اليقظة فى أنه يتبع ، وكذا ما نهى عنه . وأما إذا لم يكن على صورته تلك فلا يتبع إلا إذا وافق الشرع ، ثم ذكر رضى الله تعالى عنه فى المرآة معنى آخر فقال : والمرآة هذه آية عظيمة ، فإنك ترى صورتك فيها متيقنا لذلك ، وتعلم أيضا يقينا أنها ليست صورتك ، فهو عدم ووجود فى حالة واحدة ضدان

لا يفترقان ، وكذلك حين خلق الله آدم قبض يديه تعالى كما يليق بجلاله ثم قال لآدم اختر أيهما شئت ، فقال : اخترت يمين ربى ، وكلتا يدى ربى يمين مباركة كما يليق بجلاله سبحانه وتعالى ، ففتحها فإذا فيها آدم وذرّيته وجميع الأنبياء كما ورد ذلك فى الحديث ، فذلك الظهور وجود فى عدم ، وعدم فى وجود ؛ فسبحان الله العظيم .

وسئل رضى الله تعالى عنه: عن قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٩٧) وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (١٩٨) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾ .. **فقال** : الضمير فى يعلمه يعود إلى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ، والعلماء منهم هم الذين آمنوا بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم . وأما الذين لم يؤمنوا به فليسوا بعلماء بل هم أجهل الجهال ، حتى إنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ قال بعض من آمن بنبينا صلى الله عليه وآله وسلم وهو عبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه، آمن بالنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم : والله إنا لنعرفه أعظم من معرفتنا لأبنائنا ، لأن أبناءنا قد تخوننا أمهاتهم . فهذه آية لمن كفر وأىّ آية. وذلك أن علماء بنى إسرائيل آمنوا به لما علموا أنه رسول الله خاتم النبيين نبىّ الساعة الموصوف عندهم فى التوراة والإنجيل كما قال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ أى أن

مثل كل منهم فى التوراة والإنجيل ، وكما ثبت أنّ آدم سأل ربه أن يريه صور بنيه : أى الرسل منهم ، فأراه صورهم ، فصوّرهم آدم وجعلهم فى خزانة ، فلماوصل ذو القرنين سرنديب أخرج تلك الصور ليجعل لكلّ نبىّ تمثالا ففعل ذلك ؛ ثم إن نفرا من المسلمين رحلوا إلى هرقل فهللوا حتى تحرّك البنيان وغلق الأبواب والشجر، فقال لهم هرقل : أهكذا يكون فى بلادكم ؟ قالوا : لا ، وإنما وقع هنا لشيء يعلمه الله ، فقال هرقل : ما أحسن الصدق ، فسألهم عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فأخبروه ، فعمد إلى الصندوق وجعل يخرج صورا ويقول عند كل صورة : أهذه صورته ؟ وهو يقول لا ؛ فلما وافق صورة من الصور قال : هذا نبىّ الساعة وشأنه هذا ثابت إلى يوم القيامة ، فهذا يدلّ على أن للنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه أمثالا عندهم فى التوراة والإنجيل حتى لا يشكوا فى معرفتهم ، فهم معروفون عندهم بالصفات والذوات فهماً ورؤية ؛ ولما رأوه صلى الله عليه وآله وسلم بتلك الصفة التى فهموها ورأوها آمنوا به وهم على يقين لا يشكون ، بل أوضح من الشمس ، فهذه آية لمن كفر . وقوله : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ۞ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم ﴾ أى القرآن ﴿ مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾ أى أنهم يعرفون النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم من حين ولادته بينهم لم يجالس شاعرا ولا كاهنا ولا أحدا من بنى إسرائيل ، فيقولون : تعلم شعرا أو سحرا أو أخبره بنو إسرائيل بسبب مجالسته لهم ، بل يعرفونه فيهم أميا لا يفارقهم ، فلما أقيمت عليهم الحجة لم يؤمنوا به ، قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ۞ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم ﴾ بلسان فصيح ﴿ مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾ وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ

شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾ ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾.

وقال رضى الله تعالى عنه : قال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه ، وأحبونى لحبّ الله ، وأحبوا أهل بيتى لحبى » وفى حديث آخر « لا يكون المسلم مسلما حتى تكون ذاتى أحبّ إليه من ذاته ، ونفسى أحبّ إليه من نفسه ، وعترتى أحبّ إليه من عترته » .

قيل : إن رجلا من المغرب نزل على بعض السودان ضيفا . فخرج به فى بعض الأيام إلى البرية ، وإذا ملك السودان يتمشى بعساكره وخيله ؛ فلما بلغ من مرآهم ما يتميز به بدن الأسود من الأبيض ، ترجل ثم بقى يمشى راجلا حتى جاوزهم بمسافة ثم ركب ، فقال الأسود للمغربى : أتعرف لمن ترجل الملك ؟ قال : لا أدرى ، قال : لما رآك أبيض نزل تأدبا مع النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لكونه أبيض . فانظر إلى هذا التأدّب يترجل من فوق فرسه لأجل اللون الذى وافق لون النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم .

وسئل رضى الله تعالى عنه: عما وصل إلى الثوب من الماء الذى يرشّ به الأسواق بعد وصوله إلى الأرض .

فأجاب : بأنه طاهر وأن أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه ورضى عنه دخل المسجد بعد أن خاض فى الطين بعد أن توضأ وقدماه غير جافتين بلا نعال ولا شىء بعد أن مشى فى الطريق العامة . وقال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم « الأرض يطهر بعضها بعضا » ولم يأمر بتطهير النعال بماء ، بل كان يصلى بنعليه والصحابة بعده بنعالهم، فنزل فى بعض الأحيان جبريل يخبره أن فى إحدى نعليه عذرة ، فخلعها وبنى على صلاته

تلك وخلع الصحابة نعالهم ؛ فلما فرغ قال لهم : لم خلعتم نعالكم ؟ قالوا : اقتداء بك يارسول الله ، فقال : إنما أخبرنى جبريل.. الحديث .

وسئل رضى الله تعالى عنه: عن أصول الريش والشعر .

قال: مسكوت عنه والمسكوت عنه عفو ، وقد ثبت أن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ركب فرسا معرّاة، ومعلوم أنه لابد أن يقلع من شعرها ويعلق بثيابه .

وسئل رضى الله تعالى عنه: عن الصلاة على النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فى التشهد الأوسط. **قال:** ذلك غير وارد ، فقال السائل: لكنه قد ذكر، وفى الحديث « البخيل كل البخيل من ذكرت عنده ولم يصلّ علىّ » وحديث آمين لما قال جبريل « من ذكرت عنده ولم يصلّ عليك فأبعده الله ، فقلت آمين » قال: قد سلمنا عليه فى التشهد الأوسط وصلينا عليه فى التشهد الأخير ونحن فى ذكر واحد لم نخرج عنه ، فقيل له : ما الصلاة البتراء؟ قال : أن تصلى عليه من دون آله لأنها تنزع منها البركة ، لأن من صلى عليه واحدة صلى الله عليه بها عشرا ، وكذلك آله تعود عليه من كل واحد منهم عشرا عشرا بالغا ما بلغوا ﴿ فمنكم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ﴾ .

وسئل رضى الله تعالى عنه: عن القاتل هل له توبة؟ **قال:** نعم ، قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ فيبدّل قتله

ذلك كأنما قتل كافرا فى سبيل الله ، وعبادته لغير الله كأنما عبد الله فى تلك المدّة ، وزناه كأنه نكح أهله ، كذلك ما رواه البخارى وغيره فيمن قتل تسعة وتسعين نفسا وحبرا ، وقتل الحبر من أعظم البلاء . وروى أنه بعد أن قتل سبعة وتسعين سأل حبرا ، فقال : لا توبة لك فقتله ، ثم ثانيا ثم ثالثا حتى كملوا مائة ، فأتى حبرا عارفا بحقائق الأمور فسأله ، فقال : وما يمنعك من باب التوبة ؟ فقال : وكيف أصنع ؟ قال : اذهب إلى قرية كذا فإن فيها رجالا يعبدون الله تعالى فائتهم واعبد الله فيهم حتى يأتيك اليقين ، ففعل ؛ فلما وصل نصف الطريق قبض الله روحه ، فابتدرته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فاختصموا ، فجاءهم ملك فحكم بينهم أن يقيسوا مسافة الأرض من حيث سافر فى التوبة وإلى المحلّ الذى يريده ، فإن كانت مسافة السير من حيث تاب إلى هنالك أكثر كان لملائكة الرحمة ، فأمر الله تلك المسافة أن تمتدّ فامتدّت ، والأخرى أن تنزوى فانزوت حتى كانت التى سافرها أكثر فخطفته ملائكة الرحمة ، وهذا الرجل من بنى إسرائيل مع أن الله سبحانه وتعالى كتب عليهم : ﴿ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ فهو كمن قتل الناس جميعا مائة مرّة ، فما ظنك بمن كان من هذه الأمة وقد رفع عنهم إصرهم وبقى لهم الخير ممن سبق من الأمم قبلهم ، فمن قتل منهم نفسا فما قتل إلا إياها لا يكون كمن قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ، فهو بالتوبة أحقّ وأجدر . وأما ماقال ابن عباس : لا توبة لك ، فذلك رجل كان يقتل ثم يتوب ، فقال : هل لى من توبة ؟ فقال له : لا توبة لك لأن نيته أن يقتل ثم

يتوب لأن ذلك إصرار . وأما من فعل الذنب ثم بعد أن فعله تاب وندم إنما غلبه هواه والشيطان وحكم عليه القدر ، فتلك توبة مقبولة لا محالة ، ومن ثم ما كان من الزجر الوارد فى الكتاب أو فى السنة يبقى على حاله كقوله صلى الله عليه وآله وسلم « سبعة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : الناكح يده ، والزانى بحليلة جاره ، والضارب والديه حتى يستغيثا ، والمؤذى جيرانه حتى يلعنوه ، ومدمن الخمر ، والفاعل والمفعول به » وأمثال ذلك ، لأنّ معاملة الله سبحانه وتعالى عبده يوم القيامة على مقتضى حكمته ، كذلك هذا الرجل الذى من بنى إسرائيل قاتل المائة ، من ذا يعلم أن مثله يتاب عليه إذا قتل ؟ . وقد ورد فى حديث أنه يخرج رجل من النار بعد كذا أعواما واسمه هناد وهو مقطوع بخروجه من النار إلى الجنة ، فأىّ مزية أعظم من هذه . وفى حديث آخر « أنه توزن أعمال رجل فتستوى الحسنات والسيئات فيقال له : لو زادت حسنة لرجحت ودخلت الجنة ، فامض إلى الناس فالتمس منهم حسنة ، فيمضى على أناس لهم حسنات كالجبال، فيستعطيهم حسنة فلا يرضون ، فيمرّ برجل له حسنة واحدة وسيئات كثيرة ، فيقول له : خذ هذه الحسنة التى معى فإنك أحقّ بها منى لكونك بها تدخل الجنة ، فيقال له : خذ بيده وادخلا الجنة » وهذا الإيثار عند الله سبحانه وتعالى أمر عظيم . فقال بعض أصحابه : وأنا سمعت أن رجلين انكسرت بهما سفينة فبقى أحدهما على لوح فالتفت إلى صاحبه وقال له : ألك أهل ؟ قال: نعم ، قال : فاركب على اللوح فإنك أحقّ بالبقاء منى لأنى ليس لى أهل. ومن الناس رجل يؤمر به إلى النار فيقول : ربّ كيف تعذّب رجلا شاب فى الإسلام ؟ فيدخله الله الجنة ، ولو كان دخوله الجنة لشيبه لما دخل النار شائب

ولكن معاملات الحقّ في ذلك اليوم على مقتضى حكمة الله ، وفيه يحاسب على مثاقيل الذرّ .

وقال رضى الله تعالى عنه : إن الله سبحانه وتعالى حرّم فى مكة الصيد وأن لا ينفر ولا يقطع شجرها ، وذلك لحرمة الجوار ، فما ظنك بمن مات بها وهو هنالك مرميّ وحده فى قبره فى جوار الله تعالى مفتقر إلى رحمته ، وأيّ ثبوت يثبت له حقّ الجوار ، فقال له رجل من الحاضرين : قيل إن ابن عباس رحل عنها وقال : لا أحبّ أن أسكن فى بلد تتضاعف فيها السيئات كما تتضاعف فيها الحسنات . فأجاب : ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان يعمل بالرخص. قيل : إن مالكا دخل على الرشيد فقال له : اتق رخص ابن عباس وعزائم ابن عمر ، قال مالك : فخرجت من عند الرشيد عالماً. وكان رجل لا يفتر عن العبادة والبكاء وصاحبه لا يفعل شيئا من ذلك إلا ما وجب عليه ، فقيل له فى ذلك ،فقال : كلانا نقرأ فى صحيفة واحدة ، وهو يقرأ ﴿ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ وأنا أقرأ ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

وسئل رضى الله تعالى عنه: إذا تكلم أحد بكلمة الردّة فى حالة غضب هل يحكم عليه بالردّة أو لا ؟ ..

فأجاب : أن لا تقام عليه حدود حكم الردة ، لأن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال « ادرءوا الحدود بالشبهات » وأيّ حالة أعظم من حالة الغضب ؛ بل يمهل حتى يفيق من غضبه ثم يكلم بما ثبت دليله من العقل ، فإن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم به ﴾ . وأيضا « مرّ أبيّ بن كعب على رجل يقرأ آية من كتاب الله على خلاف ما

قرأ أبىّ ، فأتى به إلى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكل واحد منهما اقرأ، فقرأ كل واحد منهما قراءته التى كان سمعها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال لهما : كلاكما محسن وكلاكما مجمل ، فقال أبىّ : ما كلانا محسن ولا كلانا مجمل ، قال أبىّ : ودخلنى من الشكّ مثل ما كنت عليه فى الجاهلية أو أشدّ ، فطعنه النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فى صدره وقال : اللهمّ أخسئ منه الشيطان ، فقال أبىّ : فكأنى أنظر إلى الله فرقا ولم يحكم عليه النبىّ بردّة » وكذلك إن بعض الصحابة قالوا للنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم « الله أكبر الله أكبر الله أكبر إنها السنن ؛ والذى نفسى بيده لقد قلتم كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ **اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ** ﴾ » فلم يحكم عليهم النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بردة ولم يأمرهم بتطليق نسائهم . وفى الحديث « إن رجلا قال لما لقى جمله بعد أن شرد عليه : اللهمّ أنت عبدى وأنا ربك ، فضحك النبِىّ صلى الله عليه وآله وسلم حين حدثهم بهذا الحديث » وهو يدلّ على أنه لا يؤاخذ على ذلك .

وسئل رضى الله تعالى عنه: عن قوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ** ﴾ .

فأجاب : إنه قد غلط فى تفسيرها كثيرون بما ذكروا من أنه دس إبليس فى النجم : تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهنّ لترتجى ، وهذا لا يحكم به عقل ولا يقول به من له أدنى مسكة من قواعد الإيمان ، فلو كان ذلك لحصل شكّ فى جميع الكتاب والسنة ولبطلت الشرائع ، حيث تمكن إبليس من

أنه ينطق على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ حاشا وأبعده الله أن يتمكن من ذلك ثم إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا اتفق له ذلك فكيف صورة القصص التي اتفقت للنبيين قبله لم يسمع شيء من ذلك في كتاب منزل من الكتب المتقدمة ولا عن بني إسرائيل في حديث من أخبارهم ولا عن سلف ولا عن خلف ، ولكن تفسيرها ظاهر لا غبار عليه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ . وأماني الرسل وبغيتهم أن يؤمن قومهم ، فيلقي الشيطان في أمنيته تلك بأن يفسد عليه قلوبهم فلا يؤمنوا ، بل يقولون حين يدعوهم للإيمان كما قال قوم نوح : ﴿ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾ وقوم شعيب : ﴿ يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ ونحو هذا كثير فكلّ نبيّ يتمنى أن يؤمن قومه فيلقي الشيطان في أمنيته تلك : ﴿ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ﴾ من قلوب من آمن منهم ﴿ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ وذلك ما خيل لهم من أن نوحا بشر مثلهم وما هو عليهم بعزيز ، ومثل تصويره لهم أن تركهم لما يعبد آباؤهم لا يكون وأنه من المحال : ﴿ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ فانظر إلى عود الضمائر من قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ ﴾ أي يعلمون أن ما جاءهم به رسولهم هو الحقّ

فيؤمنوا به ، فالذى يلقى الشيطان يكون فتنة للذين فى قلوبهم مرض والذين أوتوا العلم لا يؤثر فيهم ما يلقى الشيطان ، بل يعلمون أن ماجاءهم به رسولهم هو الحقّ فيؤمنوا به .

وقال رضى الله تعالى عنه : إذا سبقت العناية لشخص أوصله أدنى سبب إلى أعلى مقام . أوحى الله إلى موسى عليه السلام : هل علمت ما سبب أنى جعلتك نبيا كليما ؛ قال : ياربّ أنت أعلم ، قال : لما نفرت عليك الشاة وأنت ترعى الغنم لشعيب لحقتها بعد ما أتعبتك. ، ثم لما أمسكتها لم يعترك عليها غضب . وقيل إن رجلا أمسك قلمه وهو ينسخ لما نظر إلى الذباب يمصّ من القلم ، فأوقف يده رحمة له ، ففتح الله عليه فى الحال بأن رأى المداد يجرى فى عروق ذلك الذباب . ورجل دخل الجنة من أجل كلب جاءه وهو ينبح على شفير بئر من العطش ولم يتمكن من الشرب ، فأرسل الرجل ثوبه وجعل يعصره فى حلق ذلك الكلب حتى ارتوى، وعاتب الله سبحانه وتعالى نوحا عليه السلام حين نظر إلى كلب نظرة مستقبحا له ، فقال : يا نوح إنى ما خلقت شيئا عبثا ، فإن كنت لا تعلم بالمصلحة التى لأجلها خلقته فقلد خالقه . وعذّبت امرأة من أجل هرّة حبستها لا هى أطعمتها ولا هى أطلقتها تأكل من خشاش الأرض . فانظر إلى مقادير الأعمال أدنى سبب مقرّب ، وأدنى سبب مبعد .

وقال رضى الله تعالى عنه: كان النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يحبّ من اللحم الساعد والكتف ، فمحبته للكتف لأن الله سبحانه وتعالى وضع يده بين كتفيه الحديث . وأما محبته للذراع فموافقة لحديث « من تقرّب منى شبرا تقرّبت منه ذراعا » وقد غلط بعض العلماء حيث قال : إنهم كانوا



لا ينضجون اللحم فكان الذراع والكتف أسرع نضجا .

وقال رضى الله عنه : المؤمن فى الدنيا ذليل لله سبحانه وتعالى حتى إنه قال الشبلى : عطل ذلى ذل اليهود ، وذلك أن المؤمنين خاضعون لله خاشعون ، ثم إنك إن نظرتهم فى السجود وهو أعظم التذلل رأيتهم يضعون وجوههم على التراب وعلى الأرض الذلول ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً ﴾ وفى الآخرة ينتقل إليهم العزّ الدائم الذى هو بإعزاز الله لهم ، وينتقل الذل الدائم الذى هو بإذلال الله إلى الكفار ، وفى الدنيا إذا عزّوا فإنما هو بإعزاز أنفسهم وليس بعزّ ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ ثم يوم القيامة يتمنى الكافر أن يكون ترابا : أى فى الدنيا حين يرى ما أعطى من النعيم من كان ذليلا فى الدنيا ، فيتمنى لو كان فى الدنيا ترابا الذى هو أذلّ شىء ، ثم ذكر للشبلى هذا دعوة دعا الله بها بأن قال : ياربّ املأها بالشبلى ، يعنى النار ، وذلك لشدة الرحمة بأهل النار ، فإذا ملأها به لم يدخل النار أحد لأنها قد امتلأت وهو لما يعرف من قربه من الله سبحانه وتعالى وحبه له وإيمانه به لم يخف من النار ، فإنها لا تؤثر فيه ، وهى أشبه بمقالة عمر بن الخطاب حيث قال : وددت أن أكون كبشا فيطعمنى أربابى حتى أسمن ، ثم يضعون الشفرة على أوداجى فيذبحونى ثم يطعمون منى أضيافهم ويتصدّقون ويأكلون ، وذلك لأنه يعلم من نفسه بمصاحبته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولما يعلم من عناية الله سبحانه وتعالى أنه إذا أكل أحد منه شيئا لم يدخل النار ، لأنه لابد أن تجرى تلك الأكلة فى جميع عروق البدن فيتربى منه لحم فلا تسلط النار على اللحم الذى قرب من لحم عمر، ومن أجوبة عمر رضى الله تعالى عنه لما

قال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم « كيف بك يا ابن الخطاب وقد أتاك في قبرك ملكان يخطان الأرض بأنيابهما ولحظ أعينهما كالبرق الخاطف ، فقال : يا رسول الله وعقلي هذا معي ؟ » يشير إلى أنها عند المصادرة للأمور تتغير العقول وتدهش وتنتقل الأحوال ، ألا ترى أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم عالمون أن الهزيمة في الحرب لا تنفعهم لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ فقوله ﴿ وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ تبكيت وتهديد بأنهم إذا فرّوا لم يمتعوا إلا قليلا ، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى جعل لكل إنسان أجلين ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ﴾ وإذا وصل أرحامه وأطاع والديه أخره إلى الأجل المسمى ، وإن فرّ من الزحف أو فعل ما علم الله سبحانه من معاص مخصوصة قضى أجله في الأجل الأوّل ، فهم على يقين أن الفرار لا ينفع مع أنهم فرّوا في يوم حنين ، وذلك أن العقول تطيش عند لقاء العدوّ ، فلا يكاد يعرف الصواب ، ولذا ينبغي للإنسان أن يسأل الله العافية وقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم « لا تتمنوا لقاء العدوّ ، فاذا لاقيتموهم فاثبتوا » وكذلك يسأل الله العافية من كل ما يحتاج معه إلى الصبر ، ففي الحديث « سمع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم رجلا يقول : اللهمّ إني أسألك الصبر ، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم : سألت الله البلاء فاسأله العافية » يعني أن الصبر لا يكون إلا عند مصيبة أو أمر فيه امتحان ، فيسأل الله العافية مما يكون معه الصبر .

وسئل رضي الله تعالى عنه: عن قوله تعالى : ﴿ لاَّ يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ ﴾ وفي قراءة ﴿ إِلاَّ مَن ظَلَمَ ﴾ .

فأجاب : إنّ إلا تكون استثنائية وتكون استدراكية ، وفى هذا الموضع يستقيم المعنيان ، فإن كانت استثنائية فالمعنى أن الجهر بالسوء لا يحبه الله إلا من ظُلِم فلا بأس ، وذلك حيث ينازع الرجل خصمه لولا أنه يجهر بالسوء لما ظهر الحقّ ، وعلى قراءة من ظلم بالفتح يقدّر(إلا من ظلمه) . وله شواهد من كلام العرب ، ولكن الاستدراك أولى بالمقام ، ويكون المعنى لا يحبّ الله الجهر بالسوء لكن من ظلم فلا يحبّ الله الجهر بالسوء منه ، بل العفو أولى به وهو الذى يحبه الله منه ﴿ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ ولا يكون العفو ممن ظلم إلا لمن نوّر الله بصيرته وهى درجة عظيمة ، فإن من فعل شيئا بالعبيد لأجل مولاهم فحقّ عليه أن يعامله بما عاملهم .

وقال رضى الله تعالى عنه : قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ أى أخرج سبحانه وتعالى النخلة من النواة ، فالنخلة وهى حبة تنمو أخرجها من النواة الميتة التى لا تنمو ، ثم أخرج من النخلة الحية التى تنمو التمرة الميتة التى لا تنمو ، كذلك الحبة وكذلك الإنسان، فإنه تعالى أخرج هذا الحىّ الذى يقوى ويتحرّك وخلق فيه العقل الذى عليه المدار من الميت وهو المنى ، ثم أخرج من الحىّ الذى هو الإنسان الميت الذى هو المنىّ ، ثم يعلم جلّ جلاله ما تغيض الأرحام وما تزداد ، والعلم فى حقه سبحانه وتعالى هو بمعنى البصر ؛ فيعلم المعدوم كما يعلم الموجود ، ويبصر المعدوم كما يبصر الموجود ، فإن هذه النواة والنطفة والحبة من ذلك ﴿ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ ﴾ من النطفة : أى ما لم يتخلق فيها

﴿ وَمَا تَزْدَادُ ﴾ : أى ما يتخلق فيها ، والتى تتخلق يعلم كم منها إلى يوم القيامة : ﴿ وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا ﴾ أى ما يستقرّ منها ، يفسره قوله ﴿ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ ﴿ وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ وهو الذى يزلق عن الرحم إذا قضى أجله، وهو إما نطفة أو مضغة ، وذلك من أوّل منىّ خرج وهو من آدم عليه الصلاة والسلام إلى يوم القيامة ، والعلم فى حقه تعالى بصر ، قال تعالى (بكل شىء عليم – بكل شىء بصير – بما تعملون بصير – بما تعملون عليم) فمتعلقهما واحد ؛ ثم إنه تعالى يعلم الشجرة التى فى بطن النواة ، ثم ما يخرج من الشجرة من تمر ، فربما يكون فى كل سنة وسق أو وسقان مدة عشرين أو ثلاثين سنة يعلم عدد هذه التمرات وهى فى بطن تلك النواة إلى منتهاها ، ثم ما يغرس منها فتنمو منها نخلة ثانية ثم ثالثة ثم رابعة إلى يوم القيامة ، وما لم يغرس بل يلقى، كل ذلك يعلمه فى بطن هذه النواة الواحدة ، وعلمه تعالى بمعنى البصر فهو يرى جميع ذلك حبة حبة وإنسانا إنسانا وهم فى العدم ، فسبحان العالم جلّ جلاله وتقدست أسماؤه ولا إله غيره ، قال تعالى ﴿ فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ أتبع فلق الحبّ والنوى بفلق الإصباح وهو تنفس الصباح ؛ لما كوّر الليل على النهار وأولجه فيه أراد أن يكور النهار على الليل ويولجه فيه ففلق الإصباح كما يفلق إهاب الشاة إذا أريد سلخها ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴾ وقد يشمّ بعض الناس لتنفس الإصباح رائحة كما يتنفس الإنسان فتخرج رائحة فمه ﴿ وَجَعَلَ اللَّيلَ سَكَنًا ﴾ أى يسكنون فيه من حركات النصب والتعب ﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾ أى يعرفون بهما الحساب ، ولا يخفى ما فيهما من منافع لا تحصيها الأقلام ﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ ﴿ وَهُوَ الَّذِي



جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾: أى فلا ينبغى أن يستنبط منها غير ما خلقت له كما يستنبط المنجمون من القرانات وغيرها ، لأن الشيء لا ينبغي أن يستعمل إلا فيما خلق له ، ألا ترى أن الله سبحانه وتعالى خلق الثوم وجعله دواء لعلل كثيرة فهو خلق له ثم بسبب أكله تتأذّى الملائكة ، حتى إنها إذا كانت رائحة الفم منتنة تختطف ما نطق به اللسان من خير من الهواء ، وإذا كانت الرائحة طيبة ابتدرت لأخذه من داخل الفم ، لكن لما كان خلقه لمنفعتنا لم يضرّ تأذى الملائكة به ولم يحرّم علينا ،بل هو جار فيما خلق له كذلك النجوم خلقت لنهتدى بها فى ظلمات البرّ والبحر فلا نتعدّى ذلك ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ أى منها ما يستقرّ فى الأرحام ومنها ما يزلق منها ولا يتخلق بل يبتدره أجله ، وذلك معنى قوله تعالى : ﴿ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ وذلك لأن العرب تسمى الخيل المحفوظة المربوطة التى يأتون إليها بعلفها ومائها مستقرّة ، ويسمون ما أرسلوها ترعى وتسقى بنفسها مستودعة ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا ﴾ ـ هذا فى مقابلة قوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ ـ ﴿ نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ﴾ ـ هذا فى مقابلة قوله تعالى : ﴿ مُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ﴾ ﴿ وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ وهذا مثله إنما ذكر تعالى الحبّ أوّلا فى مقابلة قوله ﴿ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ﴾ ثم أتبعه بقوله ﴿ وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ فى مقابلة قوله

﴿ وَالنَّوَىٰ ﴾ والدانية : هى ما سهلت على الإنسان أسبابه وإن كانت النخلة عالية لكنها باعتبار ما خلق الله سبحانه وتعالى للإنسان من الأيدى والأرجل دانية لأنه يلصق بها ثم يصعد فيها فيجنى ثمرها ﴿ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ ﴾ أخرجها من ميت كذلك ﴿ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ﴾ أي وجميع ما ذكر مشتبها وغير متشابه ، فقد تكون الحبة الواحدة من العنب نصفها أسود ونصفها أبيض أو أحمر ، وكذلك التمر ، وكذلك الرمان قد تكون الحبة الواحدة ذات لونين ثم لظهر كل حبة لون ولباطنها لون سبحانه وتعالى .

وقال رضى الله تعالى عنه : قد يكون الدعاء فى الساعة التى يتجلى فيها الحقّ سبحانه وتعالى بصفة الوهاب فلا يردّ فيها الدعاء ولو كانت من كافر ، فإن إبليس قال: ﴿ رب أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ وهو مطرود ملعون نجس الباطن والظاهر ، فاستجيب له و ﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾ ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ ومن هنا نهانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن لعن الدوابّ وغيرها حتى إن المرأة التى لعنت جملها وهى فى سفر ، قال « قد استجيب لك ولا نقبل ملعونا ، اطردوا الجمل فطردوه ، وكان كلما أقبل إليهم الجمل طردوه بالخيل » فحرمت المرأة الجمل وظلمته بسبب لعنها له ، والرجل الذى رأى قيام يوم القيامة ، وذلك أنه سرق سرجه فسأل عنه فقيل له : قد سرق ، فقال : ذهب فى لعنة الله ؛ فلما رأى أن القيامة قد قامت وهو ممن قتل شهيدا فأتى بفرسه وبولها وزبلها يوضع فى الميزان ، فقال : أين سرجها إنه يثقل فى الميزان ؟ فقيل له : ذهب فى اللعنة التى قلتها فى ساعة كذا ، فقد يؤتى الرجل من قبل نفسه وهو لا يشعر .

ومن الحكايات العجيبة : أن ذئبا برد في ليلة بردا شديدا ، فتمنى سلوقيا يلحقه ليدفأ ، فما تمّ إلا وقد أقبل عليه السلوقي فهرب منه حتى جوّز ، فقال : لو رجمت في فمي لما تمنيت هذه الأمنية ، فما تمّ إلا ولقيه رجل فرجمه بحجر حتى هرس أسنانه ، فطلع إلى رأس الجبل ونادى بأعلى صوته : ألا من يريد أن يدعو فإن أبواب السماء قد فتحت .

والدعاء في نفسه إنما هو إظهار للعبودية والتذلل وإجلال وتعظيم لباب الكريم وليس لأنه غافل عنك سبحانه وتعالى أو عن حاجتك ، بل يعلم بما توسوس به نفسك قبل أن توسوس ، وهو يعلم السرّ وأخفى ، وهو سبحانه وتعالى كريم جواد لا يحتاج إلى سؤال ، قال شاعر في مدحه بعض الملوك يسمى معنا :

أيا جود معن ناد معنا بحاجتي فمالي إلى معن سواك سبيل

فما ظنك بملك الملوك ؟

وقال رضي الله تعالى عنه لما سئل : ما هي الكلمة في قوله تعالى : ﴿ وجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يرجِعُونَ ﴾ .

فأجاب : إنها قول الحقّ له « أسلم » ، لأنه تعالى ربما كلم الأبناء وأراد بذلك الآباء مثل قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ وربما كلم الآباء وأراد الأبناء مثل قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ المكلم آدم والمراد أولاده ، وقد غلط بعض المفسرين بأن قالوا هو آدم لأنه سمى عبد الحارث ، وهذا باطل من وجهين :

أحدهما أنه لا يستقيم هذا على قراءة ﴿ شركاء ﴾ لأنه سماه إذا فرضنا عبد الحارث وهو شريك واحد لا شركاء . الثانى أن آدم يعتذر يوم القيامة إذا قصد للشفاعة بذنبه الذى أخرجه من الجنة ، ولو كان ذلك لكان أهمّ وأعظم أن يعتذر به يوم القيامة ، والقرينة التى دلت على أنهم أولاده عود الضمائر للفظ الجمعية : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ إلى آخر الآيات ، وهذه الكلمة التى جعلها كلمة باقية فى عقبه هى التى وصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب وليست الإسلام الذى هو نقيض الكفر ، كيف وهو الخليل إنما هو إسلام الأمر إلى الله سبحانه والاستسلام له ، كما أنه عليه أفضل الصلاة والسلام لما ألقى فى النار قال الله سبحانه لجبريل : انزل على إبراهيم وائتمر لأمره ، فنزل إليه وهو يهوى فى الهواء وقال له : ألك حاجة ؟ فإن الله سبحانه قد أمرنى أن أأتمر لأمرك ، فقال : أما إليك فلا ، فقال : سل ربك ، قال : علمه بحالى يغنى عن سؤالى ، وذلك أنه عليه أفضل الصلاة والسلام لما رأى المقام مقام اختبار ليعرِّف الله سبحانه وتعالى جبريل قدر هذا الرجل الذى خرج من صلب من قالت الملائكة فيه ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾؟ أجاب بهذا الجواب ليوافق ذلك المقام ، فتولاه الله تعالى بأن كلم النار من غير واسطة فقال : ﴿ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ فتوقفت النار عن إحراقه لا غير ، لأن الله سبحانه وتعالى قال لها ﴿ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ فأكلت ما عليه من الحديد وهى القيود والأغلال التى كانت عليه تؤذيه ، وهذه معاملة الله تعالى لمن أسلم أمره إليه : ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ

بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ فإنك إذا توسطت بالعبد ليعطيك شيئا أو يدفع عنك شيئا فما ذلك إلا لأحد أمرين : إما أنك ترى أن هذا العبد أكرم من سيده ، أو أن خزائن العبد ملآنة وخزائن السيد معطلة ، أو تعتقد أن العبد أقدر على دفع هذا الأمر الذى تريد دفعه عنك من سيده ، أو أنه أشفق عليك من سيده أو أعلم بوجوه دفعه عنك من سيده ، وهذا غير جائز ، نسأل الله العافية من كل بلية .

قال الشاذلى رحمه لما سئل عن الإسلام : هو الاندماج فى طىّ الأحكام من غير شهوة ولا إرادة . وقال عمر بن عبد العزيز وهو مريض لما قيل له : هل تشتهى شيئا ؛ أشتهى ما يقضى الله .

وقال رضى الله تعالى عنه فى الدعاء عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم : « وأعوذ بك منك » : أى أعوذ باسمك العفوّ من اسمك المنتقم لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ..

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

قال : ذلك مثل قوله تعالى ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ أى إنما وصفوا الله سبحانه وتعالى بغير ما وصف به نفسه ، فهو منزّه عن ذلك ﴿ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾ لأنهم لا يصفونه سبحانه وتعالى إلا بما وصف به نفسه ، وكذلك عباد الله المخلصون ، وهم يعبدون الله بإخلاص المحبة لا لأجل دنيا ولا لأجل أخرى، فإن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾ وهو سبحانه وتعالى يريد الصحبة فكأنه قال : فأين الذين يريدونى ؛ ثم أفرد الذين يريدونه ولم يذكرهم

مع هذين الفريقين فقال : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ وعيسى روح الله عليه الصلاة والسلام مرّ بقوم يعبدون الله تعالى فعبد الله معهم ثم قال لهم : لماذا تعبدون الله سبحانه وتعالى ؟ قالوا: خوفا من ناره ، فقال : قادر أن ينجيكم منها . ثم رحل عنهم فمرّ بقوم يعبدون الله تعالىٰ فعبد معهم ثم قال لهم : لماذا تعبدون الله ؟ قالوا طمعا فى جنته وشوقا إليها ، فقال : قادر أن يدخلكم الجنة . ثم مرّ بقوم فوجدهم يعبدون الله سبحانه وتعالى فعبد معهم ثم قال لهم : لماذا تعبدون الله سبحانه وتعالى ؟ قالوا : ابتغاء وجهه ، قال : هذه درجة المقرّبين وأنا أمرت أن ألازمكم ، ثم جلس يعبد الله معهم ؛ فهؤلاء لا يمكنهم مفارقة الحقّ سبحانه وتعالى فى الدنيا ولا فى الآخرة ، فهم فى الجنة على هذه الحالة لا يفارقهم تجليه ، وسائر أهل الجنة إنما يزورونه فى كل ثمان : أى قدرها فينظرون نظرة ينسون بها جميع نعيم الجنة ثم يتلذّذون لذة تتنوّر بها وجوههم ويجدون من الراحة ما لا يخطر على قلب بشر ، ثم يعودون إلى أهليهم فيسرى ذلك التجلى إلى صور أهليهم فيتنوّرون ويكتسون نورا لم يعهد فيهم من قبل ثم لا يزالون متلذذين بنعيمها ما شاء الله ، ثم يجدون لها فى أنفسهم شهوة كشهوة الجائع فيؤمرون بالزيارة وهلم جرا .

ثم جعل رضى الله تعالى عنه يخوض فى وصف الجنة فقال : أشجار الجنة جذوعها من ذهب ليس كذهب الدنيا ، وإذا نظرت فى الشمس حين تطلع أو حين تدنو للغروب فهو كذلك ، ثم طول الغصن مسيرة ثمانية أشهر وعشرة أيام ظلالا من شمس إنما هى أنوار ، إنما يجدون لذلك الظلّ راحة ، ثم فى كل حركة من حركاتهم وسكنةمن سكناتهم يجدون راحة ولذّة

لا تخطر على قلب بشر ، ففى المشى يجدون لذّة وكذا فى القيام والاضطجاع لا كما فى الدنيا ، لأنك إذا اضطجعت فى الدنيا تحصل معك راحة بسبب التعب والنصب ، وفى الجنة إنما أنت تنتقل من لذّة إلى لذّة فى جميع حركاتك وسكناتك ، وإنما يطلق عليه فعل أو عدم فعل أو قول أو عدم قول ، فكله راحة ولذّة لا تشبه واحدة واحدة .

ثم قال رضى الله تعالى عنه : وسأضرب لكم مثلا : إذا اجتمعت لذات الدنيا جميعها من منكوح من كل الدوابّ : أى لذة كل فرد منها ولذّة جميع مشموماتها فردا فردا ونوعا نوعا ، وطعم كل مطعوم كذلك ، ولذة كل ملك مال كذلك فى ذات واحدة ، فكيف تكون لذة النكاح وقد صارت لذة كل فرد مجتمعة فيه كأنه قد جمعت عنده كل منكوحة حسناء ، وكيف طعم جميع المطعومات ، وقد صارت لذة كل فرد من آدمى وغيره مجتمعة عنده ، وقس عليها سائرها ؛ ثم إذا انتقلت منها إلى أدنى نعيم الجنة فهو كما تنتقل من طعم حنظل إلى طعم سكر ، ثم لو اجتمعت لذات الجنة : أى كل فرد فرد منها فى ذات واحدة من منكوح ومطعوم ومشروب وملبوس وغير ذلك لتجتمع لك لذات جميع ما فى الجنة ، ثم انتقلت من ذلك إلى نظر الحقّ سبحانه وتعالى فهو كما تنتقل من طعم الحنظل إلى طعم السكر وأهل الله لا يفارقونه فى الجنة طرفة عين كما لا يفارقونه فى الدنيا طرفة عين .

وقال رضى الله تعالى عنه: قال الله تعالى ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ قدم الشرّ هنا للاهتمام ، لأنه ربما قد يكون الشرّ قائدا لجميع الخيرات: أى أن السيئة وأىّ شرّ أعظم منها قد تكون سبب القرب من الله تعالى ، وذلك

لأنه ربما أورث الذنب ذلا وانكسارا فيكون أعلى من الحسنة وأغلى ، فإن لكل داء دواء ، وربما يعترى الإنسان عُجب وزهو بالطاعة ، وذلك داء وأىّ داء ، فتلك سيئة وارتكاب الذنب دواؤها ، فإن بعض الأولياءارتكب ذنبا فلما تاب منه قال : ربّ أنت كنت غنيا عن ارتكابى لذلك الذنب ، فقال له : قد كان اعتراك زهوّ فسلطت عليك ذلك الذنب ليزيله عنك ، فأنت الآن عندى أحبّ إلىّ من ذلك .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: « لولا أن الذنب خير للمؤمن من العجب ، ما خلى الله بين عبده المؤمن وبين الذنب أبدا » ..

قال الشاعر فى هذا المعنى :

تداويت من ليلى بليلى من الهوى كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

وقال آخر :

انظر إلىّ بعين قد فتنت بها وداونى بالتى كانت هى الداء

وقال تعالى : ﴿ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾.

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ أى يكفر الظلم بالتوبة ؛ والظلم له معنيان : الأول النقص ، قال تعالى : ﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ﴾ والثانى وضع الشىء فى غير محله وكلما ظلم كفَّره بالتوبة ، ولهذا أتى بصيغة المبالغة ، وفى الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم » .

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ﴾ مامعنى ﴿ إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ﴾ ؟

فأجاب: إن الجنب لا يقرب الصلاة حتى يغتسل إلا إذا كان عابر سبيل فله أن يقرب الصلاة بلا غسل ويتيمم، وعابر السبيل هو أن يكون فى طريق مخوفة إذا اغتسل خشى أن يتأخر عن القافلة .

ثم سئل رضى الله تعالى عنه : عن إذا الشرطية فى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾ الآية ..

فقال : يؤخذ منها مفهومان أحدهما للوجوب والآخر لا للوجوب ، أما الذى للوجوب فهو إذا كان محدثا ، وأما الذى لا للوجوب فحيث يكون متوضئا فهو أمر ليس يقتضى الوجوب إنما هو نور على نور ، والنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم كان يتوضأ لكل صلاة إلا فى جمع حصل له صلى الله عليه وآله وسلم ، فكان يصلى الصلاتين بوضوء واحد كمزدلفة ومنى .

وقال رضى الله تعالى عنه : قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ أى محجوبا ، وذلك أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان الله سبحانه وتعالى سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ..الخ ، وذلك أنّ العبد متميز عن المعبود فلا امتزاج ، وهم يرون العبد ولا يرون المعبود ، لأنه تعالى محجوب عنهم ،

وحقيقة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يرونه في حين العبودية ، لكنهم لا يرونه ، بل بينه وبينهم حجاب مستور فهم يرونه ولا يرونه ، وهذان ضدان لا يفترقان ، وذلك مثل المرآة ، فانك ترى صورتك فيها بلا شك وأنت تعلم أنها ليست فيها ، كذلك البحران فإن الله سبحانه وتعالى مزجهما وأحدهما ملح والآخر حلو وبينهما برزخ ، وهذا البرزخ لا يدرك بل لا يعرف إلا بالذوق ، فاذا شربت من هذه الجهة وجدته حلوا ، وإذا شربت من هذه الجهة وجدته مالحا .

وقال رضى الله تعالى عنه : هذه الحياة هى نوم فمرائيها تعبر وتوضع فى قالب التعبير فيعطى كل شيء ما يناسبه ، كما أن مرائى المنامات تعبر ويعبر كل منها بما يليق به ويناسبه ، بدليل « الناس نيام ، فاذا ماتوا انتبهوا » فكل أحد نائم إلا أبا بكر رضى الله تعالى عنه ، فإنه شهد له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنه ميت ، وإذا كان ميتا فهو منتبه ، فإن من مات انتبه ، قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من شاء أن ينظر إلى ميت يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى أبى بكر » وهى الصفة التى تسميها الصوفية الفناء ، وهو أن يكون الحقّ سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به إلى آخره ، فتفنى صفة البشرية وتبقى صفة الألوهية فيكون التصرّف فيه لله سبحانه وتعالى لايختار هو شيئا بل يبقى فانيا عن إرادته وشهوته فيحيا بحياة الله سبحانه وتعالى ، وهذا لا يدرك بالتعبير ، بل لا يدرك إلا بالذوق ، ألا ترى أنك إذا أردت أن تصف لإنسان السُّكر وهو لا يعرفه فتقول له حلو فيقول لك حلاوة عنب أم حلاوة عسل؟ فتقول له حلاوة غير هذه الحلاوات كلها لا تعرف إلا بالذوق ، كذلك صفة الفناء فإنك تنظر فى هذا النظر



المبصر لا ينظر إلا بنورين : نور في الخارج ، ونور في العين إذا فقد أحدهما لا يمكن النظر ، فإنك إذا نظرت في ظلام لا ترى شيئا ، وإذا نظرت في ضياء ولا نور في عينك لم تر شيئا ، ثم إن النظر قد ينظر شيئا معدوما ولا ينظر شيئا موجودا . أما المعدوم الذي ينظره فكالشمس تنظرها بين الماء ولو حفرت هناك حتى تصل الأرض السفلى لم تجد هناك شمسا . وأما الموجود الذي لا ينظره فهو الهواء الجامد ، هذا مع أنه بحر جامد يضطرب إذا حرّك بمروحة أو غير ذلك كما يضطرب البحر إذا حرّك ، والبحر كثيف علينا لطيف على دوابّ البحر ، إذ لو كان كثيفا عليها لاندفع الماء إلى أجوافها مع جلوسها فيه أبدا بخلاف الإنسان فإنه لا يدفع دخوله إلى بطنه في الساعة اليسيرة بل يضطرب فيه حتى يغرق ، وذلك الهواء بالعكس لطيف علينا كثيف عليها يضطرب الحوت إذا خرج إلى الهواء كما يضطرب الإنسان في البحر فيغرق فيموت ، والشمّ أوجده الله سبحانه في الأنف يجذب الروائح كما يجذب المغناطيس الحديد ؛ ثم الذوق يدرك ما يؤكل وما لا يؤكل من المطعومات ، والبهائم جميعها تدرك ما يدَركه الإنسان بالذوق بالشمّ فتدع ما لا يؤكل . وأما الإنسان في الشيء الذي لا يعرف فما يدع ما لا يمكن أكله إلا بعد المضغ .

وقال رضي الله تعالى عنه : انظر إلى خلق الإنسان يوضع في الرحم وهو في طور المنيّ ، ثم طور العلقة ، ثم طور المضغة ، ثم خلق المضغة عظاما ، ثم كسا العظام لحما فخرج إنسان في أحسن صورة ، وقد شقّ سمعه وبصره وجميع حواسه ، وهي الأمانة التي عرضها الله سبحانه على الجبال والسموات والأرض فأبين أن يحملنها ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ وهو

كان قادرا أن يخلقه كذلك من أوّل وهلة ، ولكن لحكمة منه قدّر ذلك ليخلو بكل واحد من خلقه فيصنعه كذلك وانظر إلى حبّ الذرة الشامى تخرج مكسية من عند ربها كما يخرج العظم مكسيا لحما ، وكل شيء له بربه خلوة ، وفى تلك الخلوة يبلغ بها كل شيء غاية ما يكون عليه من حلية وخلق وكسوة ، فما أحسن الخلوة وما أجلّ من خلا مع ربه عند الاختيار كما خلا به عند الاضطرار، فإنه لما خلا به أولا وليس له اختيار أوجده أوّلا من العدم الذى ليس هو شيئا إلى الوجود الذى هو خير من العدم ، ثم ما أبرزه إلى الوجود إلا بعد أن كمل صورته فى غاية الكمال وكساه وشقّ سمعه وبصره وأودع فيه جميع ما يزينه كالعقل والأعضاء والجوارح وجلاه بما خلق له وهى الفطرة على الإسلام .

والإنسان فى حال كونه منيا يراه الحقّ سبحانه وتعالى فى أكمل صورته التى يكون عليها ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى يجمع المنىّ إلى صلب الرجل كل عضو فى ذلك المنىّ باعتبار ما يصير إليه من عضوه ؛ فالعين من العين والأنف من الأنف والأذن من الأذن وهكذا الباقى بعد أن يجتمع فى الصلب تنبعث دواعى النكاح فيلقيها الرجل إلى الرحم وهى منىّ ، والحقّ سبحانه وتعالى يرى فيها الجوارح والأعضاء جميعها فى حال كونها منيا وهى السلالة التى قال تعالى: ﴿ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ وهى التى يقال لها عرفا الخميرة التى توضع من عجين اليوم الأوّل فوق عجين اليوم الثانى ، فسبحان الصانع الحكيم ولا إله إلا هو .

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ

الَّذي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾.

فأجاب : إن الأرض هى أرض الجنة ، وكذلك الأرض التى فى قوله تعالى : ﴿ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ فهى بشارة بالنصر للصالحين فيرثون الكفار فتكون كقوله تعالى : ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾.

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن الدعاء فى الصلاة .

فأجاب : بأنه يدعو فيها بما شاء ، فإن بعض الصالحين كان يدعو حتى بملح العجين ؛ والدعاء إنما هو تكريم وتعظيم لباب المناجاة وإلا فالله هو الغنىّ عن دعائك ، وهو يعلم بما تدعو فى أىّ يوم وفى أىّ ساعة من قبل خلقك ، وهو كريم جواد يعطى قبل السؤال وفضله ابتداء ، لكنه يرى لك الخير كأنه وكيل والوكيل ينظر مصلحة الموكل ابتداء وانتهاء ، فربما تدعو فلا يؤثر الدعاء فى ظاهر الأمر ، وقد وعد سبحانه وتعالى بأنه يستجيب ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ ووعده الحقّ ولكنك حين تعلم بمصلحة تأخير الإجابة تحمد العاقبة ، فما أسعد من وكله ورضى به وكيلا ، وكفى به وكيلا ، وقد تصاب ببلاء فتدعو وتتضرّع وذلك المقصود منك ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ ﴿ فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

فتدعو أن الله يزيله عنك ثم لا يزول لكن لو عرفت حقيقة الأمر لاخترت بقاءه لأنه الدواء ولابد للدواء من مرارة أو كيّ.

وقال رضى الله تعالى عنه: قال الله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ أى إن الصلاة المقبولة وهى الكاملة الجامعة لشروطها بتأدية أركانها تامة ، وتأمل معانى القرآن فيها والخشوع الذى هو روحها ولا تقوم الذات إلا بالروح ، وفى الصحيح أن قارئ الفاتحة فى الصلاة إذا قال : الحمد لله ربّ العالمين قال الله : حمدنى عبدى إلى آخره . وقد تقدم فى أثناء هذه الكراريس فهذا ذكر الله للعبد أكبر فى النهى عن الفحشاء والمنكر ، ثم أخذ رضى الله عنه فى تفسير الفاتحة .

قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أتى هنا بربّ العالمين : أى ربّ جميع عوالم هذا العبد، ولما علم تقصير العبد وعجزه عن الحمد حمد نفسه بنفسه ولم يقل ربى لأنه سبحانه وتعالى يحمد نفسه بلسان عبده ، وكل من أراد به خيرا حمد نفسه بلسانه، فما أعظم هذه المزية لهذا العبد الذى يحمد الله نفسه بلسانه وبسبب مروره على لسانه يأجره عليه ويجازيه ويقربه فى الدارين وبالنعيم الدائم ، فلله الحمد على الحمد ، لأن الإنسان حال قراءة القرآن نائب عن الله تعالى ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾ فأضاف الكلام إلى الله تعالى ، مع أن الناطق به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وقوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ لما ذكر اسمه جلّ وعلا ترقب السامع بأىّ صفة يصف الله نفسه ، ثم استشعر صفة تخويف كالجبار والقهار ، فقال سبحانه : لا

خوف عليك لأنه الرحمن الرحيم ، وهما اسمان فى أعظم مراتب الرجاء .

قال تعالى : ﴿ مَالكِ يَوْمِ الدّينِ ﴾ لما ادّعى العباد أن لهم ملكا فى الدنيا عاملهم بقدرهم ومقتضى جهلهم ، وإلا فهو المالك فى الابتداء والانتهاء ولم يذكر ملك الدنيا لأنها لا تعدل عنده جناح بعوضة ، فذلك استهانة بها وإظهار لحقارتها ، وفيه تخويف للكافرين وتأمين للمؤمنين : أى أن الله سبحانه ملك يوم الدين ، وهو الذى تنزل فيه الشمس بقدر ميل حتى يلجم العرق الناس ، ومع هذا يحاسب على مثاقيل الذرّ ﴿ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ فالمؤمن يستبشر بذلك ويعلم أن الله سبحانه وتعالى يعلم بخفيات أعماله الحسنة وظواهرها وصلاته تلك وهو فيها يعلم أنها ستعرض فى ذلك اليوم عند أن يقول مالك يوم الدين يزيدها تحسينا والكافر يزداد تهديدا وتوعيدا ، ثم قال تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ أى لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك فى عبادتنا إياك ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ الصراط المستقيم : هو صراط الله : أى الموصل إلى الله بسرعة لأنه لا اعوجاج فيه : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً ﴾ فإذا أحبّ الله شخصا كان سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به إلى آخره ، وسلك به صراطه المستقيم ، ثم صراطه المستقيم هو صراط الذين أنعم الله عليهم ، قال تعالى : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ وهم الذين أحبهم الله وهداهم إلى الإسلام ، فقد أنعم عليهم بأعظم نعمة ، إذ لو أوجدك فى دار كفر ما عرفت إلا ماهم عليه وكان عندك ماهم عليه هو الصراط المستقيم ، وقال تعالى : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالّينَ ﴾ المغضوب عليهم فسرهم النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم اليهود ، فهم

مغضوب عليهم لأنهم ما عبدوا الله قبل ظهور النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلا لما يطابق أهواءهم ليس لله خالصة ، إذ لو كانوا مخلصين فى عبادة الله من قبل لآمنوا بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم يجدونه مكتوبا عندهم ، وإبليس كان يعبد الله قبل خلق آدم ، لكن لحلاوة يجدها عند العبادة والتذاذ ، فلما أمره الله بالسجود لآدم لم يجد تلك الحلاوة واللذّة فأبى واستكبر وكان إبعاده ولعنه وانقلبت أنواره ظلمة وحلاوته مرارة وقربه بعدا وإمهاله إنما هو فى مقابلة ما عبد الله من قبل ، فهو كالخزى لأن الله تعالى لا يضيع عمل عامل ، ولو كان له العقل الوافى لما سأل الإنظار ، بل لو سأل الموت فى تلك الحالة كان عذابه عذاب كافر ولا يعذّب عذاب جميع من أطغى . ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ فسرهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالنصارى لأنهم قصدوا الله سبحانه وتعالى لا من الصراط المستقيم ، بل جعلوه عيسى وجعلوه متحيزا ، فهذا هو الضلال؛ كذلك المسلم ربما كان يصلى ولا يبتغى بها وجه الله بل يرائى بها أو لأجل شيء غير الله ، فهو فى غير صراط الله ، بل هو فى صراط المغضوب عليهم ، وإذا عبد الله بغير ما جاء به كتاب الله وسنة رسول الله ، فقد سلك صراط الضالين ..

اللهمّ ألهمنا رشدنا ؛ ثم إذا قلت آمين فمعناها اللهمّ كما هديتنا وأنعمت علينا بالوقوف بين يديك على هذا الوجه الذى شرعه لنا رسولك صلى الله عليه وآله وسلم فأنت مبتدئ بهذا الإحسان العظيم ، والكريم لا يرجع فيما وهب ، فأمتنا على هذه النعمة ، حاشاه يختم بالإساءة وهو بالإحسان بادئ ، وهذه النعمة التى أنعم الله بها علينا إذا شكرناه عليها زادنا منها .

قال الله تعالى : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ فإنه أقدرنا على

الصلاة بأن خلق لنا أعضاء يمكننا بها إتمام أركانها فشكرها أن نستعملها فيما خلقت له ، ثم هدانا إلى الإسلام الذى هو النعمة العظمى فشكره أن نؤدى ماوضع له ، ثم شرع لنا الصلاة التى هى عماد الإسلام فشكرها أن نؤديها على الوجه المشروع فى كل يوم والجميع فى زيادة إلى مالا نهاية له يزيدك فى كل نعمة من جنسها والحمد لله ربّ العالمين .

وقال رضى الله عنه : قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾ والعبد مفتقر إلى سيده بقدر مطالبه فلا شيء فى الدنيا إلا والإنسان محتاج إليه لا تستقيم حياته إلا به ، أوّل شيء العافية أنت مفتقر إليه سبحانه وتعالى فى إعطائه إياك العافية ، ثم إذا صرت فى عافية فأنت محتاج إلى كل ما تستدعيه العافية من منكوح ومطعوم ومشروب وملبوس ، ومحتاج إلى ذوق تأكل به المأكول وتشرب به المشروب ، وإلى شمّ تشمّ به المشموم ، وسمع تسمع به المسموع وغير ذلك من جميع الجوارح والأعضاء ، ومحتاج إلى شمس وقمر ونجوم وسماء ومطر ونبات ودوابّ وأنعام وبرّ وبحر ، بل إلى جميع ما فى السموات وما فى الأرض التى هى مسخرات له ، فهو فى جميع ذلك مفتقر إلى ربه تعالى ، ثم افتقاره فى الآخرة إليه أعظم من افتقاره إليه فى الدنيا ، لأن حاجته فى الآخرة أكثر وبقدر الحاجات يكون الافتقار .

وسئل رضى الله تعالى عنه : هل يؤخذ من قصة الخضر مع موسى عليهما الصلاة والسلام أن الحقّ يكون متعددا؟

فقال: لا ؛ لأنه لما كشف الحقيقة لموسى عليه السلام عما فعله صار

الحقّ واحدا عندهما ، وإنما كان إنكار موسى عليه السلام وهما منه أن ما فعله الخضر غير الحقّ ، والوهم لا يكون حقا ، وإنما كان إنكار موسى عليه السلام لما غاب عنه ما وقع له من جنس تلك الحكمة الإلهية مرّات فإنه وقع له فى المرّة الأولى الإلقاء فى التابوت فى اليمّ ، وأمسك الله بقدرته الماء من دخوله إليه ، وأيضا أمره الله تعالى أن يضرب البحر بعصاه ، فصار كل فرق كالطود العظيم حتى مرّ بنو إسرائيل ، وأيضا فإن الله تعالى أمسك على الحوت جرية الماء فصار عليه كالطاق ، فالقادر على ذلك قادر على إمساك الماء عن إغراق السفينة ، والخضر فعل ذلك بالسفينة مكافأة لأصحابها لأنهم حملوهم بغير نول ، فلما صارت فى صورة المعيبة تركها الملك وأخذ غيرها من السفن ، فكل من يريد ركوب البحر أو تحميل شيء فيه لم يجد غير تلك السفينة فكثر نولها وانتفع أهلها ، هذا معنى ما قاله . وفى الثانية وقع لموسى عليه السلام قتل القبطى وكان قتله له بالحقّ فى نفس الأمر إلا أنه لم يؤمر بقتله ، ولما كان على غير أمر ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ﴾ فهو مصيب بقتله إذ هو مستحقّ للقتل فى علم الله ، فالله سبحانه وتعالى قتله بيد موسى ، وهذا أيضا بالمعنى ، وفى الثالثة سقى موسى لابنتى شعيب عليهما الصلاة والسلام وهو لا يعرفهما وهو فى حاجة إلى الطعام ولم يطلب منهما أجرا ولا عوّل عليهما فى سدّ فاقته بشيء من الطعام أو شربة من لبن غنمهما، بل وجه طلبه إلى الله تعالى فقال: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ وجاء فى الحديث أنه ما طلب إلا الطعام ، فكأن لسان الخضر عليه السلام يقول له : أنت أنفت من طلب الأجرة على عملك من غير الله فكيف تخاطبنى أن أطلب أجرا على عملى من غيره؟ ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾.

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن احتجاج آدم على موسى عليهما الصلاة والسلام وذلك لما اجتمع موسى مع آدم ، فقال له موسى : أنت الذى أخرجتنا ونفسك من الجنة ، فقال له آدم : أنت الذى اصطفاك الله برسالته وبكلامه ، وفى آخر هذا قال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم « فحجّ آدمُ موسى » **فقال** ما معناه : تعرف من سؤال موسى وجواب آدم مقدار شفقة الوالد على ولده ورحمته له وأن الولد ليس فيه ذلك القدر لوالده ، فإنه قال له : أخرجتنا من الجنة بخطيئتك ، وفى هذه العبارة نوع سوء أدب فى خطاب الولد لوالده ، وكان فى جواب الوالد ذكر فضيلة الولد والإعراض عن ذكر خطيئته ، بل أعلمه بما معناه أنه لا وجه لإنكارك علىّ مع علمك أنه كتب علىّ قبل أن أخلق بكذا وكذا من السنين ، ولم يقل له : لو كنت أنت لأخرجتنا بخطيئتك إخراجا أعظم من إخراجى. فإنك قتلت القبطى ولم تؤمر بقتله ، فخطيئتك تعدّت إلى الغير ، وأما أنا فأكلت من شجرة ليس لأحد فيها حقّ غير الله تعالى ، لكن لما كان آدم عليه السلام متأدّبا بآداب الله مع ما عنده من شفقة الوالد وهو عالم أن الله سبحانه وتعالى قد غفر لموسى ، وهو إذا غفر لعبده لم يثربه فلم يحسن تثريب موسى بذكر خطيئة قد غفرت والاحتجاج بالقدر على الله هو الذى فيه خطر عظيم ، ثم ذكر الحديث الذى معناه أن الله تعالى يوقف عبدا يوم القيامة فيقرّره بذنوبه ، فإذا قال العبد : أنت قدّرت ، أمر به إلى النار ، نعوذ بالله منها ، وآخر يقرّره الله تعالى على أفعاله فيعترف بها ويقول : ياربّ فعلت وفعلت ، فيقول الله تبارك وتعالى : أنت فعلت وأنا قدّرت ، ويأمر به إلى الجنة ، قال : هذا حفظ الله . وأتى عمر رضى الله عنه بسارق فقال له : لم سرقت ؟ فقال : القدر ، فقال عمر: كذبت ،

وأمر به فقطع ، فهذا من باب الاحتجاج على الله تعالى ، والاحتجاج بالقدر لا يسقط الحدّ .

ومن إملائه رضى الله تعالى عنه من الأحاديث عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم :

الحديث الأول : قال صلى الله عليه وآله وسلم « أوحى إلىّ : يا أخا المرسلين يا أخا المنذرين أنذر قومك ، أن لا يدخلوا بيتا من بيوتى إلا بقلوب سليمة وألسنة صادقة وأيد نقية وفروج طاهرة ولا يدخلوا بيتا من بيوتى ولأحد من عبيدى على أحد منهم ظلامة فإنى ألعنه مادام قائما بين يدىّ يصلى حتى يردّ تلك الظلامة إلى أهلها ، فإذا فعل ذلك كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويكون من أوليائى وأصفيائى ، ويكون جارى مع النبيين والصديقين والشهداء فى الجنة » اهـ .

الحديث الثاني : عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قال : « جاء جبريل عليه السلام إلى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال : ما جئتك حتى أمر الله بمفاتيح جهنم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا جبريل صف لى النار وانعت لى جهنم ، فقال جبريل : إن الله أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أمر سبحانه وتعالى فأوقد عليها ألف عام حتى احمرّت ؛ ثم أمر سبحانه وتعالى فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت ، فهى سوداء مظلمة لا يضىء شررها ولا يطفأ لهبها ؛ والذى بعثك بالحقّ لو أنّ قدر ثقب إبرة فتح من جهنم لمات من فى الأرض كلهم جميعا من حرّه ، والذى بعثك بالحقّ لو أنّ ثوبا من ثياب أهل النار علق بين السماء

والأرض لمات من فى الأرض كلهم جميعا من حرّه ، والذى بعثك بالحقّ لو أن حلقة من حلق سلسلة أهل النار التى نعت الله فى كتابه وضعت على جبال الدنيا لارفضت وما تقارّت حتى تنتهى إلى الأرض السفلى ، والذى بعثك بالحقّ لو أن خازنا من خزنة جهنم برز إلى أهل الدنيا فنظروا إليه لماتوا جميعا من قبح صورته ونتن ريحه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: حسبى يا جبريل لا ينصدع قلبى فأموت ، فبكى جبريل عليه السلام ، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يبكى ، فقال : تبكى يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذى أنت به ؟ فقال جبريل : ومالى لا أبكى ، أنا أحقّ بالبكاء ، وما أدرى لعلى أكون فى علم الله على غير الحال التى أنا عليها ، وما أدرى لعلى أبتلى بما ابتلى به إبليس فقد كان من الملائكة ، وما أدرى لعلى أبتلى بما ابتلى به هاروت وماروت ، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبكى جبريل ، فما زالا يبكيان حتى ناداهما الحقّ يا جبريل ويا محمد إن الله قد أمّنكما أن تعصياه ، فارتفع جبريل وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمرّ بقوم من الأنصار يضحكون ويلعبون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أتضحكون ووراءكم جهنم ؟ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، ولما أسغتم الطعام والشراب ، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله ، فناداه الحقّ : يا محمد لا تقنط عبادى » رواه الطبرانى فى الأوسط .

وفى الحديث القدسى : « يا عبادى أعطيتكم فضلا وسألتكم قرضا ، فمن أعطانى شيئا مما أعطيته طوعا عجلت له الخلف فى العاجل ، وادّخرت له الثواب فى الآجل ، ومن أخذت منه شيئا مما أعطيته كرها فصبر

واحتسب أوجبت له صلاتى ورحمتى وكتبته من المهتدين وأبحت له النظر إلى وجهى ».

وفيه أيضا : « من أكرم منى جودا ؟ أكلؤهم فى مضاجعهم كأنهم لم يعصونى ، ومن أكرم منى؟ أقبل التائب كأنه لم يزل تائبا » . وجاء رجل إلى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال له النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم : « جئت تسألنى عن سعة رحمة ربى ، وأخبره بقول الله عزّ وجلّ : لو كنت معجلا لأحد العقوبة أو كانت العجلة من شأنى لعجلت للقانطين من رحمتى يذنب أحدهم ذنبا فيستعظمه فى جنب عفوى ، فلو لم أذكر لعبادى إلا خوفهم من الوقوف بين يدىّ لشكرت ذلك لهم فجعلت ثوابهم من ذلك الأمن مما خافوا » .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أتانى جبريل عليه السلام فعلمنى الصلاة ، فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، فجهر بها » من الجامع الكبير للسيوطى . وقال عليه أفضل الصلاة والسلام لابن عمر رضى الله عنه : « يا ابن عمر لا يغرّنك ما سبق لأبويك من قبلى ، دينك دينك إنما هو لحمك ودمك ، فانظر عمن تأخذ خذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين قالوا » .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه منه يوم القيامة فلم يدخله الجنة » ..

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « من عاد مريضا فأكل عنده فذلك حظه من عيادته » .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « إن السائل ليسأل وما هو بإنس ولا جانّ ، وإنه من ملائكة ربنا يختبر العباد فيما خوّلهم الله تعالى » .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: « أصدق الحديث ما عطس عنده » .

ما يقال عند الوضوء : بسم الله العظيم ، والحمد لله على الإسلام ، وعند الاستنجاء : اللهمّ حصّن فرجى واجعلنى من الذين إذا ابتليتهم صبروا وإذا أعطيتهم شكروا ؛ وعند المضمضة : اللهمّ أعنى على تلاوة ذكرك ولقنى حجتى ؛ وعند الاستنشاق : اللهمّ لا تحرمنى رائحة الجنة ؛ وعند غسل الوجه : اللهمّ بيض وجهى يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه ؛ وعند غسل اليد اليمنى : اللهمّ أعطنى كتابى بيمينى وحاسبنى حسابا يسيرا ؛ وعند غسل اليد اليسرى: اللهمّ لا تعطنى كتابى بشمالى ولا من وراء ظهرى ؛ وعند مسح الرأس : اللهمّ غشنى برحمتك ؛ وعند مسح الأذنين : اللهمّ اجعلنى من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ؛ وعند غسل الرجلين : اللهمّ ثبت قدميّ على الصراط يوم تزلّ الأقدام ؛ وعند الفراغ : سبحانك اللهمّ وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، اللهمّ اجعلنى من التوّابين واجعلنى من المتطهرين واجعلنى من عبادك الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ثم يقرأ آية الكرسى لأنه ورد « من قرأ آية الكرسى عقب الوضوء زوّجه الله أربعين حوراء وأعطاه ثواب أربعين عالما » ثم يقرأ ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ ﴾ ثلاث مرات .

ما يقال عند الخروج إلى المسجد : اللهمّ إنى أسألك بحق السائلين عليك وبحقّ ممشاى هذا إليك ، فانى لم أخرج بطرا ولا أشرا ولا رياء ولاسمعة

خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك ، أسألك أن تعيذنى من النار وأن تغفر لى ذنوبى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، فمن قالها أقبل الله عليه بوجهه ، ومن أقبل عليه بوجهه لم يعذّبه أبدا ووكل بـه سبعين ألف ملك يستغفرون له .. انتهى..

ومن الأدعية الواردة بعد صلاة الجمعة : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم ، أستغفر الله مائة مرّة ، أعوذ بوجه الله الكريم الذى ليس شيء أكرم منه ، وبكلمات الله التامات التى لا يجاوزهنّ برّ ولا فاجر ، وبأسماء الله الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم ، من شرّ ما ينزل من السماء ، وشرّ ما يعرج فيها، وشرّ ما ذرأ فى الأرض ، وشرّ ما يخرج منها ، ومن فتن الليل والنهار ، ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يارحمن .

ومما أرشد إليه رضى الله عنه : يا لطيف ألف مرّة ، ثم تقول بعد كل مائة : الطف بى فى أمورى كلها كما تحبّ وترضى ، وأرضنى فى دينى وبدنى ودنياى وآخرتى ياذا الجلال والإكرام ، اللهمّ يا لطيف لطفت بخلق السماوات والأرض ولطفت بالجنين فى بطن أمه الطف بى فى قضائك وقدرك لطفا يليق بجلالك وكرمك يا أرحم الراحمين ويا ربّ العالمين ويا أكرم الأكرمين .

وقال رضى الله تعالى عنه : ينبغى للإنسان أن لا يترك صلاة الخيرة فى كل يوم بعد صلاة الإشراق ، ثم يقول الدعاء المأثور عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فى جميع أركان الصلاة كصلاة التسبيح ، ويكون لفظ المستخار فيه بعد لفظ الاستخارة : اللهمّ ما علمت من جميع كلامى

وحركاتى وسكناتى وخطراتى وأنفاسى كلها دائما سرمدا أبدا فى يومى هذا وما بعده إلى انقضاء أجلى خيرا لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى ، فاقدره لى ويسره لى ، ثم بارك لى فيه .. اللهمّ وما علمت من جميع ذلك شرّا لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم أرضنى به .. انتهى .

وطلب بعض أصحاب سيدى أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه أن يكتب له كلاما ينفعه الله به ، فكتب له : بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على مولانا سيدنا محمد وعلى آله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله .

أما بعد : فالأمر الجامع والقول النافع والسيف القاطع فى طريق الله تعالى أنّ على العاقل الذى يريد نجاة نفسه من جميع المهالك ، ويحبّ أن يدخله الله تعالى فى سلك المقرّبين فى جميع المسالك إذا أراد أن يدخل فى أمر من أموره قولا أو فعلا ، فليعلم أن الله تعالى لابد أن يوقفه بين يديه تعالى ويسأله عن ذلك الأمر ، فليعدّ الجواب لسؤال الحقّ تعالى قبل أن يدخل فى ذلك الأمر ، فإن رأى الجواب صوابا وسدادا يرتضيه الحق تعالى ويقبله منه ، فليدخل فى ذلك الأمر فعاقبته محمودة دنيا وأخرى ، وإن رأى أن ذلك الجواب لا يقبله منه تعالى ولا يرتضيه فليشرد من ذلك الأمر أىّ أمر كان ، فإنه وبال عليه إن دخل فيه ، وهذه القاعدة هى أساس الأعمال والأقوال كلها ، فمن تحقق بها ورسخ فيها كانت أحواله كلها مبنية على السداد ظاهرا وباطنا لا يدخلها خلل بوجه من الوجوه ، وهذا معنى قول النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا » .

القاعدة الثانية: أن لا يفعل فعلا ولا يقول قولا حتى يقصد به وجه الله تعالى ، فإن صح القصد فيه لوجه الله تعالى وغسل قلبه من كل شائبة لغير الله تعالى صار لا يتكلم ولا يفعل فعلا إلا عن تثبت وتأنّ وصارت أعماله كلها دقيقا خالصا لا نخالة فيه بوجه من الوجوه ، وهذا معنى قول خالقنا جلّ وعلا لرسوله الأعظم وحبيبه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ أى لا غيره فى جميع أمورهم ، وقال عزّ وجلّ: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾

القاعدة الثالثة: أن يوطن قلبه على الرحمة لجميع المسلمين كبيرهم وصغيرهم ويعطيهم حقّ الإسلام من التعظيم والتوقير ، فإن رسخ فى هذه القاعدة قلبه واستقام فيها أفاض الله على سائر جسده أنوار الرحمة الإلهية وأذاقه حلاوتها فنال من الإرث النبوى حظا وافرا عظيما من قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ وهذا معنى قول النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم : « إن لله عزّ وجل ثلاث حرمات فمن حفظهنّ حفظ الله عليه أمر دينه ودنياه ، ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله عليه شيئا : حرمة الإسلام وحرمتى وحرمة رحمى » وهذا معنى قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم لأبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه : « لا تحقرنّ أحدا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير » .

القاعدة الرابعة: مكارم الأخلاق التى بُعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لإتمامها لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « إنما بعثت لأتمم

مكارم الأخلاق » .. وهذه القاعدة هى زبدة الدين ، وحقيقتها أن يكون العبد هينا لينا مع أهل بيته وعبيده وجميع المسلمين ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « أهل الجنة كل هين لين سهل قريب ، وأهل النار كل شديد قبعثرى ، قالوا : يا رسول الله وما قبعثرى ؟ قال : الشديد على الأهل الشديد على الصاحب الشديد على العشير » وقال مولانا العظيم : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ أى لا قبحا، وقال عزّ وجلّ : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ والأحسن : هو الذى جمع الحسن وزيادة .

وبالجملة فالذى تحبّ أن يواجهك الناس به من الكلام الطيب والقول الحسن والفعل الجميل فافعله مع خلق الله تعالى وما تكره أن يعاملك العباد به من الكلام الخبيث والقول القبيح والفعل الكريه فاترك الناس والخلق منه ، فإن الله عزّ وجلّ يعامل العبد بوصفه وخلقه الذى يعامل به الناس ، فإن المجازاة على الوصف بالوصف جزاء وفاقا ، فمن كان للخلق جنة ورحمة وظلا ظليلا يستريحون فيه ، كان الله له كذلك ، فمن أكرم عبدا لمراعاة سيده فإنما أكرم السيد نفسه ، ولذلك جاء فى الحديث عن الله تعالى « أنه يقول للعبد يوم القيامة : جعت فلم تطعمنى ، واستسقيتك فلم تسقنى ، ومرضت فلم تعدنى ، فيقول العبد : كيف تجوع وأنت ربّ العالمين ، وكيف تمرض وأنت ربّ العالمين ، وكيف تستسقى وأنت ربّ العالمين ؟ فيقول له سبحانه مفسرا ذلك : أما إنه مرض عبدى فلان فلو عدته لوجدتنى عنده ، وجاع عبدى فلان أما إنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى ، واستسقاك عبدى فلان أما إنك لو أسقيته لوجدت ذلك عندى » ففسر سبحانه نفسه قوله : (جعت ومرضت واستسقيتك) بقوله (جاع عبدى فلان ومرض عبدى فلان واستسقاك عبدى

فلان)، فمعاملة العبد لملاحظة سيده هى معاملة السيد بلا شكّ ، فمن رسخ قدمه فى هذا المقام وصارت معاملته مع الحقّ تعالى جل جلاله فى كل شىء فلا يراقب غير الله تعالى، ويجمع مكارم الأخلاق مع الله تعالى ومع عباده قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : « أكرموا الله تعالى أن يرى منكم ما نهاكم عنه » وهو أن لا يراك سبحانه حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك ، والأمر الذى يبعث العبد على الحياء من الله تعالى هو أن يعلم علم حضور أن الله على كل شىء رقيب وعلى كل شىء شهيد، وهو قوله تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾ فإذا شغل العبد قلبه بهذه المراقبة واستعملها حتى اعتادها وألفها ، ألزمه الحياء من الله تعالى أن لا يقول قولا ولا يفعل فعلا لا يرضاه الله تعالى ولا يليق بجلاله ، وهو حاضر القلب : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ بأن الله تعالى معه وناظر إليه ، فإن العبد إذا أراد أن يزنى مثلا أو يسرق والناس ناظرون إليه لا يقدر أن يقدم على ذلك مع علمه بنظر الناس إليه ، ويستقبح ذلك من نفسه ويستخبثه ، فإذا كان الحال هكذا مع المخلوق الذى لا يملك ضرّا ولا نفعا ، والحامل له على ذلك كله مخافة أن يسقط من أعين الناس وينحطّ قدره عندهم ، فلا شكّ أنه إذا كان حاضر القلب عند الشروع فى الفعل الذى لا يرضاه الله تعالى ترك ذلك الفعل قطعا ، وهذا معنى قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فى الإحسان : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فانه يراك » فمن كان بهذه الحالة لزمه أن يحسن تلك العبادة ويتقنها على قدر قوّة علمه أن الله ناظر إليه فيها.. انتهى .

وسئل رضى الله تعالى عنه : هل يلزم الإنسان الاختبار إذا أحسّ بشىء خرج من ذكره وهو فى الصلاة ؟

فقال : لا يلزمه ذلك ولا ينبغى له أن ينقض وضوءه بمجرّد الشكّ بل يبقى فى صلاته ولا ينصرف منها لعدم اليقين ، لأن اليقين لا يحصل إلا بالاختبار ، والاختبار متعذّر وهو فى الصلاة ، ثم بعد فراغه من الصلاة يختبر فإن وجد ذلك حقا أعاد الوضوء والصلاة وإن لم يجد فلا اعتبار بالشكّ الواقع فى الصلاة لأنه انكشف خلاف ما خيل .. انتهى .

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن الدعاء فى الصلاة هل يأتى به بصيغة الجمع إذا كان إماما ولو كان واردا عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بصيغة الإفراد مثل : « اللهمّ أعط نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها » ونحو ذلك فيقول : اللهمّ أعط أنفسنا ، **فقال:** ائت بصيغة الجمع وإن كان واردا بصيغة الإفراد ، لأن فى الحديث « من أمّ قوما فأفرد دونهم نفسه بالدعاء فقد خانهم » وعن ثوبان رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ثلاث لا يحلّ لأحد أن يفعلهنّ : لا يؤمّ رجل قوما فيخصّ نفسه بالدعاء دونهم فإن فعل فقد خانهم ، ولا ينظر فى قعر بيت قبل أن يستأذن فإن فعل فقد دخل خائنا ، ولا يصلى وهو حاقن حتى يتخفف » رواه أبو داود واللفظ له والترمذى وابن ماجه وحديثه مختصر وقال الترمذى : حديث حسن ، ورواه أبو داود أيضا من حديث أبى هريرة ، ومنها أن يسأل الله تعالى بعزم ورغبة وحضور قلب ورجاء ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ والنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وإن أتى بصيغة الإفراد فهو روح كل مؤمن ، ففى الحديث عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ما دخلت شوكة فى رجل أحدكم إلا وجدت ألمها » وأيضا إذا كان الإنسان منفردا

يأتى بصيغة الجمع وينوى المسلمين وهو أولى ، هذا معنى ماذكره ، أعاد الله علينا من بركاته آمين .

وسئل رضى الله تعالى عنه : ما الفرق بين الظنّ الذى هو أكذب الحديث ، والذى لا يغنى من الحقّ شيئا ، وبين الظنّ الذى فى قوله تعالى فى الحديث القدسى « أنا عند ظنّ عبدى بى ، فليظنّ بى عبدى ما شاء » ؟

فأجاب : إن الله سبحانه وتعالى لا يعلم أحد ما عنده ولا يدرى ما يفعل به ، فإذا ظنّ به عبده خيرا حققه الله ، فكيف إذا تحقق العبد فى الله خيرا فهو سبحانه وتعالى يحقق لعبده ظنه ، ولا تسأل عمن علم فى الله وعلم بالله حقّ علمه سبحانه ما أكرمه .

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن القراءة خلف الإمام هل لابد منها أم قراءة الإمام له قراءة ؟ .

فأجاب : بأنه لا يقرأ خلف الإمام إلا الفاتحة لما فى الحديث أنه على الصلاة والسلام قال « لعلكم تقرءون ورائى؟ قالوا : إنا نفعل ، قال : لا تفعلوا إلا بأم القرآن ، فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها » ولم يفرّق النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بين أن يكون إماما أو مؤتما أو منفردا ، وفى الأصل أن الصلاة مناجاة بين العبد وربه ، ولا تكون مناجاة الإمام مناجاةعن المؤتمّ، قال تعالى : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ ﴾ إنما الإمام يكون شفيعا لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « أئمتكم شفعاؤكم فانظروا لأنفسكم شفعاء » وأيضا فإن فى الحديث القدسى « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى ، فإذا قال (بسم الله الرحمن الرحيم) قال الله : ذكرنى عبدى ، وإذا قال : (الحمد لله رب

العالمين) قال : حمدنى عبدى، وإذا قال (الرحمن الرحيم) قال : أثنى علىّ عبدى ، وإذا قال (مالك يوم الدين) قال : مجدنى عبدى ، وإذا قال (إياك نعبد وإياك نستعين) قال : هؤلاء بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل ، وإذا قال (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال : هذا لعبدى ولعبدى ما سأل » فجعل سبحانه وتعالى الصلاة هى الفاتحة لأنه قال : « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى » ولم يذكر إلا الفاتحة ، مع أن الصلاة أذكار وأركان ، فهو كقول النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم « الحجّ عرفة » مع أن أعمال الحجّ كثيرة ، لكن الوقوف لا يتمّ الحجّ إلا به ، وإذا لم يقف بعرفة لا يسمى حجا ولو فعل أعمال الحجّ جميعها ، كذلك الفاتحة فى الصلاة.

وقال رضى الله تعالى عنه: لما أراد الله سبحانه وتعالى أن يحرّض عبيده على إنفاق المال فى الصدقة ويرغبهم فى ذلك قال تعالى : ﴿ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾ فأضاف المال إليه سبحانه ، لأن السيد إذا قال لعبده : أنفق من مالى والخير عائد عليك فى إنفاقه كان ذلك ترغيبا له فى إنفاقه ، لأن الإنفاق من مال غيره والخير عائد عليه . ولما أراد سبحانه وتعالى أن يحرّضهم على حفظه عن الإتلاف قال سبحانه : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ فأضاف المال إلى العباد إضافة ملك ليكونوا أشدّ حرصا عليه ، سبحانه وتعالى ما أبلغ كلامه! رزقنا الله التدبر لمعانيه ..

وقال رضى الله تعالى عنه فى قول الله سبحانه وتعالى فى الحديث

القدسي : « الصوم لى وأنا أجزى به » أى أن الصوم صفة من صفاتى ، كما قال تعالى : ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ ﴾ . وفى الحديث « تخلقوا بأخلاق الله تعالى » فأمر سبحانه وتعالى عبيده أن يتخلقوا بهذه الصفة وهو عدم الطعم للطعام فى وقت مخصوص ، فقوله: « الصوم لى » أى هو فى الحقيقة لى لأنى أطعم ولا أطعم ، وأنا أجزى به : أى أنا جزاؤه لأنه تخلق بخلقى فجعلت جزاءه النظر إلىّ فأنا جزاؤه ، فإن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وآله وسلم « أوصنى ، فقال له : عليك بالصوم فإنه لا مثل له » فلو لم يكن تفسير هذا الحديث كذلك لتعطل المعنى ، تعالى الله علوّا كبيرا، إذ لو كان معناه على ظاهره لكان مثل سائر الأعمال ، لأن الأعمال كلها لله وهوسبحانه وتعالى يجزى بها .

وقال رضى الله تعالى عنه : أنزل الله القرآن محكما ومتشابها ، فالمحكم أوضح من الشمس ، قال تعالى : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى ﴾ .. وقال تعالى : ﴿ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ .. وقال تعالى : ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ أى بين لها طريق السعادة وضدها ، وقال تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ أى بينا له النجدين ، وإذا أشكل منه شىء لقلة فهم ، فقد أمر سبحانه رسوله أن يبينه للناس ، قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾، فبين صلى الله عليه وآله وسلم فى السنة ما بينه ، وما لم يبينه فليس لنا أن نبحث عنه ، وأما المتشابه فأنزله تعالى ليختبر به عبيده وهو أعلم بهم ؛ فمنهم من يتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله ، ومنهم من يؤمن به على الجملة فيقولون : ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ وهم الراسخون فى العلم ؛ والذين



ينظرون فى متشابهه ويحرّمون حلاله إنما هم يتكلفون ما لا يعنيهم ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ ولو قيل لأحدهم أتحلف بالله العظيم وطلاق امرأتك ثلاثا أن ما فسرت به هذه الآية التى هى من المتشابهات هو مراد الله لرجع عن ذلك خوف أن تطلق امرأته فيصير زانيا ولم يعلم أنه قد كفر ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ ﴾ .. ﴿ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .. فهذا الذى خاض فيما لا يعنيه ما علم تفسير تلك الآية التى هى من المتشابهات إنما هو من عند نفسه ، وليس معه دليل من السنة ولا هو مبين من عند الله ، فليته كان من أهل الدرجة الثالثة ، وهى لا أدرى ، لأنّ فى الحديث « من كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ، ومن سمع شيئا فردّه فأنا خصمه يوم القيامة » وفى الحديث عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم « العلم ثلاثة : آية محكمة ، وسنة ماضية ، ولا أدرى » .

وقال رضى الله تعالى عنه : سبب اندراس الإسلام : خوض الناس فيما لا يعنيهم ، فأكثروا الرسوم فى العلوم والكتب المؤلفات فى بيان أشياء ما أمرنا أن نتكلف بها ولا نبحث عنها كالعلم باليد فى قوله تعالى ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ .. وقوله تعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ وهذا لا ينبغى ولا يجوز الخوض فيه ؛ ويجب أن لا نتكلم فيه بشىء أبدا ، فإن الله سبحانه وتعالى جعل للرحمة يدين فقال سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ وجعل للنجوى يدين فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ فيد الرحمة ويد النجوى لا يعلم كيفيتهما إلا الله سبحانه وتعالى ، فما ظنك فى العلم بكيفية يد الحق سبحانه وتعالى ، آمنا بالله فهى كما يليق بجلاله وجماله وكماله ، فالخوض فى مثل هذا أعظم الخطر ، قال الله تعالى حاكيا عن أهل النار لما قيل لهم : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ؟ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾ فتأمل ما أخطر الخوض مع الخائضين ، وهذا من جملة الخوض الذى هو إلى الهلاك أقرب ، بل هو عين الهلاك .

وقال رضى الله تعالى عنه فى معنى : سبحان الله وبحمده .. سبحان الله منصوب بفعل محذوف .. أى أسبحه تسبيحه الذى يعلمه لنفسه ويليق بجلاله وكما يسبح به نفسه ، وبحمده : متعلق بفعل محذوف ، يعنى وأحمده بحمده كما يليق بجلاله كما قال صلى الله عليه وآله وسلم « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » .

وقال رضى الله تعالى عنه : رأى بعض الصالحين من أولياء الله تعالى فى المنام الحقّ جلّ وعلا ، فقال له : يا إلهى وسيدى أكرمت الرسل صلوات الله عليهم أجمعين بالوحى والمناجاة ، فاجعل لى شيئا يكون بينى وبينك من غير واسطة ، فقال سبحانه : من أحسن إلى من أساء إليه فقد أخلص لله شكرا ، ومن أساء إلى من أحسن إليه فقد أبدل نعمة الله كفرا ، وهذا من أعظم الفوائد من عمل به أرشده الله إلى الخيرات ، والمحسنون إليك قد يكونون من جنسك ومن غير جنسك ، وذلك الإحسان كله هو بتسخير من

المحسن الكريم الأعظم ؛ فمما سخر لك سبحانه وتعالى دابتك وعبدك وجاريتك ، فدابتك محسنة إليك بحملها لثقلك وحملك على ظهرها وتطيعك أينما وجهتها ؛ فإحسانك إليها أن تشبعها من رزق الله وتسقيها ولا تحملها زائدا على جهدها ولا تضربها لتسير سيرا فوق ما تطيق ، فإن فعلت فقد أسأت إليها ، وإن أسأت إليها فأنت داخل فيمن أساء إلى من أحسن إليه وبدّلت نعمة الله كفرا ، نسأل الله العافية والسلامة ؛ وكذلك العبد وهو أيضا مختصّ بشيء آخر وهو قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم « خادم القوم سيدهم » فكيف إذا أسأت إلى سيدك المحسن إليك وبدلت نعمة الله كفرا ؟

وقال رضى الله تعالى عنه : قال الله تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾ ولم يقل نعم الله .. أى لا تحصوا نعمة واحدة أنعمها عليكم ، فانظر إلى نعمة الحبّ فإن الله سبحانه وتعالى رزقك إياه وأنعم عليك به وأنت تنظره موجودا بعد أن كان فى العدم ولا تدرى كيف وجوده ، ولو تفكرت لعرفت مقدار نعمته ، فإن الله سبحانه وتعالى أوّلا أمر الأرض فخدمته بأن حفظته فى بطنها ثم أمر السحاب فخدمته بأمطارها ، ثم أمر المطر فخدمه بسقيه إياه ، ثم أمر الشمس فخدمته بإنضاجها إياه ، ثم أمر الريح فخدمته بتلقيحها إياه ، ثم خدمه الحديد لأن منه آلات الزراعة ، ثم خدمته البقر وغير ذلك حتى حصل فسبحان المنعم المتفضل ..

وقال فى أثناء ذلك : قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم « أكرموا الخبز فإن الله سبحانه وتعالى سخر له بركة السماء والأرض ، وما أهانه قوم إلا سلط عليهم الجوع » ومن نعمه سبحانه وتعالى أن جعل رزقك يتبعك أينما

كنت ، إذ لو كان فى محل واحد وأنت تقصده لكان ذلك هو العذاب الشديد ، فإنك إذا رحلت من بلدك مثلا إلى مكة فرزقك فهو مقسوم مكتوب وما كتب لك سوف يأتيك ، ألا ترى أنك تشرب مثلا شربة من زمزم وهو سبحانه قد قسمها لك وعلمها منحازة عما خالطها من المياه فى جوف البئر، فيعلم أن هذه الجرعة فى هذا الدلو هى رزق لفلان ؛ وهذه تراق على الأرض وهذه تعود إلى البئر ، يعلم ذلك سبحانه مقسما قبل أن يوجده من العدم فيسوق إليك منه رزقك ، وأيضا يأتيك رزقك إليها من الهند ومن الروم ومن الطائف فهذه رمانة قسمت لك رزقا قبل وجودها وقبل وجودك فساقها إليك ، وهذا صاع من رزّ ساقه إليك من الهند وغير ذلك ، إذ لو كلفت أن تحمل جميع رزقك من ماء وحطب وعلف وحبّ وجميع ما تحتاجه من بلدك وهو بالغرب مثلا إلى مكة لاستغرق أكثر جمال الأرض رجل واحد إذا أراد مثلا أن يسكن فى مكة عشر سنين أو سنتين أو سنة ، وهذا هو العذاب الشديد ، فسبحان المتفضل ما أكرمه ؛ ومن النعم الجوارح التى أودعها فيك والحواس ، فإنك لا تعرف نعمة النظر إلا إذا فقدته ولو كان معك ملك الدنيا بأجمعها وقيل لك اختر رجوع نظرك ويؤخذ الملك منك أو يبقى الملك فى يدك مع فقد نظرك لاخترت النظر ، ولكنك لم تعلم بقدره عند وجدانه ، وكل شىء ما يعرف إلا بضده .. * وبضدّها تتميز الأشياء * ولكن لا ينفع الاعتراف بالنعم عند فقدانها ..

ثم قال : اللهمّ اجعلنا ممن اعترف بنعمك عند وجودها وأوزعنا شكرها ..

وقال رضى الله عنه : « الدنيا سجن المؤمن » هذا الحديث معناه أن

المسجون لا يكون همه إلا الخروج من السجن ، كذلك المؤمن ليس همه إلا الخروج من الدنيا شوقا للقاء ربه ، فإن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لما نزلت عليه : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ سرّ بذلك سرورا عظيما شوقا إلى لقاء الله تعالى لأنه مشاهد للحقّ تعالى فى كل حالة ، لكن سبحانه وتعالى متصف بصفات القهر والرحمة والعذاب فى الدنيا وفى الأخرى بالرحمة فقط ، فلذلك كلّ من أحبّ الله تعالى أحبّ لقاءه .. قال الله تعالى : ﴿ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ولأن المؤمن مخاطب بمحاسبة النفس فى الدنيا ، فلذلك كانت فى حقه سجنا ، فإذا لم يكن كذلك فهو من نقص إيمانه لأنه مطمئن إلى الدنيا ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ ﴾ ولم يقل منا إذ لو قال ذلك لانشقت قلوب الصحابة لقوّة معرفتهم بالله تعالى فأدّبهم تأديبا لطيفا بدمعة لا تفضى إلى الهلاك .. ومعنى الآية : مالكم إذا قيل لكم : أى نقول لكم تعالوا إلينا قاتلوا فى سبيل الله فإما أن ننصركم وإما أن تقتلوا فتلقوا ربكم الذى هو منتهى بغية المؤمنين ، وبقدر حبكم للقائه يكون حبه للقائكم ، ففى الحديث « من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه » ﴿ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ ﴾ : أى اطمأننتم إليها ، ﴿ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ ﴾ ورغبتم عن لقاء ربكم.. ﴿ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾ ، فقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : « يا رسول الله كلنا نكره الموت » فأجاب أن تلك الكراهة من جهة الروح لأنها قد أنست بالجسد وألفته ومفارقة المألوف صعب مع أنها فى أول الأمر ما قنصت إلى قفص الجسد إلا ولها صياح ، ولولا الامتثال لأمر الله تعالى ما قدر على اصطيادها

الملائكة الموكلون بأن يدخلوها إلى الجسد ؛ لأنها كانت مطلقة في رياض الروحانيين فحبست في قفص الجسد ثم أنست به واطمأنت به وألفته حتى إنها تعانقه عند الموت من شدة شغفها به كما يعانق المحبوب محبوبه عند فراقه وربما يمنى ، ولذلك شرع غسل الميت .

وقال رضى الله تعالى عنه : قال الله تعالى: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾..

فقوله : فظنّ أن لن نقدر عليه : أى نضيق عليه ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ﴾ .. أى ضيق عليه رزقه ، وقوله تعالى : ﴿ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ﴾ .. لأنه لا يظن أحد أن الله لا يقدر عليه ، فما ظنك بالنبىّ، ثم لما ظنّ هذا الظنّ ضيقنا عليه فى ظلمات ثلاث لأنه أوقف الرحمة عليه ولم يطلقها عليه وعلى قومه ، فضيقنا عليه ووسعنا على قومه ، قال تعالى : ﴿ إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ .. فهم ممتعون باقون فى الحياة ، ولكن هذا التضييق من الحقّ تعالى لنبيه يونس عليه الصلاة والسلام هو عين التوسيع لأنه تأديب ، وأىّ توسيع أعظم من تأديب المولى لعبده وبه الفوز والفلاح والنجاة .

ومن فوائده رضى الله عنه فى الطب : أن الحنظل دواء للدغ العقرب إما ورقه أو ثمره ، وإذا خلط بزبل الحمام كان أعظم فى النفع ، وكذلك من أدويته أيضا عود القرح ، وللدغ الحية النوشادر ، وإذا كان الإنسان

أو غيره حاملا للنوشادر لا تلسعه الحية أبدا ، بل لاتقربه بإذن الله . ومما ينفع للدغة العقرب أيضا الريال إذا حكّ على ماء ثم لطخ به موضع اللدغة ثم يربط عليه فإنه نافع .

وقال رضى الله تعالى عنه : لما أرسل الله موسى عليه الصلاة والسلام إلى فرعون كان السامرىّ يتشبه بموسى بين يدى فرعون ليضحكه استهزاء منه واستهانة ، فبسبب هذا التشبه على هذا الوجه نجاه الله من الغرق فلم يغرق مع فرعون وأصحابه ، وهذا بمجرّد التشبه والحال أنه على وجه الاستهانة والاستهزاء فكيف إذا كان على غير هذا الوجه ؟ وكيف إذا كان بحسن نية ولو لم يقم بالعمل ؟ قال الشاعر :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ‏ ‏ ‏ ‏ إنّ التشبه بالكرام فلاح

وقال رضى الله تعالى عنه : النكتة فى إيراد قصة الهدهد فى سورة النمل قول سليمان عليه الصلاة والسلام : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ فقوله : وأوتينا من كل شيء ، فيه نوع زهوّ ونزر يسير من رائحة فخر خفىّ ، فأجرى الله سبحانه وتعالى على لسان الهدهد ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ به ﴾ تأديبا له عليه الصلاة والسلام بهذا التبكيت ، ثم أنطق الله سبحانه وتعالى هذا الهدهد بقوله : ﴿ أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ فأخرج الله سبحانه وتعالى الخبء الذى كان فى طىّ سليمان عليه الصلاة والسلام بقصة الهدهد ، وأتى من صفات الحقّ تبارك وتعالى بقوله : ﴿ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ ﴾ ولما تأدّب عليه الصلاة والسلام بآداب الحق

جلّ وعلا، قال لما رأى عرش بلقيس عنده قبل أن يرتدّ إليه طرفه ، وهذا الحدّ لا يتعذّر دونه أبدا ﴿ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ وأراد أيضا أن يؤدب بقوله هذا ، أى قوله ﴿ لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ آصف لئلا يستفزّه شيء من الشيطان لأنه قال: ﴿ آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ فهو عليه الصلاة والسلام أضاف الضمير إلى نفسه وأراد به آصف ليؤدّبه ، وهذا من ألطف العبادات ، فسبحان الله العظيم ، ما أبلغ هذا الكلام الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وقال رضى الله تعالى عنه : قال الله تعالى: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾ فأطلق المفرور منه وقيد المفرور إليه ، أى ففرّوا فرارا مطلقا من كل شيء إلى الله ، حتى إنه بلغ الحال بأبى بكر الصديق رضى الله عنه لما قيل له نأتى لك بطبيب؟ قال : الطبيب أمرضنى ، ففرّ من ألمه إلى الله سبحانه وتعالى ، فإذا أهمك أمر ففرّ منه إليه سبحانه ، فإذا سلط عليك مثلا عدوا فإن قابلته بالحول والحيل والعدد وجعلتها مجرّدة للمدافعة فقد فررت من الله لأنه هو الذى سلط عليك ذلك العدوّ إلى ما معك من الجند والمال ، نسألك اللهمّ عافيتك ، وإن جعلتها إنما هى أسباب وليطمئنّ بها القلب ، قال الله سبحانه : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠)﴾ مع كونك معتقدا اعتقادا تاما أن النصر من عند الله وخرجت لقتال عدوّك وأنت واثق بالله لا أنك معتمد على جندك أبدا ، فقد فررت من العدوّ إلى الله ؛ كذلك الفقر إذا ابتلاك به ، فإن فررت منه إلى قصد مخلوق أو إلى حرفة فقد فررت من الله إلى من قصدت منافعه ، وإن



فـررت منه إلى الله وسلكت معنى دعـاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا ملجـأ ولا منجـا منك إلا إليك » كنت فـارا من الفـقـر إلى الله سبحـانه وتعالى ، فإن بعض أهل الحرف من الصالحين حدثته نفسه فى بعض الأيام وهو شات شديد البرد إن لم تداوم على حرفتك فمن أين تأكل ، فحلف أن لا يعطيها مما كسب من تلك الحرفة شيئا إنما أبقى فيها لقضاء حوائج الناس منها ، فهذا معنى قوله تعالى : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾ .

وقال رضى الله تعالى عنه : قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من جملة دعائه : « اللهمّ إنى أعوذ بك من القتل عند الفرار من الزحف » وقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : « وأعوذ بك أن أموت فى سبيلك مدبرا » وهو معنى قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ ﴾ الآية .. فالقتل عند الفرار من الزحف تعوّذ منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفيه هذا الوعيد فى القرآن ، وكذلك الموت على غير توبة ، فإنه أكبر من الفرار من الزحف ، لأن مجاهدة النفس والشيطان هو الجهاد الأكبر كما فى الحديث فالقتل عند الفرار منه أكبر ، لأنك إذا فررت من مجاهدة النفس والشيطان فقد فررت من الزحف والفرار منه هو هتك ما حرم الله سبحانه أو ترك ما أمر به ، فنعوذ بالله أن نموت ونحن مصرّون على شيء منه ..

اللهمّ أمتنا ونحن تائبون مجاهدون فى سبيلك ، والجهاد فى سبيل الله هو القيام فى نحر العدوّ وأىّ عدوّ أعظم من الشيطان والنفس ، وسبيل الله هو الطريق الموصلة إلى الله ، ﴿ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً ﴾.

وقال رضى الله عنه : قـال الله سبحانه وتعالى : ﴿ لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾ إلى قوله ﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ، فابتدأهم الله سبحانه وتعالى بالتوبة وحباهم بها ، وكل واحد منهم ذنبه على قدره ؛ وأما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فليس له ذنب ، كيف وهو معصوم ؟ ولكن لما عرف قدر الله سبحانه حقّ قدره نزّل نفسه منزلة المقصر فى حقه ، وكان ذلك ذنبا عنده فتاب عليه الحقّ سبحانه وتعالى باعتبار ما عنده من تسمية ذلك ذنبا إذ كل واحد له ذنب باعتبار ما عنده وإن كان ليس ذنبا حقيقة فتاب عليهم جميعا ولم يكلهم فيها إلى أنفسهم شيئا بخلاف الثلاثة الذين خلفوا فإنه لما ظهر ذنبهم على رءوس الأشهاد قال فى حقهم تبارك وتعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ فقال : « ليتوبوا » فوكلهم إلى أنفسهم فى التوبة ، لكن لولا أنها سبقت توبة الله عليهم ما قدروا على التوبة ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ فافهم هذه النكتة .

وقال رضى الله تعالى عنه : لما قالت الملائكة عليهم الصلاة والسلام حين قال الله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ ؟ جعل سبحانه مصلحتهم على يده فى أول وهلة ، فهم أوّل من استفاد منه حين علمهم الأسماء، وهم مع طول مدّة أعمارهم فى عبادة الله تعالى لم يعرفوا الأسماء ، ومعرفة الأسماء والعلم بها هو أعظم العلوم ، فإن كل اسم من أسماء



الله إذا عرف ازدادت معرفة الله تعالى ، ثم ذكروا الفساد بقولهم : من يفسد فيها ، وجعلوا الفساد بسبب واحد منهم ، وهو إبليس ، ثم لما قالوا : ويسفك الدماء ، ولم يعينوا بكونه حلالا أو حراما أمرهم أن ينزلوا فيسفكوا الدماء فى يوم بدر ، وبقولهم هذا ظهرت مزية الإنسان وشرفه، فجزاهم الله عنا خيرا ، لأن الله سبحانه وتعالى خاصمهم عنا قبل وجودنا لما نسبوا ذلك إلينا ، وقولهم: أتجعل فيها.. الخ ، هو كسكرة أدهشتهم لما نزل الحقّ نفسه منزلة المستشير لهم فسكروا سكرة بسط فلا لوم، وأىّ سكرة أعظم من سكرة البسط، وأىّ بسط أعظم من أن يستشير الملك ـ الذى يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ويعلم ما تخفى الصدور ـ أحدا من عبيده .

وقال رضى الله تعالى عنه : قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيراً * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ فقال : اذكروا الله وأتى باسمه الصريح ليكون أشدّ تشويقا لذكره تعالى ، قال الشاعر :

فبح باسم من أهوى ودعنى من الكنى

فلا خير فى اللذّات من دونها ستـر

ثم أطلقه فى كل وقت ولم يقيده بوقت من الأوقات ، ثم قال : ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ فقيده بالبكرة والأصيل ، وذلك لأن الذكر فى كل حالة هو المراقبة فإذا ذكرت الله تعالى على كل حال بقلبك ولسانك وتجنبت ما نهيت عنه وامتثلت ما أمرت به كان ذكرا مطلقا ، وأيضا لأنك مفتقر إليه فى جميع الحركات والسكنات والأنفاس والخطرات ، فما طرفة عين إلا وأنت مفتقر إليه فيها ، والتسبيح هو تنزيه الحقّ جلّ وعلا ، فنزّهه

عن أن تكون البكرة فى حقه بكرة ، أو يكون الأصيل فى حقه أصيلا ، وكذلك شرع فى السجود والركوع وعند القيام من المجلس ، ففى كلها تسبحه : أى تنزّهه عن أن يكون متصفا بهذه الأفعال .

وقال رضى الله تعالى عنه : حقيقة الزهد أن الإنسان إذا أعطاه الله جاد ، وإذا منعه عفّ ، فالغنىّ يعطيه الله سبحانه مالا فلابدّ أن يسئل عنه ، فإن أنفقه فى سبيل الله على تنوّعه سئل سؤال تكريم ثم يجزى الجزاء الأوفى ، وإن أضاعه فى غير ما يرضى الله سئل سؤال تبكيت وعاد عليه بالخزى والوبال ، وهذا معنى ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ وهو إذا أكل أكلة من رزق الله ، فإن أدّى شكرها وهو أداء ما افترض الله عليه واجتناب ما نهاه عنه سئل عنها سؤال تكريم ، وإذا تقوّى بها على معصية الله خاصمته تلك الأكلة بين يدى الله فينصفها منه لأنه عدل . وكذا ركوب الخيل ولبس الثياب وجميع ما أنعم الله عليك به كلها ناطقة عليك أوّلا فى الدنيا ، فإنه لو كشف لك الحجاب لسمعت الأرض التى تعصى الله فيها تقول لك بلسان فصيح : اتقّ الله ، وكل شىء يطلع عليك كذلك ، وثانيا يوم القيامة يقوم لك كل شىء صيرته فى معصية مخاصما بين يدى الله، أفتراه يظلم ولا ينصف؟ كلا والله إنه هو العدل الحكيم ، ثم تشهد عليك جوارحك ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ فهيهات أن يخفى ما سترته ، ألا ترى أن الله سبحانه وتعالى أنعم عليك باللحم ولا يكون إلا بعد موت البهائم والموت إما بالذبح أو بالصيد ، فهى فى نفسها ذلك الذبح بغيتها ومرامها أن يذبحها مسلم أو يصطادها ليتقوّى بها على طاعة الله تعالى وهو

معنى التسخير ، فإذا تقوّيت بها على معصية الله صرت غاصبا لها وخاصمتك بين يدى الله .

وخلاصته أن كل ما أعطاك الله إن أنفقته بالمعروف فقد تصرّفت فى مال الله بالحقّ . وإن لم فقد صرت غاصبا لمال الله لأنه أعطاك إياه وعلمك كيف تنفقه ، فإن امتثلت سعدت وإن خالفت شقيت .

وقال رضى الله تعالى عنه : قوله تعالى : ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي** ﴾ أى لأجل ذكرى لك كما ورد فى الحديث « إذا قال المصلى الحمد لله ، قال الله : أثنى علىّ عبدى » إلى آخره .

وسئل رضى الله تعالى عنه : إذا لحق المؤتمّ الإمام فى الركوع هلى يعتدّ بتلك الركعة أم لا ؟ مع أنه ورد فى الحديث « لا صلاة إلا بأمّ القرآن » وهو هنا لم يقرأها .

فأجاب : إنه يعتد بها ولو لم يقرأ أمّ القرآن ، وهو خاصّ فى هذا الموضع لأن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم طوّل فى الركوع فى بعض الصلوات تطويلا خارجا عن العادة ، فسئل عن ذلك فقال : أمسك جبريل يدىّ فى ركبتىّ حتى أتى علىّ بن أبى طالب فأدرك تلك الركعة ، ثم قال : فانظروا إلى هذا التكريم الذى لعلىّ كرّم الله وجهه ورضى تعالى عنه ينزل جبريل من تحت العرش ، بل من سدرة المنتهى بأمر الله تعالى فيمسك يدى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم حتى يأتى فيدرك الركعة ، هذا تشريف وأىّ تشريف! ..

وقال رضى الله تعالى عنه : علت همم قوم من أمة النبىّ صلى الله

عليه وآله وسلم ومن غيرها من الأمم حتى لا يريدوا سوى الله ، وإذا أرادوا الله سبحانه صارت الدنيا والآخرة تحتهم .

قيل إن بعض الملوك قال لجواريه : كل واحدة منكنّ تختار ما أرادت وهو لها ، فكلّ واحدة اختارت شيئا مما فى ذلك المنزل ، وواحدة لم تختر شيئا ، فقال لها : لم لم تختارى معهنّ شيئا ؟ قالت : أختار سيدى ثم وضعت يدها على رأسه ، فقال : الدار كلها لك بما فيها . فانظر إلى من علت همته وسلم ذوقه . وكذلك سحرة فرعون جاءوا فى أوّل اليوم يبتغون شرّا ويريدون إدحاض الحقّ بالباطل وهو آية موسى بسحرهم ، ثم ما مرّ عليهم ذلك اليوم إلا وقد سعدوا السعادة الكبرى وبلغوا درجة الولاية وأرادوا الله لا سواه حتى إنه لما قال لهم فرعون : ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ إلى قوله ﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ فقالوا : والله خير وأبقى ولم يقولوا : والآخرة خير وأبقى ، فعل ماتوعدهم به ولم يرتدّ منهم أحد ، ثم بعد ذلك بلغوا هذه الرتبة ساعة لم يعبدوا الله قبلها أبدا ولم يوحدوه ، فنحن أحقّ بذلك وما لنا أن لا نرجّى فى الله ذلك ونظنّ فيه وهو عند ظننا « أنا عند ظن عبدى بى فليظنّ بى ما شاء » .

وقال رضى الله تعالى عنه : علم الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ليلة أسرى به ثلاثة علوم : علم الشريعة ، وعلم الخواصّ ، وعلم خواصّ الخواص . فعلم الشريعة فى جميع الأمة يعلمها الخاص والعام . وعلم لم يعلمه إلا الخواص ، وعلم لم يعلمه إلا خواص الخواص ؛ وهو معنى قول علىّ كرّم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه : ههنا علم - وأشار إلى صدره -

ما وجدت له حملة . وقول أبى هريرة رضى الله تعالى عنه : أخذت وعاءين من علم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أما أحدهما فبثثته . وأما الآخر فلو بثثته لقطع منى هذا البلعوم .

اللهمّ اجعلنا من خواص الخواص برحمتك يا أرحم الراحمين وبحرمة الفاتحة آمين آمين آمين .

وقال رضى الله تعالى عنه : لما حدّث النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بقصة موسى حين قال : ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ قال : تجلى تعالى للجبل بنوره بمقدار رأس الأنملة ، ثم أشار بالخنصر من أصابعه ووضع إبهامه على الخط الأعلى منها ، فقال الشيخ رضى الله تعالى عنه : ذلك النور الذى تجلى منه للجبل بقدر الأنملة هو نور النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (٤٥) وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً ﴾ فالسراج هو النور، والنور النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم هو النور الهادى.

ثم قال الشيخ رضى الله تعالى عنه : أمره الله بعد أن أفاق أن يضرب بعصاه الجبل ، فضرب بها فظهر سبعون ألف بحر ، فى كل بحر سبعون ألف جبل ، على كل جبل سبعون ألف موسى عليهم الكساء وبأيديهم العصىّ وكل واحد يقول: ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ فخرّ موسى صعقا فقال: ﴿ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وحين كلمه الله من الشجرة قال: ياربّ أهكذا كلامك ؟لأنه سمعه من جوانبه ومن ظاهره وباطنه ، فقال له

الحقّ تعالى : يا موسى إنما أكلمك بقوّة عشرة آلاف لسان ولى قوّة الألسن كلها وأقوى من ذلك ولو كلمتك بكنه كلامى لم تك شيئا ، سبحان القادر الذى لا محال عليه .

وفى الحديث أن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : إن لله تبارك وتعالى ألف ألف عالم ، ولو حدثتكم بصفة كل عالم لما حملتكم قلوبكم ، سبحان الواسع الحكيم .

وقال رضى الله تعالى عنه : قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ أى لا تكن ككليمنا موسى حين عجل عن قومه شوقا إلى ربه ففتنوا من بعده ، وذلك لأن النبىّ يطير إلى ربه بأجنحة النبوّة فيخلف قومه وراءه ، فأمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يصبر مع قومه فيمشوا أمامه ويسوقهم إلى الله كالراعى يسوق غنمه .

وقال رضى الله تعالى عنه : لا يخلو الإنسان من التدبير ، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى جعل الإنسان خليفة فى الأرض ، والتدبير من شأن الحقّ سبحانه وتعالى فسرى سرّه إلى الخليفة وكذلك الإرادة ، فإنه ذكر عند أبى يزيد البسطامى الزهد فقال : الزهد ليس عندى بشىء ، إنما كانت فيه ثلاثة أيام : اليوم الأوّل زهدت فى الدنيا ، واليوم الثانى زهدت فى الأخرى ، واليوم الثالث زهدت فيما سوى الله تعالى ، فقيل لى : ما تريد؟ فقلت : أريد أن لا أريد .

فقال بعض المشايخ : إنه أراد إذاً ..

وقال رضى الله تعالى عنه فى وصف الجنة : إن أهل الجنة فيها كل واحد منهم يدرك لذّة النعيم فيها بقدر إيمانه فى الدنيا ، فالاثنان يشربان مثلا من نهر واحد وكل واحد منهما يدرك ذوقا غير الآخر ، وكذلك الرؤية للحقّ تعالى كل واحد على قدر إيمانه يحصل له التلذّذ والإدراك ، وعلى هذا غيره من النعيم ، وفى الدنيا القرآن وزمزم كل واحد يدرك ذوقهما على قدر إيمانه ..

اللهمّ اجعلنا مؤمنين يا أرحم الراحمين ؛ ثم لا يزال معه الذوق كلما تقوّى بنعيم الجنة إلى ما لا غاية له كلما تقوّى من الرؤية مثلا زاد ذوقه واتسعت دواعيه فإن لأهل الجنة سوقا يتسوّق إليه أهل الجنة فى كل جمعة : أى فى محلّ يوم الجمعة من أيام الدنيا ، فيتجلى لهم جلّ وعلا فيأخذ كل عضو قصده وكل جارحة ثم يعود إلى محله وقد ازدادت خلقته وتنوّر لونه ، فيكتسب أهله من ذلك الجمال ثم لا تزال الأعضاء تشرب ذلك وتتلذّذ فلا تدور مدة أسبوع فى الدنيا إلا وقد أدرك داعيا للرؤية كما يدرك العطشان داعيا للماء ، فيذهبون إلى ذلك السوق ، والقوى والتلذّذ فى ازدياد إلى ما لانهاية له ، وذلك لأنها حياة لا موت فيها ..

اللهمّ إنا نسألك الجنة وما قرّب إليها من قول أو عمل ، ونعوذ بك من النار وما قرّب إليها من قول أو عمل.

وقال رضى الله تعالى عنه : قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**﴾ إلى قوله : ﴿ **يَعْلَمُونَ** ﴾ أى أن الله سبحانه وتعالى خلق جميع المخلوقات للإنسان وسخر له جميع ما فى السموات

وما فى الأرض لكن للذين آمنوا منهم ، وأما الذين لا يؤمنون فليس لهم من ذلك شيء ، وإنما هم غاصبون لما فى أيديهم على المؤمنين ولذلك كان فيئا لمن سبق إليه ، أمر الله المؤمنين أن يجاهدوا الكفار ويأخذوا أموالهم الذين هم غاصبون ، وأما المسخرات كالأرض والشمس والسماء فباقيات تحت قهر الله سبحانه وتعالى كرها على تسخيرها للكافرين مع أنها لو خلى الله بينها وبينهم لابتلعتهم الأرض كما خلى بينها وبين قارون ، وتتفطر السماوات وتخرّ الجبال هدّا ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ ﴾ أى هم ولا غيرهم لأن غيرهم من الدوابّ أوجدها من أجلهم فبعدمهم تعدم كل دابة ﴿ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ..

وقوله تعالى : ﴿ خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أى لهم لا يشاركهم فيها أحد ، وأما فى الدنيا فإنه شاركهم فيها الكافرون غصبا .

وقال رضى الله تعالى عنه : قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ فكل واحد من بنى آدم وغيرهم منفرد فى صفة لا يشاركه أحد فيها من قبل ولا من بعد ، بل ابتدعه البديع جلّ وعلا فى صورة لم تخلق من بعد ولا من قبل ، كل فرد له لون لا يشبهه لون أحد ، وله صوت لا يشبهه صوت أحد ، وله منطق لا يشبهه منطق أحد ، فإنّ راعى الإبل يعرف صوت كل واحدة من إبله بعينها ، كذلك الشعرات ليست كل واحدة هى عين الأخرى ، بل كل واحدة منفردة فى وصفها لا يعلم ذلك الوصف إلا الله سبحانه وتعالى ، ثم هو جلّ جلاله ناظر إلى كل فرد من جميع المخلوقات

نظرا مختصا به الموجود منها والمعدوم والسابق والآتى فى حالة واحدة سبحانه وتعالى .

وقال رضى الله تعالى عنه : قال الله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ـ ﴿ هُمُ الظَّالِمُونَ ـ ﴿ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ هذا الحكم ليس هو مختصا بالحاكم ، بل به وبكل فرد من الناس ، فكلٌّ راع وكل مسئول عن رعيته ، فإن الإنسان حاكم على أعضائه وجوارحه ، فإن لم يحكم فيها بما أنزل الله وهو أن يهتك بها محارمه أو يفرّط بها عن واجباتها فهو ظالم ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أكرموا الله أن لا يراكم فيما نهاكم عنه » . ثم الحاكم بين المسلمين مخاطب بالأحكام بين الناس وفى جوارحه وأعضائه فهو أشدّ ، وأين من يحكم بما أنزل الله ؟

دعى أبو حنيفة ليكون قاضيا فقال : لست أهلا لها ، فقيل له : لابد من ذلك ، فقال : قد قلت لست أهلا لها فإن كنت فى ذلك صادقا عذرتنى ، وإن كنت كاذبا فبكذبى هذا قد تحقق أنى لست أهلا لها .

وقال رضى الله تعالى عنه : لو عمل ابن آدم بعلمه أن رحمة الله وسعت كل شىء لما كان للحسد فيه مجال ، فإن كل فرد من الناس لو كان وليا مقرّبا لم يضيق أحد على أحد شيئا فى سعة رحمة الله ، ولو كان كل فرد منهم معه ملك الدنيا جميعها لم يضيق أحد على أحد شيئا فى سعة فضل الله ، قال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لأبى ذرّ رضى الله تعالى عنه : « إنى أراك ضعيفا وإنى أحبّ لك ما أحبّ لنفسى » وذلك ليس خاصا بأبى ذرّ بل كل واحد من أمته كذلك ، فهو يحبّ لكل فرد من أمته أن يكون

رسولا مقرّبا فى درجته صلى الله عليه وآله وسلم لعلمه بسعة رحمة الله ، ولو كانوا كذلك لما ضيق أحد على أحد شيئا ففيم الحسد إذاً .. حسبنا الله ونعم الوكيل ..

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن صدقة الفطر إذا لم يجد الفقير شيئا **فقال:** تبقى فى ذمته حتى يوسر ، فإذا يسر الله عليه أخرج عما تقدم ، وذلك لأن الصوم يبقى معلقا بين السماء والأرض حتى يخرج صدقة الفطر وليست مخصوصة بالأغنياء بل وبالفقراء إلا أنها فى الذمة لا فى المال .

وقال رضى الله تعالى عنه : قال الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام : [إذا رأيت الفقر قد أقبل فقل مرحبا بشعار الصالحين ، وإذا رأيت الدنيا قد أقبلت فقل : هذا ذنب عجلت عقوبته] والفقر الحقيقى عند أهل الله هو فقد ما سوى الله من القلب ، وذلك أنه ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ، فاذا اشتغل القلب بالمال عن الله سبحانه وتعالى فلا يتسع إلا له ، وإذا تخلى عن كل شيء سوى الله تعالى اشتغل بالله عمن سواه ..

اللهمّ إنى أعوذ بك من كل عمل يخزينى ، وأعوذ بك من كل صاحب يردينى ، وأعوذ بك من كل أمل يلهينى ، وأعوذ بك من كل فقر ينسينى ، وأعوذ بك من كل غنى يطغينى ، وأعوذ بك من كل قاطع يقطعنى عنك ..

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن قول الله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ .

فأجاب : إن الأمانة هى الشريعة ، لأنه هو الذى أهل لها وذلك أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان خلقة لم يخلق عليها شيئا غيره ، فبهذه الخلقة تأهل لحمل الشريعة ، ثم ضرب لنا مثلا فقال : إن المدر إذا عمل ماعونا لحفظ شيء خمر الطين ثم يصنع ويعاد على النار ، فإذا كان كذلك صار أمينا لا يخون كذلك الإنسان خلقه فى أحسن تقويم فتأهل لحمل الشريعة ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا ﴾ أى ناقصا بدليل « ولم تظلم منه شيئا » ﴿ جَهُولاً ﴾ أي جاهلا عن الشرع ناقصا عن الكمال قبل حمل الأمانة ، فلما حملها صار تاما عالما ، وأىّ علم أعظم من العلم الذى جهلته الملائكة ، فعلمه هو وعلمه الملائكة ، فمن خان فى هذه الأمانة وهى الشريعة بعد حملها فقد ردّ إلى أسفل سافلين، ومن آمن بها وعمل الصالحات فله أجر غير ممنون ، ثم إذا حفظ الأمانة حقّ حفظها صار الحقّ سمعه وبصره إلى آخر الحديث ، فهذا الجوهر الإنسانى أمره عظيم لكنه لم يعرف قدره ، فإن الله سبحانه وتعالى لماجعله خليفة فى أرضه أودعه وسط الممالك التى خلقت من اجله لينظر إلى جميع أطرافها ، فهو ما بين السماوات والأرضين السبع وجميع ما فيهنّ مسخرات له كما يضنّ الملك بأنفس الجواهر فيضعها فى جوف سبعة صناديق ، ثم من الأمانات أيضا النفس والمال ، لأن الله سبحانه وتعالى قد اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ثم أودعها إياهم أمانة وأمرهم أن يحكموا فيها بالعدل ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ فأداء الأمانة إلى أهلها هو أن يبذل الإنسان نفسه فى سبيل الله إما فى الجهاد الأكبر أو الأصغر وينفق ماله ، فمن فعل كذلك فقد أدّى الأمانة إلى أهلها ، والله سبحانه هو أهلها ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ فكل إنسان يحكم فى

أعضائه ونفسه بالعدل، والعدل هو الله ، وكل إنسان فى نفسه هو الناس ، والحكم بالعدل فى النفس والمال اللذين هما أمانة أن تطعم هذه النفس من هذا المال ما تتقوّى به على طاعة الله بالمعروف من غير إسراف ولا تبذير ، ثم ما فضل منه أمرهم أن ينفقوه فى سبيل الله ، وهو على سبيل القرض يدخر لهم إلى الآخرة مضاعفا ، فإذا صار الإنسان حافظا للأمانة هذا الحفظ متصرّفا فيها كما أمره صاحب الأمانة فهو داخل فيمن قتلوا فى سبيل الله إذا ماتوا فإنهم أحياء : ﴿ **وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ** ﴾ بل شهادته أعظم من شهادة من قتل فى الله بالسيف لأنه قتل بسيف الحبّ والشوق فى الجهاد الأكبر ، والشهادة فى الجهاد الأكبر أعظم منها فى الجهاد الأصغر ، وكذلك إنفاق المال ، قال تعالى : ﴿ **آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ** ﴾ ﴿ **وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ . يعنى أن المال كله لله ثم ادّعيتم فيه الملكية فأقرّكم على ذلك ، ثم اشتراه منكم وأودعكم إياه ، ثم بعد أن قبضكم إليه قسم مالكم لمن يريد ، فأنزل آيات الميراث ، وذلك أن الأنبياء لا يورثون شيئا لأنهم لم يدعوا الملكية أبدا ، بل ما أمنهم الله تعالى عليه من المال صرفوه فيما أمرهم فلم يملكوا شيئا .

وقال رضى الله تعالى عنه : قال تعالى : ﴿ **يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لاَ عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ** ﴾ ينسبون العلم كله لله وهم يعلمون بما صار إليهم من قومهم ، فمنهم من قتل ، ومنهم من

اتخذ من دون الله إلها ، ومنهم من طرد ، لكنهم وافقوا المقام هنالك لأن الله سبحانه يشتدّ غضبه حينئذ ، فلو أن كل واحد منهم ذكر ما صار إليه من قومه لم يوافقوا مقام الغضب ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ .. مع أنه قد علم ما يفعل به وهو أنه قد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، وعلم أيضا بما يفعل بأمته صلى الله عليه وآله وسلم . وفى الحديث : « إن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم خطب خطبة من أوّل اليوم إلى آخره لم يفرق بينها إلا بالصلاة ذكر فيها خلق السموات والأرض إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، فنسيها من نسى وحفظها من حفظ » لكنه وافق مقام التخويف ، فإنه إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يدرى ما يفعل به ، فكيف بغيره وهو صلى الله عليه وآله وسلم لا يدرى ما يفعل به فى الجنة ، فإن الله سبحانه وتعالى يحبوه بأشياء فى الجنة لا تخطر على قلب بشر ، وكذلك من دخل الجنة لهم فيها ما يشاءون ، وتفاصيلها لا يعلمها إلا الله سبحانه ، لأنه حىّ بحياة الله ، فما ظنك برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذى هو واسطة عقد الكون ، وكذلك لا يدرى ما يفعل بأمته على التفصيل: كم أنفاس كل حى إلى انتهاء أجله وما يحدث فى كل لمحة وخطرة فإن هذه ونحوها لا يعلم بها إلا الله ، فمقام التجوّز فى محله باعتبار الظاهر ، ومقام الحقيقة فى محله باعتبار الباطن .

وقال رضى الله تعالى عنه فى التوكل : قالت رسل الله : ﴿ وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ ﴾ الآية ، أى فى أمورنا جميعها وهو سبحانه قد هدانا سبلنا ابتداء منه وليس لنا اختيار ، فأوجدنا من العدم وعرّفنا التوحيد ولم نتطلب

معرفته قبل وجودنا فكيف لا نتوكل عليه الآن ، فنحن في التوكل عليه ووجودنا كعدمنا ، وتوكلهم عليه سبحانه توكل مطلق لا لينصروا ؛ فالتوكل على الله سبحانه وتعالى هو التوكل المطلق لا لأجل علة ، فأما إذا كان معلولا فلا يسمى توكلا ، فإن الله سبحانه كان وكيلا لنا قبل وجودنا ، خاصم عنا الملائكة حين قالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ ثم جعل اسمه الرحيم وجميع أسماء الرحمة غالبة لأسماء الغضب ، فسبقت رحمته غضبه ، ثم جعل باب التوبة مفتوحا إلى أن يغرغر ، ثم هو كل يوم ينادى في الثلث الأخير من الليل : هل من تائب فأتوب عليه ، هل من مستغفر فأغفر له .. الخ . فهو سبحانه يدعونا إليه حتى الأعضاء منا تدعونا إليه فإن الأعضاء تناشد الإنسان تقول له : استقم فإن استقمت استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا ، ثم كل يوم يقول للإنسان : أنا يوم جديد وأنا على ما تعمل فيّ شهيد ، فاغتنمني ، فإني إذا غربت شمسي لم تدركني ، وكل ليلة تقول : يا ابن آدم أنا ليلة جديدة وأنا على ما تعمل فيّ شهيدة فاغتنمني فإني إذا أطلع فجرى لم تدركني وكذا جميع ما في الكون يدعو إليه وأعظمها الرسل والقرآن ، ثم لما كان لنا وكيلا قبل وجودنا هدانا سبلنا لمعرفة هذه كلها بالعقل والنقل قبل أن نتوكل عليه فكيف بعده ؟ ولذا قالوا : ﴿ وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ ﴾ الآن وهو سبحانه يريد بذلك كله نجاتنا لأنه وكيل ، والوكيل لا يريد إلا جلب المنافع لموكله ودفع المضار بقدر علمه ، فكيف الوكيل الذى يعلم غيب السموات والأرض ؟ وربما يحصل للمتوكل حقيقة ما يكرهه في الظاهر لكن الخير له فيه ، فإن الطبيب ربما يكوى بالنار مَن طبّه ويجرعه شرب المرّ لكن لشفائه في ذلك ، فإن الله سبحانه كتب علينا القتال ، فهو في الظاهر كره ولكنه

الدواء الأعظم الذى به السعادة التى ليس مثلها سعادة ، كذلك الملائكة عليهم الصلاة والسلام كرهوا أن يكون آدم خليفة فى الأرض ، فكان الخير فى ذلك ، فأوّل من نال الخير منه هم بتعليمه لهم الأسماء : ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ﴾ فالأنبياء والرسل لما توكلوا على الله وصبروا على أذى قومهم ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ۞ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ﴾ .

وحكى أن أبا يزيد استدان دينا صيره فى مرضاة الله سبحانه متوكلا على الله فى قضائه، ثم لما مرض مرض الموت أقبل غرماؤه يطالبونه ، فأتاه أحد أصحابه وأخبره بأن فلانا يسأل عنك: أى من أصحاب الديون فرفع يده وقال : اللهمّ إنك جعلتنى رهنا فى أيدى هؤلاء فكيف تقبضنى قبل أن توفيهم، فما استتمّ كلامه حتى سمع بمناد ينادى فى الأسواق : ألا من كان له على أبى يزيد دين فليأتنا ، ثم قضى عنه ثم فاضت روح أبى يزيد ، فرآه بعض أصحابه فى المنام فقال : ما صنع الله بك ؟ فقال : أكرمنى إلا أنه عاتبنى على ذلك الدين فقال : أخذت من الدنيا شيئا قليلا وضمنتنا إياه ، فلو أخذت الدنيا بحذافيرها وأنفقتها فى مرضاتنا ترى هل نؤديها عنك أم لا ؟ وقدر ذلك الدين عشرة آلاف ينار ، ثم هو سبحانه وتعالى ينذرنا بالمرض قبل الموت لنتيقظ للتوبة ، يقول : هذا نذير الموت فهل من توبة فإنى أقبلها ما لم تغرغر ، ولذا استعاذ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم من موت الفجأة ، فمن كان هذا فعله بعبده كيف لا يوكله فى جميع أموره فلا يكون لنفسه اختيار فى شىء ولا تدبير ، حسبنا الله ونعم الوكيل ..

وقال رضى الله تعالى عنه : لما أراد الله سبحانه وتعالى أن يعاتب رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أتى بضمير الغائب فقال ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ إذ لو أتى بضمير الخطاب لانفطر قلبه صلى الله عليه وآله وسلم ، وحين كلمه بما يسرّه أتى بضمير الخطاب فقال : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ ـــ ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ ثم لما أراد أن يعاتبه بصيغة الخطاب قدم ما تطمئنّ به نفسه فقال : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ .

وقال رضى الله تعالى عنه : قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ فقوله : ﴿ إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ ﴾ ليس المراد الاحتراز عن المؤمن بل كل من جاء بالنبأ فليس بمؤمن بل هو فاسق لأنه نمام والنمام فاسق فكأنه يقول : إن من فعل ذلك يقول بلسان الحال : أنا فاسق لا تصدقونى ﴿ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ أى يصبح من أصاب قوما بجهالة نادما على تلك الإصابة عقب أن يصيبهم بندم وذلك أنه لابد أن يتيقن أنه مخطئ بتلك الإصابة ، إما بظلمة فى القلب إن كان متيقظا ، أو بعقوبة تحدث له ، والمخاطبون بهذا الخطاب هم المؤمنون الذين يعلمون من أين أتوا ، لا من كثرت ذنوبهم حتى لا يعلموا من أين أتوا ، فإنه قال بعض الصالحين : إنى لأفعل الذنب فأراه فى خلق دابتى وأهلى . وأما من كثرت ذنوبه فلا يعلم من أين يؤتى بل لا يرى إلا ظلمات بعضها فوق بعض .

وقال رضى الله تعالى عنه فى تفسير قول الله تعالى : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ ابتدأ سبحانه بالتين لأنه من أحسن ما يستمدّ منه الجسد وهو الذى

بسبب أكله أخرج آدم من الجنة ثم أتبعه بالزيتون لأنه ضرب الله به المثل في قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ ﴾ إلى قوله ﴿ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ فهو يستمدّ منه الروح هنا ، فأتبع ما يستمدّ منه البدن بما يستمدّ منه الروح ، ثم أتبع ذلك بقوله ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ وهو الذى ناجى عليه الحقّ سبحانه وتعالى موسى عليه الصلاة والسلام ، ثم أتبعه بما يناجى الله فيه عبيده وهو البلد الأمين ، فإن الله سبحانه يناجى الحجاج إذا قالوا : لبيك اللهمّ لبيك ، يقول : لبيك عبدى وسعديك ، إذا كان مال الحاجّ من حلّ، ثم يقول : أبشر بما يسرّك ، وإذا كان ماله حراما يقول : لا لبيك ولا سعديك ، ثم يقول : أبشر بما يسوءك ، ثم جعل فيه سبحانه وتعالى الحجر الأسود يمين الله يصافح بها عبيده كما فى الحديث ، ثم فى الحديث أيضا من قبَّل الحجر الأسود فقد بايع الله أن لا يعصيه ، ومن فاوض الحجر الأسود والركن اليمانى فإنما يفاوض الرحمن عزّ وجل ، هكذا لفظ الحديث وفى الحديث أيضا « من طاف وسعى وشرب من ماء زمزم خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ».. وفيه أيضا « الحجّ والعمرة ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والفضة » ثم تأخير البلد الأمين فى القسم وهو أشرف مما تقدّم ليتصل بأشرف المخلوقات وهو الإنسان.

وقال رضى الله تعالى عنه : قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾ فالحنيف هو الذى مال بكليته إلى الله تعالى ولم تبق له وجهة إلى سواه ، والخلة هى كصبغ الثوب ، فالعرض الجوهر ، والجوهر العرض ،

فمن أسلم وجهه لله : أى أسلم نفسه فلم يبق له فى نفسه تصرّف ولا تدبير وصار حنيفا مائلا بكليته إلى الله لا يرى سواه صار بصره الذى يبصر به .

وقال رضى الله تعالى عنه عن سؤال إبليس حيث قال : ياربّ جعلت لعبيدك رسلا فما رسلى ؟ قال : الكهنة ، قال : وجعلت لهم كتابا فما كتابى؟ فقال: الوشم ، قال : وجعلت لهم حبائل فما حبائلى؟ قال : النساء ، قال : ياربّ جعلت لعبيدك مساجد فما مساجدى؟ قال: الأسواق ، قال : جعلت لهم قرآنا فما قرآنى؟ قال : الشعر ، قال : جعلت لهم أذانا فما أذانى؟ قال : المزمار، وأما أن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لم ينه عنه حين سمعه فهو فى حقه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن ملهيا، وكذلك أصحابه وأولياء الله تعالى فانهم لم يشهدوا فى كل شىء سوى الله تعالى ولم يسمعوا كل شىء إلا منه ، قال الشاعر :

إذا زمرت ورق على غصن بانة ... وجاوب قمرىّ على الأيك ساجع

فأذنى لم تسمع سوى نغمة الهوا ... ومنكم فإنى لا من الطير سامع

فباختلاف القوابل تختلف الأشياء ، ألا ترى أن شجرة الحنظل إذا كان بجنبها شجرة الحبحب شربتا من ماء واحد ، فقابلية كل واحدة منهما أحالته إلى حقيقتها فصار فى الحنظل مرّا وفى الحبحب حلوا ، كذلك إذا هبت الريح أذكت نارا وأطفأت أخرى ، وأن القرآن كل إنسان له ذوق منه غير ذوق غيره بقدر القابلية ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ



وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ .. كذلك بنو آدم منهم من قابليته تقبل الإيمان ومنهم من لم تقبله ، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾.. وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ وآدم عليه الصلاة والسلام حين أكل من الشجرة التى نهاه الله عنها لم يأكلها إلا وهو فى وجل وخوف ، وذلك لعلمه أنها التى نهاه الله عنها ولكن لما وسوس لهما الشيطان تحركت فى طيهما النسم التى تعمل الأعمال التى يستحقون بها النار ولا يحنون إلا إلى المعاصى فلم يملكا أنفسهما حتى أكلا ، وذلك كما تؤلم الإنسان الدماميل فلا تسكن إلا إذا انفجرت ، وقد سبق قضاء الله بذلك ، فإنه قال سبحانه وتعالى للملائكة : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ولم يقل فى الجنة ، وإنما كانت تلك الخطيئة سببا لخروجهما لحكمة منه تعالى ، وهى أنه لو قال لهما : اهبطا إلى الأرض من دون خطيئة لشقّ عليهما فراق الجنة ولصعب عليهما السكون فى الأرض ، لكن لما وقعت الخطيئة لم يباليا بفراق الجنة ولا بتعب الدنيا، بل صارت بغيتهما ومرامهما الغفران ، فلما غفر لهما هان عليهما كل شيء ، ثم إخراجه تعالى لآدم من الجنة من النعم عليه وعلى المؤمنين من ذرّيته،فإنهم بعد التعب فى الدنيا والنغص واحتمال المشاقّ والخوف يعرفون قدر النعيم فى الجنة ولذّة الأمن بعد الخوف ، قال الشاعر :

* أحلى من الأمن عند الخائف الوجل *

فما يعرف قدر كل شيء إلا بضده، فقلوب المؤمنين بشوقها للقاء

حبيبها تهون عليها المشاقّ وترتكب الأخطار وتقتحم العقبة الحائلة بينها وبين محبوبها ، فيصير العسير يسيرا ، والصعب ذلولا ؛ يذللون بشجاعتهم كل صائل ، ويجوزون بشوقهم كل شامخ حائل ، ولم يلههم عن محبوبهم عاجل ولا آجل ، مشمرون للسباق عن ساق .

إذا كان المآل لقاء ليلى فما لاقيت من تعب نعيم

فإن الأجير في الطين مثلا في شدة أيام الحر لولا أن الأجرة تبعثه وتعينه على احتماله لما أمكن ، فإن المستغني عن الأجرة كالمستحيل في حقه ذلك الاحتمال وكلما كثرت الأتعاب زادت الأجور وتراكم الثواب.

وقال رضي الله تعالى عنه : قال موسى عليه الصلاة والسلام لأهله : ﴿ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ هذا من الإيثار ، وهو أنه نسب الاصطلاء إلى أهله ولم يقل لعلنا نصطلي ، ثم قوله لهم : امكثوا ، يعني أنه يمشي إلى النار وحده حتى إذا كان فيها شيء من المكاره وقع فيها هو وحده ، فبهذا القصد صدّق الله رجاءه وحققه بأن عاد بالخير الذي ما مثله خير ، وبه خير الدنيا والآخرة: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ أي موسى والملائكة ﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أي تنزّه سبحانه وتقدس أن يتحيز في مكان ثم اتصف بربّ العالمين ، أي كيف يتحيز وهو ربّ العالمين و ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ ثم قال له تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ؟ ﴾ فلما عرف أن الحقّ تبارك وتعالى يريد أن يباسطه



باستفهامه ذلك مع أنه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور انبسط وأطنب فـ ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ ﴾ هذا جواب السؤال ، ثم قال ﴿ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي ﴾ ثم لما انفتح له باب الإطناب ذكر أن بكلامى هذا يفوتنى كلام الحقّ تبارك وتعالى لى ، فطوى جميع المنافع التى فيها بقوله ﴿ وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴾ ولما نسب العصا إلى نفسه وقال : أتوكأ عليها والتوكؤ هو الاعتماد ، ﴿ قَالَ أَلْقِهَا ﴾ أى هذه التى تنسبها إلى نفسك وتعتمد عليها ، ألقها لنريك حقيقتها : ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ فولى مدبرا لما رأى حقيقتها ولم تبق له علاقة إلا بالله وخاف هنالك لأنه ذكر قتله للقبطى ، فقال سبحانه وتعالى ﴿ لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾ لأن الرسول إذا كان فى مقام مرسله الذى هو الملك العظيم كيف يخاف ﴿ إِلاَّ مَن ظَلَمَ ﴾ أى فإنه يخاف إشارة إلى قتل القبطى بغير أمر من الله ، ثم أراد أن يؤمّن روعته فقال: ﴿ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

وقال رضى الله تعالى عنه : قال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ إن من اتخذ من دون الله أولياء ليس هو مقتصرا على من عبد الصنم والشمس وغير ذلك ، بل إذا ركن الإنسان على نفسه فى رزقه بحرفة أو سعى أو بمال أو على مخلوق مثله فقد اتخذ من دون الله أولياء ، ولو تحقق الأمر لعلم أنه معتمد على بيت عنكبوت يظنّ أنه ثابت وهو طائح ، كذلك إذا اتكل الإنسان على عمله ، ولو عمل عملا لم يعمله أحد وعبد عبادة الأنبياء والأولياء فقد اتخذ من دون الله أولياء ﴿ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ

اتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾ وما أسفه وأغفل من اتخذ بيتا وظنّ أنه يقيه في الحرّ والبرد مثل بيت العنكبوت ، ففي الحديث ما معناه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لأصحابه : « إنه لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله ، فقالوا : ولا أنت يارسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل » أيقدر هذا العبد الضعيف الذي عمله أضعف منه أن يجرّ فضل الله العظيم بما هو أهون من كل شيء ، هيهات ، ولكن المؤمن حقيقة إذا أعطاه الله تعالى عملا صالحا فهو منة ونعمة ، ومن حقّ النعم الشكر عليها ، وإذا شكر زاده الله منها إلى ما لا نهاية له ويظنّ في الله سبحانه ما يشاء ويوسع ، فإن الله سبحانه لا يتعاظم شيئا ولا نهاية لعطائه وكرمه فاقطع عنك جميع الوسائل من جميع الوجوه وتوسل إليه سبحانه وتعالى به .

أيا جود معن ناد معنا بحاجتي   فليس إلى معن سواك سبيـــل

قال بعض الصالحين لبعضهم : بم تلقى ربك ؟ قال : بفقري وفاقتي ، قال : تلقاه إذا بالصنم الأعظم ، قال : فبم ألقاه ؟ قال : القه به فهو سبحانه وتعالى الجواد الكريم الأعظم ، يعطي عبده كل ما ظنّ به بالغا ما بلغ ، فكل عظيم عنده حقير ثم يعطي سبحانه فوق ما تظنّ ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ فهي وإن كانت في سياق تعذيب الكفار فهي كذلك في جزاء المؤمنين ، سبحانه وتعالى ما أكرمه ! .

وسئل رضى الله تعالى عنه : بم يتميز الخاطر الرحماني من الخاطر الشيطاني ؟ ..



فأجاب بما معناه : أن من قوى إيمانه فلا بدّ أن يتميز بمجرّد وروده لأنه ليس للشيطان عليه سلطان : ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ فبضعفه وعدم سلطانه يتميز ..

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ فاذا استوى الخاطر فالتنازع ثبت هنا ، وقال الله سبحانه : ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ فيعرض كل واحد منهما على كتاب الله وسنة رسوله ، فما قبلاه منهما فهو الخاطر الرحمانى مثل أن يخطر أمر يفضى بصاحبه إلى أنه يدبر رزقه ، ولولا أنه يسعى لرزقه لما رزق ولا أكل ، ويفضى به إلى أنه يدخر المال ويشحّ به ، أو إلى أنه يقصد مخلوقا وما يشابه ذلك ، فإنه إذا عرضه على كتاب الله تعالى وجده لا يقبله ، فإن الله يقول : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ ثم إذا خطر خاطر يخوّف صاحبه من أىّ شىء سوى الله سبحانه وتعالى كائنا ما كان فليعلم أنه من الشيطان ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ .. وربما جاء خاطر إبليس من طريق إنسان فى صورة ناصح صديق لك إذا عرف أنه لا يقدر عليك فيأتيك صديقك يشير عليك وينصحك ، فاعرضه أيضا على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإن قبلاه فهو رحمانى ، وإن لم فهو شيطانى ؛ لأنه إذا لم يقبله القرآن ولا السنة فهو النجوى الذى قال تعالى فيه : ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ

بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾.

وقال رضى الله تعالى عنه: قصة آدم مع إبليس أدّب الله تعالى بها الأكابر ، فإن إبليس عبد الله سبحانه بمدة عمر الدنيا أضعافا مضاعفة ، ثم أخرج من النور إلى الظلمات ومن القرب إلى البعد بسبب عدم سجدة واحدة ، وسبب عدم السجود هو اشتغاله بغير الله تعالى ، لأنه قد كان ثبت عند الملائكة أن واحدا منهم لا يسجد ، فكل واحد منهم عند أمر الله تعالى لهم بالسجود بادر إليه خشية أن يكون هو الذى لم يسجد ، وإبليس لم يبادر إلى السجود بل بقى يفتش من هو الذى لم يسجد منهم ، فلما اشتغل بغير الله كان هو ، ومن حينئذ صارت الملائكة جميعهم فى خوف . وكذلك الأنبياء فإن شعيبا لما قال له قومه : ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ﴾.. فعلق ذلك بمشيئة الله لأنه يعلم أن الأعمال بخواتيمها ؛ ثم الخليل قال كما حكاه الله عنه : ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ ..

ثم نبينا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى جميع الأنبياء أفضل الصلاة والسلام ، قال فى التسليم على أهل القبور: « السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين ونحن إن شاء الله بكم لاحقون » أى فى الإيمان فعلق الإيمان هنا بمشيئة الله لا الموت ، لأن الموت قد شاء الله كونه على كل

حيّ ، فهؤلاء الأنبياء والملائكة خائفون من سوء الخاتمة فكيف بغيرهم ؟ فإن إبليس لم تفده الأعمال التى كأمثال الجبال بسبب سوء الخاتمة ..

اللهمّ إنا نسألك يا أرحم الراحمين حسن الخاتمة وأن تحسن عاقبتنا فى الأمور كلها بحرمة الفاتحة وبكتابك العزيز وأسمائك الحسنى ..

وقال رضى الله تعالى عنه : القول بلا علم من خطوات الشيطان ، قال الله تعالى : ﴿ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ ثم فى آية الإفـــك : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ بعد قوله : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ ثم قال تعالى فى الوعيد لهم : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم ﴾ فقدم الألسن على غيرها وفى غيرها من المواضع يقدم السمع أو غيره على حسب ما يقتضيه المقام ، والمقام هنا يقتضى تقديم الألسن لأن الإفك وقع بها . فانظر أيها المسترشد فى تسمية الله سبحانه وتعالى للقول بغير علم خطوات الشيطان ، فلا ينبغى أن يقول الإنسان إلا ما يعلم ، والعلم ليس إلا من عند الله ورسوله ، وهو آية محكمة أو سنة ماضية أو لا أدرى ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبى هريرة : « يا أبا هريرة علم الناس القرآن وتعلمه ، فانك إن متّ وأنت على ذلك زارتك الملائكة كما يزار البيت العتيق ، وعلم الناس سنتى وإن

كرهوا ذلك ، وإن أردت أن لا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة فلا تحدث في دين الله حدثا برأيك » وعدم الاعتماد على هذا هو الذى أنشأ الخلاف فى الأمة والشقاق ، ولو وقفوا عند الكتاب والسنة لكان الأمة فى طريق واحدة التى سلكها الصحابة رضى الله عنهم الذين هم واسطة عقد نظام الأمة ؛ فمنشأ الخلاف من حين ابتداء التأليف والقول بغير قال الله قال رسوله ، وإحداث فى الدين ما ليس فيه ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ .

وقال رضى الله تعالى عنه فى الحديث القدسى « .. إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أردّها عليكم ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » معناه باعتبار ما يكون عند نزول المصائب من السخط والجزع لا فى نفس الأمر فإن من وكل الله سبحانه وتعالى وحسن فيه ظنه فلا يرى كل مصيبة تصيبه إلا خيرا ، وإن كانت فى الصورة شرّا فإنه يعدّها خيرا ، لأن الصبر عليها من عزم الأمور ، فلولا هى ما وجد الصبر الذى ينال بسببه خيرا فإذاً لا يرى إلا خيرا وهو يحمد الله تعالى عند السرّاءِ وعند الضرّاء عازما ومعتقدا أن ما فعل به مولاه فهو خير، ولو كشف له الغطاء ما اختار غيره ، ومن رأى غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه : أى هو الذى صيره شرّا بسخطه عند نزول المصيبة وعدم رضاه بها ، وإلا فلو رضى وحمد الله تعالى لكانت خيرا فإنه بسببها إذا قال : إنا لله وإنا إليه راجعون يصلى عليه الله وملائكته ، وأىّ خير أعظم من هذا ؟ قال الله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ لأن

كل ما أصابك من عند الله ، وإذا كان من عند الله فهو خير وإن كان في ظاهر الأمر شرًا مع الرضا والتسليم والصبر فإذا لم ترض به ، فأنت الذى صيرت الخير شرا ثم تقع السيئة من العبد وقد فتح الله له باب التوبة ، فإذا تاب انقلبت تلك السيئة حسنة فى نفسها ، فهى حسنة باعتبار المآل وهى من الله سبحانه وتعالى ، وإذا لم يتب بل أصرّ عليها فهى سيئة وهى من نفسه بسبب إصراره عليها .

وقال رضى الله تعالى عنه فى قول الله تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ سماه الله ذكرى ، وكذلك ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ وذلك لأن الإنسان عالم بالحقّ من نفس الفطرة ، إنما ينساه بعبوره فى ظلمات الضلال، فإن كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه وينصرانه ، فاذا سمع الحقّ عرفه لا يقدر على ردّه أبدا ، فإن ردّه فهو عناد وإنكار وإلا فقد عرف أنه الحقّ ، ولذلك كملت عليهم الحجة ، ولكنهم عاندوا فقالوا : ﴿ لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فيه ﴾ فالحقّ ما سكنت إليه القلوب واطمأنت به : ﴿ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ فإنك إذا سمعت الحقّ علمت علما يقينا أنه الحقّ وهو الذى أنت عالم به ويجول فى ذهنك لكنك لم تقدر أن تعبر عنه ، فإذا سمعته فكأنك ظفرت بضالتك المنشودة وغايتك المقصودة ، فالحقّ أبلج والحقّ أحقّ أن يتبع . وفى الحديث ما معناه « إذا سمعتم الحديث عنى فاطمأنت به قلوبكم فهو منى ، وما لم فليس منى لأنى لم أقل قولا لم تطمئنّ به القلوب » ثم فى الحديث أيضا « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » والحقّ ما عليه غبار ، اللهمّ اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن قوله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ .

فأجاب : إنه بتقدير نزع الخافض : أى فى مقام ربه ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ ومعناه أن من صار الحقّ سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها إلى آخر الحديث ، فقد صار فى مقام ربه ، ومن صار فى مقام ربه فقد بلغ محلّ الأمن ودخل الحمى الذى لا خوف فيه ولا حزن ، فمن خاف فيه فقد أدّى حقّ الأدب بوقوفه فى مقام العبودية على ما هو فيه من المقام العالى وهو مقام ربه ، وذلك معنى قول النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم حين قال له الصحابة لما نزل عليه قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ فقام حتى تفطرت قدماه ، فقال الصحابة : « أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال : أفلا أكون عبدا شكورا » .. فاتصف بالعبودية ووصف نفسه بالشكور الذى هو من صفات الحقّ تعالى ، وهذا أعظم المقامات الذى لا يدركه إلا الخواصّ وهو الخوف فى مقام الأمن وفى هذا المقام جميع الأنبياء ومن أراد الله من أوليائه ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ بسيف الحبّ ، وهو معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم « موتوا قبل أن تموتوا » وهو الفناء عن الخلق والحياة مع الحقّ ﴿ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم ﴾ أى من صفات البشرية، إلى صفات الربوبية ، وذلك معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم « تخلقوا بأخلاق الله » ﴿ مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾



قوله تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ .. ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً ﴾ لأنهم إذا فنوا عن الخلق وكانت حياتهم مع الحقّ وخرجوا من صفات البشرية وتخلقوا بأخلاق الله كان سمعهم وبصرهم إلى آخر الحديث ، فأيّ خير وأيّ تثبيت أشدّ من هذا ، ثم قال تعالى : ﴿ وَإِذاً لآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيماً ﴾ والأجر الموصوف بالعظمة هو المشاهدة لأنه أعظم الأجور وما بغيتهم سواه لاطمع لهم فى جنة ولا لهم خوف من النار ، قال قائلهم :

إذا تذكرت أياما لنا سلفت ... أقول بالله يا أيامنا عودى

كأننى يوم يأتينى كتابكم ... ملكت ملك سليمان بن داود

وقال آخر :

حببتك لا لى بل لأنك أهله ... وما لى فى شىء سواك مطامع

قال تعالى : ﴿ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ وهو صراط الله ، ثم قال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ فهذا المقام الذى وعد الله الخائفين فيه بجنتين فقال تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ والجنتان هما الجنة الحقيقية والمشاهدة ، وجنة من فضة وجنة من ذهب داخلتان تحت الجنة الحقيقية ، ثم قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴾ فإن كل إنسان من المؤمنين مأمور بهذا الأمر ، وهو أن يأخذ حذره من عدوّه وأيّ عدوّ أعظم من نفسه التى بين جنبيه ، فينفر منها بجميع أعضائه وجوارحه بعد أن ينفر منها هو وأعضاؤه وجوارحه ثبات معناه أن ينفر بجارحة من جوارحه أو عضو من أعضائه ، وذلك عند الحادثة التى تأتى من كونه مثبتا لا يؤتى من جهة أخرى أو ينفر جميعا : أى يكون نافرا بجميع أعضائه وجوارحه من جميع الوجوه ومن جميع الجهات ، فهذا هو الجهاد الأكبر الذى قيل فيه بعد الفتح « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » فإذا كان كذلك أمن ، وإذا أمن فقد ائتمر بأمر الله تعالى حيث قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ فلا خوف عليه ولا هو يحزن ولا يبقى للشيطان ولا للنفس عليه سبيل ، بل حياته بالله لله ، ثم قال الله تعالى : ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أى إذا زلّ من قد صار فى هذا المقام فذاك هو الخطر العظيم لأنها زلة من مقرّب ، وفى صفة العزيز الحكيم غاية التوعد : أى عزيز أن يدركه من زلّ بعد ما كان سمعه وبصره ، فإن كثيرا ممن كان من المقرّبين صار بسبب زلة من الأبعدين كإبليس وبلعم بن باعوراء فهو تعالى غيور : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾ وقوله حكيم : أى أنه أظهر صفة الحكيم فى ذلك ، فإن إبعاد إبليس بعد تقريبه لحكمة ، وذلك أنه بسبب إبعاده أخرج آدم من الجنة لنكد الدنيا وتعبها ليعرف قدر الجنة بعد العود إليها وتبتلى ذرّيته فيميز الخبيث من الطيب وهذا مقتضى الحكمة .



وقال رضى الله تعالى عنه : أصل التقوى هو الجهاد فى سبيل الله ، والجهاد الأكبر هو جهاد النفس والشيطان ، والنفس هى أعظم الأعداء فهى كارّة عليك فى كل لحظة فى مظهر صديق لك ، وهذا أعظم ممن كان متظاهرا بالعداوة قال الشاعر :

احذر عدوّك مرة واحذر صديقك ألف مرّه

فلربما انقلب الصديـ ـق فصار أعرف بالمضرّه

ثم قد علمنا الحقّ تعالى فى القرآن كيفية الجهاد من كل وجه ، فقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ والنفس هى أقرب ما يليك وغير ذلك ، فإن حاربت نفسك واتقيتهاودافعتها عن جميع جوارحك وأعضائك ضعفت وإذا ضعفت جنحت للسلم ، فإن جنحت للسلم فاجنح لها وبعد لا تضرّك أبدا ، فإذا كنت مطيعا لها صرت عبدا لها تأمرك وتنهاك منهزما منها فى ذلّ وأىّ ذلّ وصرت غير متقّ لله تعالى لأنك أمنت من بطشه ومكره ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون لأنه سبحانه وتعالى توعدك إذا اتبعت هوى النفس والشيطان فأمنت من توعده باتباع ما نهاك عنه ، ولو اتقيته لانتهيت عما نهاك عنه ، فإذا اتقيت نفسك فقد اتقيت الله، وإذا لم تتق نفسك ولم تحاربها ولم تدافعها فلم تتق الله ، لأن تقوى الله مترتبة على محاربة النفس والشيطان .

وقال رضى الله تعالى عنه : عاتب الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم حين حرّم ما أحلّ الله له فقال ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾ وذلك « أنه أتى صلى الله عليه وآله وسلم جارية ، فعاتبه بعض نسائه على ذلك فحرّم تلك الجارية فنزلت الآية » ، فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عاتبه الله لما حرّم ما أحلّ الله له ، وذلك مقتصر على نفسه فما ظنك بمن حرم من سائر الناس شيئا على نفسه أحله الله له ، أو وضع شيئا فى الشرع عمل به الغير لاعتقادهم أنه عالم وهو من عند نفسه لا من كتاب ولا من سنة ، فيحرّم شيئا أحله الله أو يحلّ شيئا حرّمه الله ، فيكون عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ثم قال الله تعالى : ﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ ﴾ أى أن الله سبحانه وتعالى لا يعارض ولا ينازع حكمه بحكم عبيده ، بل ما حكم به المولى عمل به العبد ، وما سكت عنه المولى فليس له أن يحكم بشىء من عند نفسه ، لأن ما سكت عنه المولى فلا خطاب فيه على العبد ، والحكمة عند المولى فى تركه خير ، لأنه لو كان الخير فى فعله لأمر به ، ولذا قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ بعد قوله : ﴿ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ ﴾ .

وقال رضى الله تعالى عنه : ينبغى للإنسان أن يتحوّل عن الموضع الذى غفل عن الله تعالى فيه ، وذلك أن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أمر بالتحوّل عن المحلّ الذى طلعت فيه عليهم الشمس ولم يصلوا الفجر ، وأما المحلّ الذى عصى الله تعالى فيه ، فذلك أشد وأعظم .

وقال رضى الله تعالى عنه : الركعة صلاة لأنه لا يسمى صلاة إلا

مجموع ركعات الفريضة ، وأنه لا يطلق لفظ الصلاة إلا على الفريضة فقط وذلك أن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان يكمل الصلوات الخمس بنوافل إلى خمسين ركعة وهى التى افترضها الله عليه وعلى أمته من أول الأمر من قبل أن يتشفع بشورى موسى عليه وعلى نبينا محمد وآله أفضل الصلاة والسلام ، فهو افترض عليه فى أول الأمر خمسين صلاة ، فما زال يحطّ عنه حتى صارت خمسا ، ثم قال تعالى : ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ ﴾ هى خمس وهى خمسون ، وذلك أنه تعالى كلم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم على لسان موسى عليه الصلاة والسلام : أن ارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف حتى بقيت خمس ليظهر للأنبياء عليهم الصلاة والسلام مقداره صلى الله عليه وآله وسلم وينوّه بشفاعته عليه الصلاة والسلام مرّة بعد مرّة حتى حطت من خمسين إلى خمس . وأما النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فإنه كان يؤدّى الخمسين كل صلاة ركعة ، كذلك صلاة الوتر فإنها ركعة فلا صلاة إلا بأمّ القرآن ، أى فى كل ركعة تقرأ أم القرآن وإلا فلا صلاة ، وبالله التوفيق ..

وقال رضى الله تعالى عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « خالفوا اليهود وصلوا فى نعالكم » وذلك أن اليهود لا يصلون فى النعال اتباعا لنبيهم موسى عليه السلام، فإن الله سبحانه وتعالى أمره بخلع نعليه عند مناجاته ، ونبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى له ولأمته: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ فكأنه قال تعالى : قبلناك وأمتك لمناجاتنا فى النعال ، فانظر إلى هذا التشريف .

وقال رضى الله تعالى عنه : إذا حسنت نية العبد رأى الحقّ أمامه فى كل شىء ، ففى الحديث ما معناه « إن فى بضع أحدكم صدقة ، فقالوا يا

رسول الله أيأتي أحدنا شهوته وله أجر ؟ قال : أرأيتم إن وضعها في حرام أما كان عليه وزر» ؟ هذا أو معناه ؛ والحقّ هو الله سبحانه وتعالى ، قال الله تعالى ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ فإذا كان أمامه الحقّ ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

وقال رضي الله تعالى عنه في حقيقة التقوى : التقوى هي أن تجعل الله تعالى وقاية فيما بينك وبين من سواه من كل شيء لا كما قيل أن تجعل وقاية فيما بينك وبينه تعالى ، لأن ذلك يكون حجابا حائلا بينك وبينه ، فدرجة التقوى درجة عالية ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .. أراد سبحانه وتعالى أن يجذبنا إلى عبادته فيذكرنا نعمه علينا ليقودنا إليه ، وتارة يقودنا إليه بذكره ما أعدّ لنا في الجنة ، وتارة يسوقنا إليه بالوعيد وذكر العذاب ، فمن كان من أهل المروءة شكر الله تعالى بالعبادة على النعم ، ومن كان ذا طمع قاده إليه بذكر الجنة وما أعدّه فيها ، ومن كان من أهل الخوف ساقه إليها بذكر الوعيد والعذاب ، فكانت العبادة إما في مقابلة النعم ، وإما خوفا من النار ، وإما طمعا في الجنة ، وهنا ذكر تعالى النعم وهو قوله : ﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم ﴾ وكل من قبلنا مما في السموات والأرض فهو لنا خلقه ، فأمرنا بعبادته شكرا له على خلقنا وشكرا له على ما خلق لنا من قبلنا ، فإنه أوجدكم من العدم حيث لم يكن لكم اختيار وخلق الذين من قبلكم لتكونوا من نسلهم ، ثم قال سبحانه : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ أي إذا عبدتم الله لأجل هذه الثلاثة الأمور أو إحداها ، فلله في أيام دهركم نفحات فيفتح عليكم باب التقوى ، وهو أن تعبدوا الله تعالى لا لأجل شيء ، بل لله بالله ابتغاء مرضاته،

فلا يشاهد إلا الله ولا يخاف إلا منه ولا يرجو إلا إياه ، وههنا تجيء الأحدية وتزول أوصاف البشرية ، قال الله تعالى: ﴿ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ أي كإحسان الله إليك ، وإحسانه إليك ابتداء لا لأجل شيء ، ولا في مقابلة شيء ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ * إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ فقد صار ما يريدون وجه الله تعالى فلا يكون جزاؤهم منه إلا ما يريدون لأن في الجنة ما تشتهي الأنفس وهم لا يشتهون سواه ، هذه درجة المتقين .

وقال رضي الله تعالى عنه : من أعظم مفاسد الدين والدنيا مداهنة العلماء للملوك والسكوت عن نهي منكراتهم وهم يظنون بذلك أنها تختل عليهم الدنيا أو يعاقبونهم ، وهذا ظنّ فاسد، فإنهم لو أمروهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر لعظموا في قلوبهم ولمنعهم الله تعالى عنهم إذا أرادوهم بشرّ

قيل : إن بعض الملوك أرسل إلى بعض أمرائه بأمر يظلمون به الرعية ، فتواطأ الحسن البصري والشعبي بعد أن أحضرهما بين يديه ، فقرأ عليهما كتاب الخليفة فإذا فيه ضرر على الرعية وقال لهما ما تقولان ؟ فأشار عليه الشعبي أن يمتثل للأمر ولا ينفذه كله ، يعني بصفة صلح ، فقال للحسن البصري: لو قلت ، قال قد قال لك عامر ما سمعت ، قال : لابد أن تقول أنت ، فقال الحسن رضي الله تعالى عنه : هذا الأمر الذي أمرت به ظلم ، فإن تركته أطعت الله تعالى وعصيت مرسلك ، وإن أرادك بسوء فالله قادر أن يمنعه عنك ، وإن لم تنته عصيت الله وأطعت مرسلك ، وإن أرادك بسوء لم يقدر

أحد أن يرده عنك فاختر لنفسك ما أردت ؛ فلما سمع الرجل انتهى عن ذلك ، ثم أمر للحسن بجائزة عظيمة ولم يعط الشعبى شيئا ، فلما خرجا من عنده نادى الشعبى فى الأسواق : يا أيها الناس من استطاع منكم أن يؤثر الله على خلقه فليفعل فإنى أردت وجه فلان فأقصانى الله منه ؛ والحسن البصرى أراد وجه الله فأعطاه الله منه .

وقال رضى الله تعالى عنه : من أحسن أخلاق الإنسان العفو عمن ظلمه ، فإن الله سبحانه وتعالى يعامله بالعفو فيما بينه وبينه أيضا ، فإنه تعالى يلهم المظلوم منه أن يعفو عنه ، ففى الحديث القدسى « ياعبدى لا تدع على من ظلمك فإن شئت أخذته بظلامتك وأخذتك بمن ظلمت ، وإن شئت أخرتكما حتى تسعكما رحمتى » .

وسئل رضى الله تعالى عنه : عما أتى فى الصلاة التى فى آخر الحزب الأعظم : وارحم محمدا حتى لا يبقى من الرحمة شىء ما معناه ؟ .

فأجاب : أن الرحمة لا تنتهى أبدا ، وإن معنى لا تبقى رحمة ، أى لا انتهاء لها والنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم هو الرحمة التى وسعت كل شىء .

وقال رضى الله تعالى عنه : قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جملة فيها التخويف العظيم لأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم والرجاء الذى هو أعظم من الخوف . فأما وجه التخويف فهو أن الله سبحانه وتعالى أخرج آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة من أجل ذوقه من الشجرة وهى من حقّ الله ليست من حقّ أحد سواه مع أنه خلقه بيده واصطفاه وعلمه الأسماء كلها

وأسجد لهِ الملائكة فما حال رجل ليس بنبيّ ، ولا مصطفى ولا له من تلك العنايات شيء ، ثم ينتهك المحارم العظيمة إما بأكل أموال الناس أو زنا أو قتل أو شرب خمر ، فكيف السلامة وكيف النجاة ؟ ، وهذا تخويف وأيّ تخويف.
ووجه الرجاء أنّ الله سبحانه وتعالى غفر له هذا الذنب بسبب توبته ، والحال أنه عالم بالله وبجلاله وبطشه لأنه من المقرّبين والمقرّب هو أعلم من البعيد بصفات الملك ، وإذا كان كذلك فالذنب منه عظيم ، قال تعالى : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ وهو هنا عليه الصلاة والسلام ليس بجاهل ثم غفر له ، فالجاهل أولى بالغفران ، وقس على هذه قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كداود وموسى وإخوة يوسف وغيرهم، ثم أنزل الله سبحانه كتابه العزيز على رسوله الأمين صلى الله عليه وآله وسلم أجمعين تذكيرا لأمته وقصص الأنبياء فيه لتكون عبرة لهم وتأسيا ، وذكر ما جرى من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى القرآن على رءوس الأشهاد هو الجزاء ، لأن الله سبحانه عدل لا يترك شيئا فجازاهم عليها فى الدنيا بذكر ما حصل منهم كيلا يجازوا عليها فى الآخرة ، والتائب من أمة محمد عليه الصلاة والسلام عقابه وجزاؤه على ما فعل ذكره ذنبه فيما بينه وبين الله تعالى وتألمه منه وتوجعه وبكاؤه وأنينه وزفراته ، فكان ذلك جزاءه معجلا فى الدنيا لايجازى على ذنبه فى الآخرة فلا يلقى الله سبحانه إلا وهو طاهر من جميع ما فعل من السيئات وقد بدّلت حسنات ، فأىّ مزية أعظم من هذه المزية التى اختصت بها هذه الأمة، وأيضا فإنه تعالى أخرهم عن جميع الأمم ليقصّ عليهم قصص من سلف فيتعظوا ويعتبروا تحريضا لهم على

التوبة وهديا لسلوك طريق السالكين ، وتحذيرا من الوقوع فى ظلمة ضلال المجرمين ، فلم تبق طريق من طرق النجاة إلا أوضحها فى ضمن قصص الأنبياء ، ولم تبق مهلكة إلا أوضحها أيضا فى قصصهم مع قومهم ، فكان من قبلنا موعظة لنا لنعرف طريق النجاة فنسلكها وطريق الهلاك فنجتنبها ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ثم سجد رضى الله تعالى عنه ههنا وسجدنا معه

وقال رضى الله تعالى عنه : قال الله سبحانه وتعالى حين أخذ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم الفداء : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾ أتى سبحانه وتعالى بصيغة الخطاب لجميع أهل بدر ليستر الذين يريدون عرض الدنيا ، وإلا فهم القليل جدا ، كذلك قوله تعالى فى أصحاب موسى حين أمرهم بدخول الأرض المقدسة التى كتب الله لهم : ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾ وفيهم من لم يقل ذلك كالرجلين اللذين قالا : ﴿ ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ﴾ لكن لما كتبت عليهم التيهة تاهوا جميعهم فسترهم جلّ جلاله ، إذ لو لم يته إلا من قال ذلك لافتضحوا بسبب عدم تيهة من لم يقل منهم فسترهم بتيهة الجميع ، فسبحان الستار جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه .

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن القَــدَر ؟ ..

فــأجــاب بما معناه : إنه لا ينبغى لأحد أن يخوض فيه لأنه لا يعرف إلا بفتح من الله تعالى وعلم لدنى ، ثم من فتح الله عليه لا يمكنه أن

يعبر عنه أصلا ، لأنه يمكن للمناقض أن يناقضه ، فالذى لم يعرف من جهة الله تعالى لا ينبغى له أن يخوض فيه ويمتثل قول الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « وأن تؤمن بالقدر خيره وشرّه » فإنه إن بحث عنه من جهة غير الله خيل له أنه من باب قول الشاعر :

ألقاه فى اليمّ مكتوفا وقال له   إياك إياك أن تبتلّ بالماء

وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « وأن تؤمن بالقدر خيره وشرّه » كاف ..

وقال رضى الله تعالى عنه : قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴾ فقال إن كثيرا ولم يبق إلا قليل ، وهم أولياء الله الورثة للعلم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين بهم يقتدى ، وهؤلاء أعزّ من الكبريت الأحمر ، قال تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ وقال فيمن عداهم : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ ، ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾ فإن ظفرت بواحد من أهل العلم من هؤلاء الأقلين فعض عليه بالنواجذ وأنت تعرفه بالقرائن المنصوصة فى القرآن ، وهو الذى لا يميل إلى الدنيا ولا يطمئن بها فيكون كبلعم بن باعوراء حيث أخلد إلى الأرض واتبع هواه ، ولا يأكل أموال الناس بالباطل فيدخل فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ

بِالْبَاطِلِ ﴾ ومن القرائن لا تجد مثله إلا قليلا ، والحقّ واضح والحقّ أحقّ أن يتبع .

وقال رضى الله تعالى عنه في الحديث القدسي « يقول الله تبارك وتعالى : يا عبادى أعطيتكم فضلا وسألتكم قرضا ، فمن أعطانى شيئا مما أعطيته طوعا عجلت له الخلف في العاجل وادّخرت له الثواب في الأجل ، ومن أخذت منه شيئا مما أعطيته كرها فصبر واحتسب أوجبت له صلاتى ورحمتى وكتبته من المهتدين وأبحت له النظر إلى وجهى » فمن فضل الله تعالى على عباده أن من أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من نفسه: ﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ ﴾ فإن سدّ على نفسه هذا الباب ولم ينفق شيئا فتح الله له بابا آخر بأن يؤخذ منه كرها فإن صبر واحتسب وقال : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ومعنى إنا لله ، أى إن الله خلقنا له كما يشاء لما يشاء ، وإنا إليه راجعون : أى تائبون ، فإن هذا أعلى وأرفع ممن أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله ، لأن الله سبحانه قال في حقّ مثل هذا ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ فكأنه قيل من هم الصابرون؟ فقال ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ ولم يقل من الله لأنه محتو لأسماء الرحمة وأسماء الانتقام، بل قال من ربهم لأن الربّ اسم من أسماء الرحمة وهو ما تتربى به المخلوقات ، وإضافة الربّ إلى الضمير ليدلّ على القرب والاتصال: ﴿ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ لأنهم صبروا عند القهر والانزعاج الحاصل عند المصيبة من جهة الطبع البشرى ، ومعنى قول أحد الملكين الوارد في الحديث « اللهمّ أعط



منفقا خلفا » وقول الآخر « اللهم أعط ممسكا تلفا » هذا المعنى المتقدم ذكره فهو دعاء للمنفق والممسك : أى فإذا لم يكن منفقا فيؤجر عليه ، فأعطه تلفا ليؤجر عليه أعظم من الأجر على الإنفاق مع الصبر هذا معناه .

وقال رضى الله تعالى عنه حين سئل : مامعنى مواقع النجوم فى قوله تعالى : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ أى محالّ وقوعها من وسط السماء إلى جهة المغرب لأنه لا يهتدى بها ما دامت فى وسط السماء ، وإذا كانت كذلك تناسب المقسم به والمقسم عليه، لأن كليهما هادٍ فالمقسم به هاد للأشباح والمقسم عليه هاد للأرواح ، ثم وصف تعالى هذا القسم بالعظم وذلك لأنه تجلى لإبراهيم عليه الصلاة والسلام فيها والشمس والقمر داخلان فى هذا القسم أيضا ، وأىّ عظيم مثل ما يتجلى فيه الحقّ جلّ وعلا ، ثم وصف القرآن بالكرم فقال : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ والكريم لا يردّ سائلا ، فمن قصده أغناه فلا يحتاج إلى غيره ولكن لم يفهمه إلا القليل ، ولذا قال تعالى ﴿ لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ أى لا يهتدى إلى فهم معانيه ويكشف الحجاب عن وجوه ما فيه إلا المطهرون ، أى الذين طهروا نفوسهم من أدناس الذنوب وجرّدوها عن الأغيار ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أى أن الله سبحانه وتعالى خاطب عبيده وكلمهم بنفسه تعالى، لأنه ليس فى العالم ولا فى الآفاق إلا الله تبارك وتعالى، فالقرآن كلمته والخلق كلمته وهى كن ، فإذا امتزجت إحداهما بالأخرى وحصل القبول جاء الخير الكثير وظهر الحقّ وتدفقت الأنوار بينهما ، ثم قال تعالى : ﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴾ أى تريدون أن تحجبوا الحقّ بالباطل مع أنه قد ظهر لكم أنه الحقّ ، والمداهنة هى بين الحقّ والباطل ، لأنه جاء فى المثل : إن الحقّ والباطل والمداهنة ركبوا فى سفينة ، فجعل

الباطل يخرق السفينة ، فنهاه الحقّ ، فقالت المداهنة: دعه فإنما يخرق الجهة التى هو فيها ، فإن نهى الباطل ومنع وإلا غرق الجميع ، فهم مقرّون أنه لا يدخل تحت طوق البشر الإتيان بمثله باطنا ومظهرون أنه سحر وأنه شعر وغير ذلك ، فهذه هى المداهنة ، ثم قال تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ أى عين تكذيبكم لأن الله سبحانه أمدّ عباده بالرزق ليعبدوه ويصدّقوا ما جاء به رسوله ، فجعلوا الرزق عين التكذيب .

وله رضى الله تعالى عنه كيفية فى الصلاة على النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم : يا كامل الذات يا جميل الصفات يا منتهى الغايات يانور الحقّ يا سراج العوالم يامحمد يا أحمد يا أبا القاسم جلّ كمالك أن يعبر عنه لسان ، وعزّ جمالك أن يكون مدركا لإنسان ، وتعاظم جلالك أن يخطر فى جنان ، صلى الله سبحانه وتعالى عليك وسلم يا رسول الله يامجلى الكمالات الإلهية الأعظم ..

وله رضى الله تعالى عنه كيفية فى الدعاء : الله عدتى فى كل شدّة ورخاء ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكلنا .

وقال رضى الله تعالى عنه : قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ قد تقدم الكلام فى أثناء هذه الكراريس على هذه السورة لكن نتكلم هنا على قوله : يراءون ، فالرياء هنا على قسمين : أحدهما الرياء بالعمل لأجل غير الله وهذا نوع من الشرك . الثانى أن ترى لنفسك أن قد عملت عملا بصلواتك هذه يقرّبك إلى الله وأنت لم تحضر فيها بقلبك مع الله تعالى ، بل أنت فى واد وقلبك فى واد فهو لاشىء ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ



نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ ..

وسئل رضي الله تعالى عنه : عن الوتر إذا نام عنه الإنسان أو نسيه حتى طلع الفجر هل يصليه حين يذكره كالفريضه عملا بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « من نام عن صلاة أو نسيها فوقتها حين يذكرها » أم يؤخره حتى تطلع الشمس عملا بقوله صلى الله عليه وآله وسلم ما معناه « من فاته حزبه من الليل فقضاه بعد طلوع الشمس إلى الظهر كتب له وكأنه فعله من الليل .

فأجاب : بأنه يصليه حين يذكره كالفرائض ، لأنه قد ورد فى الحديث أنه واجب ، قال صلى الله عليه وآله وسلم « أوتروا يا أهل القرآن فمن لم يوتر فليس منا » فهذا أمر ، ولا يعارضه حديث « أفلح إن صدق » لأن نزول الأحكام باق إلى أن مات صلى الله عليه وآله وسلم ، وكم من حكم ثبت فى آخر الإسلام وليس بثابت فى أوّله ، وبالعكس .

وسئل رضي الله تعالى عنه : عن ركعتى الفجر إذا أقيمت الصلاة ولم تصلّ هل تصلى بعد الفريضة أم تؤخر حتى تطلع الشمس ؟..

فأجاب أنها تصلى بعد الفريضة ، لأن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حين رأى الرجل يصليهما بعد الفريضة قال له « الفجر أربع ؟ ، أو معنى هذا ، قال : لا يارسول الله إنما أقيمت الصلاة ولم أصلّ ركعتى الفجر ، فأقرّه صلى الله عليه وآله وسلم ولم ينهه » .

وسئل رضي الله تعالى عنه : عن قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم

« إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة »..

فأجاب أن معناه : إذا أقيمت الصلاة فلا يدخل الإنسان فى صلاة غيرها .. فأما إذا كان فيها فيتمها إلا أن يخشى فوت جزء من الفريضة فإنه يخرج منها بتسليمة ولا تبطل بل قد تمت صلاته ، وذلك مراد الله منه ، أما قوله صلى الله عليه وآله وسلم « إذا طلع الفجر فلا صلاة إلا ركعتى الفجر » فإنه يتمها إذا كان داخلا فيها ، إلا أن يخشى فوت جزء من الفريضة فقد دخل فى حكم المسألة التى قبل هذه.

وقال رضى الله تعالى عنه : كل إنسان نفسه طول عمره تطلب شيئا ولا يعرف ماهو ذلك الشيء ، فإذا كان همه الدنيا فلا يزال يطلبها ويظنّ أن مقصوده وطلب نفسه لشيء منها ، فإذا ناله لم تقنع به بل طلبها ذلك باق فيظنّ أنها تطلب منها شيئا آخر ، فاذا نالته لم تقنع ، ثم كذلك إلى ما لا نهاية له ؛ ومن كان همه الرياسة فكذلك لا تطمئنّ نفسه إلى شيء ولا تقنع به ، وهذا الطلب الحاصل منها هو طلبها الله تعالى ولكنها جهلت مقصودها بالفطرة وهى ما خلقت إلا لذلك ، فلما حصلت غير ما خلقت له لم تطمئنّ إليه ، لأن وضع الشيء فى غير محله ظلم والظلم باطل والباطل زهوق ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ .

ومن حكاياته الغريبة رضى الله تعالى عنه أن رجلا أقبض رجلا فلوسا فى لحم فلم يرض بمراده من اللحم فحلف بطلاق امرأته ثلاثا لا يترك الجزّار حتى يردّ له فلوسه بعينها ، فقال الجزّار إنى قد خلطتها بفلوسى هذه ولم تتميز فلوسك من بينها فتخاصما وترافعا إلى الحاكم فلم ير كل حاكم فى ذلك

إلا وقوع الطلاق لأن تميز فلوس الرجل بعينها من بين فلوس كثيرة متعذّر ، فسمع رجل جاهل فجاء إليهما فقال : عدّوا جميع الفلوس فلما عدوها أمر الجزار أن يعطى الرجل جميع الفلوس التى فلوس الرجل بينها ، ثم قال للرجل : أعط الجزّار مثل فلوسه هذه من غيرها ..

وحلف رجل أيضا بطلاق امرأته ثلاثا إن حصل له الغرض أن يعبد الله عبادة لا يشاركه فيها أحد من الناس فى وقت استعماله لها ، فكلّ قاض أفتاه بوقوع الطلاق لأنه من المحال أن يعبد الله بعبادة لا يشاركه أحد فيها ، فسمع بذلك رجل صالح فأفتاه بأن يراقب الخلوة فى المطاف ويطوف وحده ، فإنها عبادة لا يشاركه فيها أحد من الناس وقت خلوّ المطاف له .

وقال رضى الله تعالى عنه : وسئل الإمام ابن دقيق العيد رحمه الله : ما معنى قول النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم « لا تفضلونى على يونس بن متى » مع أنه قال صلى الله عليه وآله وسلم « أنا سيد ولد آدم » فقال للجماعة الذين سألوه لا أخبركم حتى تقضوا دين صاحبى هذا وكان له صاحب مدين فقضوه عنه ، فقال : المراد من ذلك أن قربى من الله تعالى حين ارتفاعى إلى شجرة المنتهى بل إلى العرش كقرب يونس حين كان فى ظلمات ثلاث لا تفاضل بيننا فى ذلك ، وهذا كما جاء فى بعض الأحاديث « أن ملكا جاء من فوق السموات السبع وملكا جاء من تحت الأرضين السبع وملكا من أقصى المغرب وملكا من أقصى المشرق وكلهم يقول : جئت من عند الله تعالى » .

وقال رضى الله عنه : قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم : « ثلاث أقسم عليهنّ : ما نقص مال من صدقة ، وما فتح رجل على نفسه باب مسئلة

يسأل فيها الناس إلا فتح الله عليه بابا من أبواب الفقر ، وما صبر عبد على مظلمة ظلمها إلا زاده الله بها عزّا ، والرابعة لو شئت أقسمت عليها : ما ستر الله عبدا في الدنيا إلا ستره في الآخرة » فينبغي للعبد إذا وقع في ذنب أن يستره ويكتمه ويحدث فيه توبة بينه وبين الله تعالى ، وما أجهل من ستره الله فيتحدّث به كالمفتخر ، وذلك كسْبُ ذنب إلى ذنبه .

وسئل رضى الله تعالى عنه : ما معنى قوله تعالى : ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ ؟

فأجاب : إن العتلّ : الغليظ الجافى ، والزنيم : الذى ينتسب إلى قوم وليس منهم ؛ فمن الناس من ينتسب إلى الإنسانية فى الصورة وهو فى أخلاق السباع والشياطين فهو زنيم .

وقال رضى الله تعالى عنه : قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة رضى الله تعالى عنها : إن أردت اللحاق بى فلا تجددى ثوبا حتى ترقعيه ، وإياك ومجالسة الموتى ، قالت يارسول الله من الموتى ؟ قال : الأغنياء » فسماهم النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم موتى لأن كل عبد شغلته النعم عن المنعم فهو ميت مدفون فى قبر ماهو شاغل له منها ، فحياة النفس ذكر الله تعالى والشغل به عما سواه ، وموتها شغلها بغير الله تعالى ، قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ أي زكاها بذكر الله تعالى ومحبته ، وكلما ازداد ذلك ازدادت حياتها ، ودساها : أى دفنها فى قبر شهواتها .

وقال رضى الله تعالى عنه : قال عبد القادر الجيلانى رحمه الله

تعالى : طلبت الله تعالى من باب الصلاة فوجدت فيه الازدحام ،وطلبته من باب الصدقات فوجدت فيه الازدحام ، وطلبته من باب الصوم فوجدت فيه الازدحام، وطلبته من باب الذلّ فولجته ثم التفتّ فوجدته خاليا ، فالذلّ لله تعالى أصل العبادة ، فإن الصلاة عمود الدين لأن فيها الخضوع والتذلل وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، وذلك أنه وضع وجهه الذى هو أشرف أعضائه وفيه أشرف جوارحه فى الأرض الذلول ، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ .. وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ فنصرهم الله تعالى فى يوم بدر وهم أذلاء ، وفى يوم حنين لما أعجبتهم كثرتهم وظنوا العزّ من أنفسهم فقال أحدهم : لن نغلب اليوم من قلة غلبوا .. قال تعالى فى حقهم : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا ﴾ والحال أن القائل منهم ليس من كبار الصحابة فعمت المصيبة ، فلا ذلّ إلا لله ولا عزّ إلا بالله .. ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ وأما الذلّ لغير الله فهو الذى تعوّذ منه النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : « أعوذ بك من الذلّ إلا لك » فمن تذلل لربه وخضع له فحقّ عليه أن يعزّه فى الدنيا والآخرة ، فالذلّ هو عين العزّ ، وأىّ عزّ أعظم وأكبر من تذلل العبد لمولاه ، فقد ترى رجلا عزيزا فى ظاهر الأمر وهو عند الله بالعكس ، ورجلا ذليلا وهو عند الله عزيز . ففى الحديث أن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبى ذرّ رضى الله تعالى عنه : « انظر إلى أحقر الناس منظرا فى عينك وهو حينئذ فى المسجد ، فنظر يمينا وشمالا فوجد رجلا فى ذلة عليه ثوب رثّ ، فقال : هذا يارسول الله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : انظر يا أبا ذرّ من أعزّ الناس فى

نظرك ، فنظر إلى رجل في هيئة وعليه حلة فقال : هذا يارسول الله ، فقال: هذا عند الله ـ وأشار إلى الحقير ـ أفضل عند الله من ملء الأرض من مثل هذا » وكلا الرجلين من الصحابة وبينهما هذا التفاوت ، فانظر إلى قدر الذلّ لله والافتقار والاستكانة إليه ..

اللهمّ خلّقنا بأخلاق من اصطفيت من عبادك يا أرحم الراحمين ..

وقال رضي الله تعالى عنه : قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ ﴾ فقال : قد أنزلنا لأن سببه المطر الذى أنزل من السماء فنتجت به الأشجار التى منها اللباس والكتان واستمدّت الأنعام منها فنبتت فيها الأصواف التى يتخذ منها اللباس ، ثم قال تعالى : ﴿ وريشا ﴾ وهو الجمال، وتقويم الخلقة على أحسن حال ، ﴿ ولباس التقوى ﴾ ، فالتقوى لباس يوارى سوأة المعاصى والذنوب التى هى أسوأ وأقبح وأزرى من السوأة المخصوصة ، والثياب : لباس يوارى السوأة التى هى العورة ، فانظر هل تجد أخزى وأقبح من أن تمشى فى السوق عريانا ، فقد تتمنى الموت أو القتل ولا تكون على هذه الحالة ، ولو عرفت وكان لك عقل لرأيت الكشف عن سوأة الذنوب والمعاصى أقبح وأزرى وأخزى لأنه خزى متصل فى الدنيا والآخرة وسوأة العورة إنما هى فى يوم من الأيام تأتى وتتحاشى أن تمرّ عاريا مرّة واحدة ، ثم من عصى الله سبحانه وتعالى مكشوف عند الله وعند رسوله وعند المؤمنين ، فإن الله سبحانه وتعالى يطلع المؤمنين على معاصى الفاسقين وإن تستروا ، قال الله تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ هذا فى الدنيا ، وأما فى الآخرة فعلى رءوس الأشهاد،



ولذلك قال تعالى : (ذلك خير) أى لباس التقوى : ﴿ ذَلكَ منْ آيَات اللَّه ﴾ أى الإنــزال ﴿ لعَلَّهمْ يذَّكَّــرُونَ ﴾ أى ما خلقوا عليه وهى الفطرة التى فطرهم الله عليـها ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّة يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا ﴾ : أى لباس الثياب ولباس التقوى : ﴿ لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا ﴾ أى سوأة العورة التى هى أذى ، وسوأة المعصية التى هى أشدّ وأزرى ؛ ثم حـذر تعالى منه فقال : ﴿ إِنَّهُ يرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ ﴾ فهو يحرّض جنوده وأولاده على إغواء أبناء آدم ليبعدهم عن الله كما أبعده عنه ويخرجهم من جنة القرب إلى نار البعد كما أخرجه ، لأن المصيبة إذا عمت تكون أهون منها إذا خصت ، فهو يريد أن تعمّ مصيبة الطرد والإبعاد التى هو فيها لتهون عليه .. اللهمّ أعذنا من الشيطان حتى لا يكون له علينا سلطان .

وقال رضى الله تعالى عنه : قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم «اتقوا الدنيا فانها أسحر من هاروت وماروت » وحقيقة السحر هو الخيال تظنّ أن هناك شيئا ولا شيء ، قال الله سبحانه وتعالى فى حقّ السحرة : ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ وهى لا تسعى بل حبال وعصى ، كذلك الدنيا يظنّ الرائى لأهل الدنيا والناظر فيهم أنهم فى نعيم وفى عزّ ، وليس كذلك فإنهم فى ذلّ لأنهم ملكوا أنفسهم الدنيا التى لا تعدل عند الله جناح بعوضة ، وكم فى يد الواحد من جميع الخلائق من جناح البعوضة ، وهو أيضا فى عذاب لأنه كلما كثرت عليه الدنيا ازداد خوفا على ذهابها وحرصا عليها وهما من كثرة شغلها وغما من تتابع بوائقها ،

وإن كان فى الظاهر تراه منعما ، وهذه هى حقيقة السحر ..

اللهمّ اكفنا شرّها واشغلنا بك عمن سواك بحقّ سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ..

وقال رضى الله تعالى عنه : قال الله تعالى : ﴿ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ أى قليلا من الليالى مثل ليلة مزدلفة وبعض ليالى الأسفار والمرض ، إذ لو كان الاستثناء عائدا إلى الليل : أى إلا قليلا منه لوجب على النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قيام أكثر الليل إلا قليلا منه وليس كذلك بدليل قوله تعالى بعد هذه الآية ، فقوله نصفه من المجمل لقوله من الليل ﴿ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ﴾ الثلث أو ما بينهما ﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ﴾ على النصف قليلا حال النقص والزيادة المنسوخ هو التقرير : ﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ فرفع الحرج بنسخ التقرير ، وفى كل ذلك قد امتثلت أمرنا حيث قلنا ﴿ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِّصْفَهُ ﴾ .. الخ ، فقلنا : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ ﴾ على قراءة الفتح ، وعلى الأخرى أدنى من ثلثى الليل وأدنى من نصفه بتقديره ، ثم قوله تعالى : ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ﴾ مفسرة أن الاستثناء إنما هو لقليل من الليالى فهو مرفوع عن المريض والمسافر ا هـ .

وقال رضى الله تعالى عنه : آسية بنت مزاحم التى وصفها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالكمال حيث قال « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث : آسية ، ومريم ابنة عمران ، وفاطمة » الحديث. وحكى الله تعالى عنها حيث قال : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ

فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ لم يشغلها عن الله تعالى ما هى فيه من النعيم الدنيوى من الملبوس والمطعوم والمشروب وأصناف التحف وأنواع الخدم ، ولم يشغلها أيضا أذى فرعون وحزبه ، بل بقيت واقفة فى الباب مع أنها مؤدية ما يجب عليها لزوجها وهذا أعظم مراتب الصبر ، ثم من قوّة رسوخ الإيمان فى قلبها ومحبة الله تعالى قدمت الجار قبل الدار فقالت ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ ومقام الصبر عند الله عظيم ، ولذا قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ والأجر الذى بغير حساب هو تجلى الله سبحانه وتعالى لهم لأنهم لا يبغون سواه ولا يريدون إلا إياه ، وامرأة فرعون لما كانت فى أعلى مراتب الصبر كان أجرها ما أعدّ الله للصابرين ثم زادها بأن جعلها زوجا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الجنة .

وقال رضى الله تعالى عنه : قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ ومن الظنّ الذى أمرنا الله تعالى أن نجتنبه أن نظنّ بالله غير ما يليق بجلاله جلّ وعلا . ففى الحديث « أن رجلا جاء إلى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يسأله عن سعة رحمة الله ، فلما رآه النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قال له قبل أن يسأله : جئت تسألنى عن سعة رحمة الله تعالى وأخبرك، يقول الله عزّ وجلّ : لو كنت معجلا العقوبة أو كانت العجلة من شأنى لعجلت للقانطين من رحمتى يذنب أحدهم ذنبا فيستعظمه فى جنب عفوى ، فلو لم أذكر لعبادى إلا خوفهم من الوقوف بين يدىّ لشكرت لهم ذلك فجعلت ثوابهم من ذلك الأمن مما

خافوا : ﴿ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ لأن التجسس لأجل الاطلاع على العيب منشؤه ظنّ السوء ، وإذا ظننت السوء بالخلق فقد ظننت السوء بالخالق ، ثم قال تعالى ﴿ وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ والغيبة هى من ظنّ السوء أيضا ، ألم تعلم أن لله سبحانه وتعالى فى كل شيء حكمة ، وأنه لولا ذنوب عبيده لما ظهر سرّ الغفار ؟ وفى الحديث « الغيبة أشدّ من الزنا » وفى حديث آخر « أشدّ من ستة وثلاثين زنية فى الإسلام » وفى الحديث « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام خطيبا فسمعه جميع الناس حتى الأبكار فى خدورهنّ قائلا : يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته فضحه ولو فى جوف بيته » ومن الغيبة أيضا أن تذكر أخاك المسلم فتصفه بعيب فيه ، كأن تقول : فلان الأعور أو غير ذلك ، فإن ذلك من الله تعالى . ومن عاب صنعة فقد عاب صانعها . فإن بعض الصالحين وصف رجلا بغدّة كانت فى حلقه ، فقال الحقّ تعالى له فى سرّه : لا تعرّف عبادى إلا بما أبتليهم به لأميتنك بها ، فكانت سبب موته .

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن الحديث : « ثلاثة لا تحرم عليك أعراضهم : المجاهر بالفسق ، والمبتدع ، والإمام الجائر » **فقال:** المراد لا يتخذ الناس أعراضهم فاكهة يتفكهون بها ، ولكن إذا أحوج الحال إلى ذلك كأن يستشيرك المستشير فتقول له مثلا : لا تزوّج فلانا فإن بحث وراجعك لأىّ شيء أشرت عليه أن لا يزوّجه فتقول : هو يفعل كذا كقول النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم حين استشارته امرأة من الصحابة قد خطبها فلان وفلان ،



فقال صلى الله عليه وآله وسلم: « أما فلان فصعلوك ، وأما فلان فإنه لايضع عصاه عن عاتقيه » فالغيبة أمرها عظيم ، « فإن عائشة أمّ المؤمنين رضى الله تعالى عنها قالت للنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم : ما أحسن صفية لولا أنها كذا ، ووضعت السبابة على مفصل الإبهام ، تعنى أنها قصيرة ، فقال لها النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم : لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته » .

وقال رضى الله تعالى عنه : قال عقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه : « يارسول الله ما النجاة ؟ قال : أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك » .

وقال رضى الله تعالى عنه : قال الله تعالى : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ والذين يؤمنون بالغيب هم قسمان : فقسم غائبون عن مشاهدة الحقّ تعالى مشاهدون لآياته فهم يستدلون عليه بآياته تعالى ويؤمنون به غيبا ؛ وقسم غائبون عن الخلق مشاهدون للحقّ فهم يستدلون به على آياته ويؤمنون بآياته غيبا ، وقد جمعهما قول بعضهم : إذا كشفت فلا غير وإن سترت فكل شىء غير. ورابعة العدوية رحمها الله تعالى لما قيل لها : هنا عالم له على الله ألف دليل ، فقالت : ومتى غاب حتى يستدلّ عليه ، وذلك لأن من أسمائه تعالى النور ، والنور يستدلّ به ولا يستدلّ عليه ، وإنما هو سبحانه وتعالى يظهر أثر أسمائه فى خلقه فيتجلى لبعضهم باسم الظاهر ولبعضهم باسم الباطن، وقال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ والحق هو الله تعالى ، فالذين يشهدونه

تعالى هم المحسنون الذين قال فى حقهم الصادق المصدوق لجبريل عليه السلام لما سأله : « ما الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه » والقسم الآخر قوله أيضا « فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ولهذا الحديث معنى آخر عكس هذا التفسير وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « أن تعبد الله كأنك تراه » أتى بكاف التشبيه هنا ، ثم قال « فإن لم تكن » أى لم تكن شيئا بل فنيت بشريتك ، وجواب الشرط قوله تراه فإنه يراك ، فالأوّل من أعلى إلى أدنى ، والآخر من أدنى إلى أعلى .. فافهم ..

وقال رضى الله تعالى عنه فى التوكل : هو إسقاط التدبير قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لو توكلتم على الله حقّ توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا » فقال بعض الحاضرين : بسبب أم بلا سبب ؟ فقال : وأيّ سبب أعظم من التقوى والإيمان ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ ..

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ .. فمن اتقى الله تعالى كان له الجار اللصيق لأنه قد أحبه الله ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ ومن أحبه فقد صار سمعه الخ ؛ ثم إن جميع عباد الله ضيوفه لأنهم وصلوا من سفر الإرادة إلى مقام الوجود فكيف يضيع الله تعالى عبيده وجيرانه وأضيافه ؟ حاشاه تبارك وتعالى ، لو كان إنسان بهذه الصفات عند ملك من ملوك الأرض لأكرمه غاية الإكرام فكيف بملك الملوك ؟

قيل إن الحجاج وفيه من الجراءة ما لا يخفى أمر بقتل رجل ، فقال

الرجل لك ذلك وإنما أريد منك شيئا وما أظنك إلا تفعله ، قال : وما هو ؟ قال: تضع يدك فى يدى ثم تدور بى فى عسكرك ، ففعل ذلك ، فلما فرغ قال له : أتقتلنى وقد ثبت لى معك حقّ الصحبة التى وصى بها الله تعالى فى كتابه العزيز بقوله : ﴿ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ ﴾ فأطلقه الحجاج وقال: إن شئت أن تبقى مكرما وإن شئت أن تذهب مجازا ، فاختار الذهاب ، فأجازه وأعطاه ، فتعالى الله أن لا يكرم ضيفانه ، وحاشاه أن يضيع حقوق جيرانه ، وتنزّه أن لا يكفى عبيده ، ولكن اتكل العبد على نفسه وقطع الأسباب التى بينه وبين سيده ، وتشبث بأسباب جعلها بينه وبين نفسه ، فوكله الله إلى نفسه وهو يناديه فى كل حالة بلسان القرآن وبلسان كل آية من آياته تعالى آيات الآفاق وآيات الأنفس أن ارجع إلينا نكفك كل مؤنة ونصلك بخير الدارين فيأبى إلا الاتكال على نفسه وهواه ، فهو الضارّ لنفسه الواقع فى حفرته ، والله المستعان .

وقال رضى الله تعالى عنه : قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ ففى كل ليلة ونهار يموت كل إنسان ويحيا ﴿ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ بسبب مرور الليالى والأيام يأتى الأجل المسمى ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ هنا غاية التشويق لعباده وهو رجوعهم إليه ، فإنهم فى الدنيا فى غربة ، والرجوع إلى الوطن رجوعهم إلى ربهم ، وحبّ الوطن من الإيمان ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أى ينبئكم بنطق جوارحكم وأعضائكم التى كنتم تعملون بها الخير والشرّ ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ لكنه قال عليهم لا لهم ، وذلك لأن الشهادة لا تكون إلا على من أنكر ولا ينكر حينئذ إلا المسيئون سيئاتهم فتشهد عليهم . وأما المحسنون فلا حاجة إلى

شهادتها لهم فكانت الآية وهى قوله ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ ﴾ إلى آخرها آية وعيد ، ثم قال تعالى بعد قوله : ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ❋ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ أى شهدت أعضاؤكم وجوارحكم عليكم قهرا وإلا فهى أجزاء منكم تعذّب بعذابكم ، ولذا يقولون ﴿ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ؟ قَالُوا : أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ فهو تعالى ينبئهم لكن بجوارحهم وأعضائهم فهو كقوله تعالى : ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ .

وقال رضى الله تعالى عنه : قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ لهذه الآية ثلاثة أوجه :

الوجه الأوّل : شهادة الزور ، كأن يشهد الإنسان فى إبطال حقّ أو فى إحقاق باطل .

الوجه الثاني : أن يشهد الإنسان مشاهد الزور : أى يجلس مع قوم يفعلون الزور، إما بارتكاب معصية أو بهتك حرمة أو بعمل بدعة ، قال الله تعالى : ﴿ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ولذا قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ واللغو : هو الكلام فيما لا يعنى والخوض فى غير ما خلق الإنسان له ، فوصفهم الله بالكرام ، أى تكرّموا بنفوسهم لله فلا يخدمون بها إلا الله ولا يضعونها إلا فيما يرضى الله ولا يكون تصرّفهم إلا بالله لله ، وقد جادوا بنفوسهم فى سبيل الله ؛ ولذا وصفهم الله تعالى بالكرم.

الوجه الثالث : أنهم الذين لا يشهدون الزور ، أى لا يشهدون إلا الله تعالى فإن ما سواه زور .

* ألا كل شيء ما خلا الله باطل *

قال الشاعر :

تخذتك وجهـا والأنام بطانة   فأنجمهم غابت وشمسك طالع

وهؤلاء أعلى درجة لأنهم لم يشهدوا غير الله فهم لا يرون زورا أبدا ، وإذا مرّوا باللغو فهم لا يرونه لأنهم مستغرقون فى ذات الله وصفاته ولا يرون غيره ، قال تعالى ﴿ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ وقال فى آية أخرى : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ ﴾ وهؤلاء هم الأولياء الذين يدفع الله بهم عن أهل الأرض ، إما بأن يطلعهم الله تعالى على غضبه على العاصين فيتشفعون فيقبل شفاعتهم ، وإما أن ينظر إليهم فيسكن غضبه ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « لولا شيوخ ركع وبهائم رتع وأطفال رضع لصبّ عليكم العذاب صبا » وفى الحديث القدسى « قال الله تعالى: إذا كان الغالب على عبدى الاشتغال بى جعلت نعيمه ولذّته فى ذكرى وإذا جعلت نعيمه ولذته فى ذكرى عشقنى وعشقته فاذا عشقنى وعشقته رفعت الحجاب فيما بينى وبينه ، وصرت معالما [١] بين عينيه لا يسهو إذا سها الناس ، أولئك الأبطال حقا ، أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذابا ذكرتهم ، فرفعت ذلك عنهم » ..

قال الشاعر :

وإياك جزعا لا يهولك أمرها   فما نالها إلا الشجاع المقارع

وقال رضى الله تعالى عنه : أنعم الله تعالى على عبيده بجميع النعم

(١) قوله (معالما) ، هكذا فى الأصل ولعله معلما ، وليحرر لفظ الحديث اهـ مصححه .

التى لا تحصيها الأقلام ولا تتسع لها الدفاتر التى تذهب دون حصرها الأعمار ويترك الأوّل للآخر ليتقرّبوا إليه بشكرها فيظهر لهم بقربه جواهر سرّها ويسلط سبحانه عليهم المصائب والدواهي ليفرّوا إليه منها ، قال تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ فمن الناس من ينقاد إلى الله بنعمه ، ومنهم من يساق إليه تعالى بسياط عذابه ونقمه ، ومنهم من لا تؤثر فيه المروءة فلا ينقاد بالنعم إلى ربه ولا يخاف من نقمه فيفرّ إليه ليؤمنه بقربه ، فما أقسى من هذا حاله ، وما أجفى وأسوأ من كالحمر المستنفرة .. مثاله يريد الحقّ جلّ جلاله أن يقرّبه منه لينيله ما أعدّ له من خصائص قربه ويتحفه بموارد صفائه وحبه ، فيأبى إلا الفرار منه إلى النار .. اللهمّ إنا نسألك حبك وحبّ من يحبك وحبّ كل عمل يقرّبنا إليك يا أرحم الراحمين .

وقال رضى الله تعالى عنه : خلق الله سبحانه وتعالى جميع ما فى السموات وما فى الأرض لبنى آدم ، فملكه تعالى هو لهم لأنه غنيّ عن ملكه وهم المنتفعون به ، فهو لهم باعتبار منافعه ، وهو له تعالى باعتبار أنه خلقه وكونه ، وتولى ما فيه مما لم يقدر الإنسان على توليه من إمساك السماء أن تقع على الأرض وحفظ السماء بالنجوم لئلا تلبس الشياطين عليه دينه وإيجاد جميع ملكه من العدم. فعلى الجملة هو فى منفعة بنى آدم ، فالإنسان ملّك الله له حتى الملائكة الموكلين برزقه والملائكة الذين حول العرش : ﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ إلى آخر الآية ، فليته لو علم بقدر هذا الربّ العظيم الكريم الذى خلق كل شيء له وجعله خليفة ملكا : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ

قَدْرِهِ ﴾ سبحانه وتعالى يحبّ أن يقرّب عبده منه فحباه بجميع النعم حتى إنه ملّكه مُلكه وهو غنيّ عنه وعن قربه منه ، والخير كل الخير ورأس السعادة وملك الدارين للعبد إذا قرب من الله تعالى ، ثم ليس فى قربه من ربه تعالى مشقة ولا كلفة ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ ــــ ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ــــ ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ فما أيسر هذه الأسباب الموصلة إلى ملك الدارين ، وما أوضح هذه الطريق المستغنى سالكها عن الكيف والأين ، ولكنها عميت القلوب فخاضت من المالك فى بحور ﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ فإن كنت أيها العبد لا تعلم أن ملك الله لك، وأنه من أجلك بسط الأرض ورفع السماء وأدار الفلك ؛ فانظر إلى القرآن وتدبر آياته ينبئك بأسراره فى موضح بيناته ، قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾ .وقال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ والآيات فى هذا المعنى بها القرآن طافح ، وفى الحديث القدسى « يا ابن آدم خلقت كل شىء من أجلك وخلقتك من أجلى » ، فسبحانه ما أكرمه أعطى عبده جميع ملكه ابتداء، ويعطيه ملكه الدائم إذا أتى شكر النعم بالامتثال لما أمر به والانتهاء عما نهى عنه ابتداء وانتهاء ، فأىّ كرم مثل هذا الكرم ، وأىّ جود مثل هذا الجود؟ سبحان الكريم الجواد لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب.

وقال رضى الله تعالى عنه : إذا اتقى الإنسان صار إبليس الذى هو

عدوّه من نعم الله تعالى عليه ، ألا ترى أن الجهاد فى سبيل الله لولا وجود العدوّ لما وجد ولما كانت الشهادة ، فهذا العدو الأعظم مجاهدته هى أعظم المجاهدات ومجاهدته : معاكسته ؛ ومن جاهده حتى مات فقد مات شهيدا فى سبيل الله أكبر من الشهادة فى الجهاد الظاهر لأنه فى الجهاد الأكبر الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » فلولا وجود إبليس ما نيلت هذه الدرجة العظمى ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ فبسبب ذلك المسّ كان التذكر لله تعالى ، وهذه نعمة عظيمة بكون مس طائف سبب التذكر لله تعالى ، فإذا بلغ الإنسان رتبة التقوى صارت أعداؤه من نعم الله عليه ويشكر الله عليها ، لأن بسببها اتسعت له أبواب الخير .. اللهمّ اجعلنا من المتقين يا أرحم الراحمين ..

وقال رضى الله تعالى عنه : خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان كهيئة الميزان كل عضو منه فى يمينه يعدل عضوا فى يساره ، وكذلك الجوارح ؛ فاليد اليمنى فى مقابلة اليسرى ، وكذلك الرجل ، ومن الجوارح الأذن فى مقابلة الأذن وكذلك العينان ، ولسانه شوكته متوسطة بين كفاف الأعضاء والجوارح ، والحكمة فى ذلك أن لا يتكلم الإنسان بكلمة إلا بعد أن يزنها بميزان الشرع ، فإنه لا تعرف معادلة الكفاف إلا فى الشوكة فيزن الكلمة إن كانت ترضى الله سبحانه وتعالى ـ لأنه لابد أن يسأله عنها : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ـ تكلم بها ، وذلك كأن يكون ناهيا عن منكر أو آمرا بمعروف أو هاديا لضالّ أو غير ذلك ، فإذا سأله الله تعالى عنها أجاب بما يخلصه من التوبيخ والتبكيت ، وإن كانت الكلمة إذا سئل عنها بين يدى الله

تعالى لا يقدر أن يتخلص من التوبيخ عليها فلا يتكلم بها ، ففى الحديث لما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « هل يحاسب الناس على أقوالهم ؟ قال : ثكلتك أمك ، وهل يكبّ الناس على مناخرهم فى النار إلا حصائد ألسنتهم ؟ » وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أوصى رجلا : « لا تكثر الكلام بغير ذكر الله تعالى ، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى تورث قسوة القلب ، وإن أبعد القلوب من الله القلب القاسى » .

وقال رضى الله تعالى عنه : ﴿ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ ..

وقال تعالى : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ أى إنما يغترّ بها الذى لا عقل له كالمسحور حين يغترّ بالسحر ويظنه شيئا وهو لا شىء ، فجميع ما فى الدنيا إنما هو وهم كالسراب اسما ولا مسمى له ﴿ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الدنيا دار ممرّ وليست دار مقرّ فاعبروها ولا تعمروها » فترى طالب الدنيا ظمآن لها ، فكلما رأى منها شيئا توهم أن ذلك هو الغرض المقصود فيقصده فلا يشفى غليله فيبدو له شىء غيره فيقصده وهلم جرًّا إلى ما لا نهاية له ؛ اللهم إنا نسألك العافية والسلامة ..

ألا ترى أن الملك يكنز الكنوز ويخزن الأموال ظانا أن هناك فائدة ومنفعة وليس هناك شىء فإنه يكفيه من ذلك جميعه ما يكفى الفقير وهى أكلة وشربة من ماء وربما لا ينهضم ما فى بطنه إلا وقد أتاه الموت، وإنما يحمله على ذلك الأمل الكاذب الذى قال تعالى فيه: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ﴾وقال تعالى:﴿ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ

عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ ولو عرف مقدار الدنيا وأنها سريعة الزوال لما بنى البنيان ولا جمع الأموال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إنما مثل الدنيا كابن سبيل استظل تحت شجرة ثم راح وتركها » وقال رسول صلى الله عليه وآله وسلم « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني » فسماه أحمق ، وفي بعض الروايات عاجزا ، فإن نال ما تمنى أتبع نفسه هواها وبنى البنيان واستكبر ومنع مال الله عزّ وجلّ عن أهله وإن لم ينل ماتمنى فهو مصرّ على القبيح ولكن هو أهون من الأوّل . من العصمة أن لا تجد ؛ وأما من نالت نفسه ما تمنت واتبع هواها فذلك مكر من الله واستدراج ، نسأل الله العافية والسلامة . وقال سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما لأصحابه: « استحيوا من الله حقّ الحياء ، قالوا : يا رسول الله إنا نستحيي من الله والحمد لله ، قال : ليس ذاكم ، إنما الحياء من الله حقّ الحياء أن تحفظوا الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، ولا تنسوا المقابر والبلى ، ولا تجمعوا ما لا تأكلون ، ولا تبنوا ما لا تسكنون ، ولا تأملوا ما لا تدركون » فهذا الحديث جامع مانع ، من تمسك به نال كنز الدارين .

وقال رضي الله تعالى عنه : قال الله تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾ أي إنما أنتم في سفر فتزوّدوا فيه ، فإن من لم يتزوّد لسفره نال المشاقّ وندم على عدم التزوّد ، ثم قال : ﴿ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾ أي أولوا الألباب لا يرغبون ولا يسعون إلا في لباب الأمور ، ولبّ جميع الكون وسرّه هو الله تعالى، فأولوا الألباب لا يركنون إلى عملهم ولا يتقون النار ولا يرغبون إلى الجنة بل ما مطلوبهم سوى محبوبهم . وقع لبعض العارفين

حال مع الله ، فقال له الحقّ تعالى : سلنى من فضلى ما شئت أعطك ، قال : يارب أنت أحسن من فضلك ، لا تغرّنى بفضلك عنك فأطلب سواك، وهؤلاء من رفع الله هممهم فلا يأخذون من كل شىء إلا سنامه .

وقال رضى الله تعالى عنه : قال الله تعالى : ﴿ وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَن تَقُولُوا قَوْلاً مَّعْرُوفًا وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ فقوله : ﴿ وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ﴾ يعنى لا تشغلوا نفوسكم بغيرى ، وهو عامّ فى هذا الحكم وغيره ، فهو حاسم لمادة الأمل من كل شىء إذا بلغ الكتاب أجله فهو يأتى إليك ، فلا تشغل قلبك الذى لا ينبغى أن يشتغل إلا بالله بشىء من أمور الدنيا ، لأن ما قسم لك لابد يأتيك ، ولذا قال : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾ أى مجرّد الوسوسة والخواطر التى تخطر من أجل شىء مستقبل قد يكون وقد لا يكون هو يعلمها سبحانه وتعالى فاحذروه ولا تشغلوا نفوسكم بغيره ، ثم قال : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ فالغفران لا يكون إلا من الذنب والبشر ضعيف لا تخلو منه الخواطر، ولكن إذا تنبه لنفسه وتاب من ذلك الخاطر فالله غفور حليم : أى لا يعجل العقوبة بل يمهل عسى أن تحصل منكم توبة فيبدّل الله سيئاتكم حسنات .

ثم قال رضى الله تعالى عنه : جميع سعى الإنسان للدنيا فيه صعوبة وعسر فلا يحصل له ما يريد إلا بمشقة وقد لا يحصل ما يريد كأن يركب

الإنسان الأخطار ويركب البحار لكى يصيب شيئا من الدنيا فقد يحصل وقد لا يحصل ويبنى بنيانا فلا يحصل له ما يريد إلا بتعب ونصب وخسارة ، وجميع سعى الإنسان للآخرة سهل لا عسر فيه ولا مشقة ، ينال الإنسان رياضا وأشجارا وأنهارا كل ورقة من ورق الشجر مسيرة عشرين عاما بقوله « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » وتبنى له القصور التى لا تخرب ولا تبلى بكلمة خير يقولها أو بصلاة فى ظلّ . استظلّ عيسى عليه الصلاة والسلام فى ظلّ خيمة عجوز فخرجت وطردته فبكى ، فأوحى الله إليه إنى سأزوّجك بكذا وكذا من الحور ولأولمنّ عليك ألف سنةٍ : أى أن هذا جميعه فى مقابلة طرد العجوز له ، فما أيسر العمل للآخرة وما أعسر أعمال الدنيا ، والحمد لله ربّ العالمين .

وقال رضى الله عنه : الجملة المعترضة التى فى أثناء هذه الآيات وهى قوله تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ مقبلين على الله تعالى بجميعكم وبقلوبكم لا أنكم تقومون أشباحا وقلوبكم مشغولة بغيره ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ أى لا تغفلوا عن الله تعالى ولا تشتغلوا بغيره ولو فى حال خوفكم : ﴿ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ وهو ما علمكم بكتابه وبسنة رسوله لا غير ؛ ثم رجع إلى حكم الزوجة المتوفى عنها بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا ﴾ لحكمة فى توسط جملة الصلاة : أى لا تشتغلوا بغيرنا ولا تشغلوا أوقاتكم فى الأحكام الدنيوية بل أدّوا لها حقها الذى لابدّ منه ثم عودوا إلينا فتكون صفتكم كصفة ترتيب القرآن ، فإنا لم نستتمّ حكم المتوفى عنها حتى دعوناكم إلينا ثم عدنا لتمامه ؛ فانظر إلى الحكمة فى الترتيب ، لا إله

إلا الله ما أبلغ كلامه وما أحكمه سبحانه وتعالى !..

وقال رضى الله تعالى عنه : قال الله تعالى ﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ وكذلك ما تحرّك ، ولكن أتى بما سكن لأنه الأولى بالذكر لأنه بمعنى الذى سكن لله وهو الذى لا يتحرّك إلى سبب من الأسباب ، بل هو ساكن لا يميل ولا يتحرّك إلا لله فهو مثل قوله تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ فالساكن من بنى آدم هو الذى سماه النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم المسكين ، فقال : « اللهمّ أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين » وهم القانتون الذين أمرهم بالقنوت الحقّ تبارك وتعالى حيث قال ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ ساكنين لله ، وقال تعالى لمريم عليها السلام: ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ فقال : اقنتى أى اسكنى فإنها كانت تقع عليها الطيور وهى قائمة لسكونها فيه حتى لا تتحرّك فتظنّ الطيور أنها جماد ، فمن لم يدبر له أمراً بل أسقط التدبير فقد سكن إلى الله وصار لله ، وهذا المقام هو الذى أوصى به لقمان ولده حيث قال : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ أى مثقال حبة من رزقك ، لأن التدبير والاهتمام إنما يكونان فى الغالب من الرزق فحرّضه على ترك التدبير فى الرزق بقوله ﴿ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ ﴾ أى من رزقك ﴿ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ ﴾ والصخرة لا يتوصل إلى إخراج ما فى جوفها بتدبير ولا بحيلة ﴿ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ ﴾ كذلك ، فلا يعرج إليها بسلم ولا بغيره من الحيل ﴿ أَوْ فِي الْأَرْضِ ﴾ أى فى جملة الأرض ، فكيف يمكن أن تلقى حبة خردل

بعينها مخبوءة فى جملة الأرض ، فربما ينفد عمرك وما استقصيت فى التفتيش عليها مسيرة بريد فى ظاهر الأرض ، وأما باطنها فلا سبيل لك إليه وهى إذا كانت كذلك وقد قسمت من رزقك أتى بها الله ، فهل بقى لتدبيرك فائدة أو ثمرة ، إنما أنت تشغل نفسك فى صلاتك بشىء لا فائدة فيه أبدا بل هو الخسران العظيم ، وهو أنك تضيع صلاتك بشىء لا منفعة فيه ولا فائدة . ولذا قال الله تعالى على لسان الحكيم لقمان فى وصيته لولده بعد تحريضه على إسقاط التدبير ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ والمعروف هو الله سبحانه وتعالى ، فأمر به له ﴿ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾، والمنكر هو ما سوى الله تعالى.

* ألا كل شىء ما خلا الله باطل *

وطالب غير الله فى الكون كله كطالب ماء من سراب بقيعة

ثم قال : ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ وذلك لأن من كانت هذه صفته لابد أن يؤذى ، قال الله تعالى:﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ﴾ فهذه وصية لقمان لولده، وهى مثل قوله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ هذا حصر ، ثم قال تعالى : ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ ﴾ أى لأنفسهم ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ بل الله يطعم ولا يطعم ، ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ ﴾ هذا تأكيد وأتى بالجلالة الحاوية لجميع الأسماء ، ثم أتى بالضمير المنفصل الذى ﴿ هُوَ ﴾ للفصل للتأكيد ، ثم قال ﴿ الرَّزَّاقُ ﴾ فأتى بصيغة المبالغة ﴿ ذُو الْقُوَّةِ ﴾ أي

ليست القوّة إلا له ﴿ الْمَتِينُ ﴾ فهذا تحريض على إسقاط التدبير ، وأتى بهذه الصفات وهذه التأكيدات لتتوغل فى ذهن السامع فيفرّ من تدبيره كفراره من الأسد ويعظم عليه فيتوب منه ، فهو مثل قوله تعالى خطابا لامرأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حفصة وعائشة رضى الله تعالى عنهما ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ وذلك ليكون تحذيرا وتهديدا لهما فلا يعودان إلى مثل ما جرى منهما ، وفى هذا إشارة إلى ما أقرّ الله سبحانه من قول العزيز حيث قال حاكيا عنه ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾.

ثم قال رضى الله تعالى عنه : فاستسلم لمولاك واعلم أن ما قد قسمه لك لابدّ يأتيك حتى لو أردت أن تمنعه عنك لما قدرت ، وأدّ ما أمرك سبحانه وتعالى به على الوجه الذى يرضيه ، ودع عنك جميع ما سواه واشتغل بمولاك ، فإنك إذا اشتغلت به كفاك ، وإياك أن تركن إلى سواه ، فكم وقع فى شباك الردى من ركن إلى غير الله ، والحمد لله ربّ العالمين .

وقال رضى الله تعالى عنه : سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أخذ من كل شىء سنامه ، فمن ذلك أنه قال صلى الله عليه وآله وسلم « لكل نبىّ حرفة، وحرفتى الفقر والجهاد » فالجهاد أعظم الحرف وأغلاها ورأس المعالى وذروة الكمال؛ ثم إنه خير صلى الله عليه وآله وسلم بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا ، فاختار أن يكون نبيا عبدا وذلك أنه إذا كان نبيا عبدا فى الظاهر ، فهو فى الباطن نبىّ ملك ، لأنه ليس لشىء عليه سلطان سوى الله سبحانه وتعالى ، ومن كان ملكا فى الظاهر فهو فى الباطن عبد ، لأن كل

شيء يملكه يصير له عليه حقّ ولصاحب الحقّ مقال كما قال صلى الله عليه وآله وسلم ؛ ثم حين خيره جبريل بين شرب القدح الخمر والقدح اللبن ، فاختار اللبن ، فقال له جبريل عليه السلام : أصبت الفطرة ، فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما اختار من كل شيء إلا أحسنه وذلك بقدر ما أعطاه الله من العقل، فسبحان المانح .

وقال رضى الله تعالى عنه: يبشر الله عباده المؤمنين تارة بواسطة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كقوله صلى الله عليه وآله وسلم فى أهل بدر « لعلّ الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فإنى قد غفرت لكم » وهو لأهل بدر ومن شاء من أوليائه قال تعالى : ﴿ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ وذلك أن العبد إذا قوى إيمانه حتى بلغ إلى محبة الله ، وإذا أحبه صار سمعه الذى يسمع به إلى آخر الحديث ، فقد صارت تصرّفاته لله فيعمل ما شاء ، لأن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، ولذا يقول الله تعالى لأهل الجنة فى الجنة : أنا أفعل ما أشاء وأحكم ما أريد ، وأنتم الآن افعلوا ما شئتم ، وأولياء الله هم فى الدنيا مع الله كما يكونون فى الآخرة ، وتارة يبشرهم الله بواسطة ملك كقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ وتارة يبشرهم الله تعالى بلا واسطة كقوله تعالى : ﴿ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ فمن



أحبه الله سبحانه وتعالى صار سمعه الذى يسمع به ، فهو على هذه الحالات والبشارات من الدنيا ، قد انمحت ظلمة بشريته بنور الله تعالى وانمحقت ذاته تحت ذات الله ، فلا يبصر إلا بالله ولا يسمع إلا بالله ولا يمشى إلا بالله ولا يبطش إلا بالله وبين مقام الربوبية والعبودية برزخ كبرزخ البحرين ، قال الله تعالى : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ ﴾ وهذا كله فضل من الله تعالى فإن الله قادر على كل شىء وعطاؤه لا يقاس بمقياس ولا يدخل تحت ضبط ، فإن الملك لم يصر ملكا إلا بفضل الله وكرمه ، أرأيته هل جعل نفسه ملكا ولو عبد الله من قبل كل شىء إلى بعد كل شىء لما نال مقام الملائكة ، كذلك النبىّ لم ينل مقام النبوّة إلا فضلا من الله وكرما ، فإن النبىّ والملك قبل وجودهما لم يختارا هذين المقامين وبعد وجودهما لو لم يخلقهما كذلك ويؤهلهما لذلك لما خطر على قلبهما أن يصير أحدهما ملكا والآخر نبيا ، بل فضل الله سبحانه وتعالى واسع لا ينحصر ولا ينضبط ، كذلك أولياء الله يمنحهم ما لا يخطر على قلوبهم ولا يسلك فى مجال عقولهم ولا يتصورّ الشىء الذى صاروا إليه إلا بعد حصوله ، فإن أحمد بن هارون المكنى بالسبتى رآه بعض الصالحين فى المطاف وإذا هو يمشى بين الرجلين ولا يفرقهما ، فرصده حتى أمسكه ، فقال له : من أنت؟ قال : أنا أحمد السبتى ، فقال له : من كان قطب وقتك ؟ قال له: أنا ، قال : كذا أخبرت ، قال : صدق من أخبرك ، وبعضهم ربما جاء بروحه ملك وهو فى صورته فينحصر فى موقف بينه وبينه سنة أو أكثر ولا يعرف أنه ملك إلا إذا مشى فى الشمس أو فى القمر فليس له ظلّ . وعلى الجملة فإن للقوم عجائب وخرق عادات لا تضبطها الأقلام ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ﴾ولا يسع العبد إلا الإيمان

لأن من لم يصدّق فقد جهل بسعة فضل الله وخيره وقدره .. وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من بلغه عن الله فضيلة فلم يصدّق بها لم ينلها » .

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن علم الكلام **فقال:** هؤلاء قوم آمنوا بالله على ما فهموا ، وأهل الله قوم آمنوا بالله كما يعلمه لنفسه ؛ وفرقان بين الفريقين ، فإن من آمن بالله كما يعلمه الله لنفسه يجعل عقله وراء إيمانه فيؤمن سواء قبل عقله أو لم يقبله ، فمن آمن هذا الإيمان عرّفه الله ما لم يعرفه بنقل ولا بعقل ، وأما من لم يؤمن إلا بما فهمه فهذا وقوف عند الحروف وبسببه وضعوا علم الكلام الذى لم يرشد إليه كتاب ولا سنة ولم يسلكه صحابى ، فألفوا تأليفات وحصروا الصفات ، تعالى الله علوّا كبيرا ، وهذا هو الذى نزّه الله تعالى نفسه عنه بقوله : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ .. لأنهم وصفوا الله بما لم يصف به نفسه ، فهذه من أعظم المهالك وأخطر المعاطب لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ويظنون أنه علم وأن العلماء به داخلون فى أن العلماء ورثة الأنبياء ، فهم أعظم خطرا من الذين يفعلون المعاصى عارفين ومقرّين بأنها معاص . رأى بعض الصالحين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسأله عن ابن سينا وعن الفخر الرازى ، فقال له : أما ابن سينا فأراد أن يأتينا من غير بابنا فرددناه ، وأما الفخر الرازى فإنه رجل معاتب ، مع أن الفخر الرازى رجع عن هذا المسلك وتاب منه بقوله :

نهاية إقدام العقول عقال وغاية سعى العالمين ضلال

ولم نستفد من علمنا طول عمرنا   سوى أن جمعنا فيه قيل وقال

وفي بعض الأيام كان جالسا بين أصحابه فبكى طويلا ، فسألوه عن بكائه ، فقال : دليل كنت أعتقده في الله تبارك وتعالى منذ زمان فظهر لي بطلانه مثل الشمس وما يدريني لعلي في جميع اعتقاداتي كلها هكذا ، فإذا آمن الإنسان بالله تعالى إيمانا صادقا عرفه وإذا عرفه خافه وخشيه ، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ألا ترى إلى الصحابة رضي الله تعالى عنهم لما آمنوا بالله تعالى إيمانا صادقا وآمنوا برسوله صلى الله عليه وآله وسلم لم يتكلوا على عقولهم في شيء بل آمنوا بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبلته عقولهم أو لم تقبله ، فإن القبلة كانت في صدر الإسلام إلى بيت المقدس بقوله صلى الله عليه وآله وسلم وفعلوه ، ثم لما تحولت تحوّل صلى الله عليه وآله وسلم وتحوّلوا معه ولم يستنكروا ولم يشكوا مع أنه قد ثبت عندهم أن بيت المقدس قبلة الأنبياء من قبل ، وإن رضا الله تعالى في استقباله وعدم رضاه في استقبال الكعبة فانعكس الأمر وصار رضاه تعالى في استقبال الكعبة، وعدم رضاه في استقبال بيت المقدس ، فآمنوا وصدّقوا ولم يبق للعقول مجال ولا رأي ، فسعدوا السعادة الأبدية وتبينت لهم من بعد حين نتائج السعادة ومصلحة استقبالهم الكعبة ، فعلى الجملة إن من آمن بالله وصفاته وأفعاله وكلامه وقدرته كما يعلمها لنفسه جملة وتفصيلا إنما علمه الله ولم يتوصل إلى معرفته بعقله ولا بفهمه ، قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ وأيّ جهاد أعظم من درء الشكوك التي ليست إلا من الشيطان ، وقال الله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ وأيّ تقوى أعظم وأحسن من إيمان العبد بربه كما يريده ويرتضيه ويعلمه لنفسه..



اللهمّ اجعلنا من الذين جاهدوا فيك فهديتهم سبيلك يا أرحم الراحمين.

وقال رضى الله تعالى عنه : الحازم اللبيب من إذا ظفره الله بشيخ يعرّفه بالله تعالى عضّ عليه بالنواجذ ، فإن أهل الله قليلون ولا يظفر بأحدهم إلا من وفقه الله واعتنى به ثم اقتدى به وصدّقه فى جميع أفعاله وأقواله ولو لم يقبله عقله فى ظاهر الأمر ، فإن للقوم ابتلاء ، ألا ترى إلى قصة الخضر مع موسى عليهما السلام فإن فيها عبرة لمن اعتبر ، فإن موسى عليه الصلاة والسلام لو صبر على الخضر عليه السلام لرأى عجبا ، ولكنه رأى ذلك مخالفا فى الظاهر لشريعته فلم يصبر ، وفى ذلك حكمة من الله تعالى وتكريم لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام ليذوق مرارة تعليم المخلوق له فيعرف قدر حلاوة تعليم الخالق له، ثم الخضر عليه السلام صدّق الله قوله : ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ﴾ وموسى عليه الصلاة والسلام صدّق الله قوله : ﴿ وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْراً ﴾.. لأنه لم يأمره بأمر حتى يعصيه فيه ، وإنما نهاه بقوله : ﴿ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ ﴾ ومن هنا تبين أنه ليس من ائتمر فقد انتهى ولا من انتهى فقد ائتمر ، بل مصادر النهى غير مصادر الأمر، فلما لم يصبر عليه الصلاة والسلام فاته العلم الذى جاء لتعلمه من الخضر مع أنه قد جرت له عليه الصلاة والسلام أمور كالأمور التى أنكرها على الخضر ؛ فإنه فى قوله فى السفينة : ﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ قد جرى له ما هو أعظم من ذلك وهو اتخاذ الحوت فى البحر سربا حتى وصل إلى قعره ، فالذى قدر على إمساك ذلك قادر على إمساك الماء عن دخول السفينة ، ثم إمساك البحر له لما ضربه بعصاه فعبره هو وبنو إسرائيل ، وكان كل فرق كالطود العظيم ، ثم قتل النفس قد سبق منه قتل القبطى ، ثم عدم اتخاذ الأجر على الجدار قد



استقى لابنتى شعيب ولم يطلب منهما أجره مع أنه كان فى شدّة الجوع ، فإن قوله : ﴿ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ لم يرد به إلا سدّ رمقه من الجوع ، ومن هنا ﴿ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا ﴾ لكن طلبهما للطعام ليس بسؤال وإنما هو طلب حقّ ، فإن الضيافة واجبة ، فما استطعماهم إلا ليحطوا عنهم الواجب الذى عليهم فالمصلحة عائدة عليهم ، لا أنهما يسألانهم مسئلة افتقار إليهم أستغفر الله العظيم ؛ فإذا علمت بعائدة نفع الامتثال للشيخ فى اوامره ونواهيه ، فما أرى لك إلا أن تكون بين يديه كما قال عبد الكريم الجيلى رحمه الله :

وكن عنده كالميت عند مغسل ... يقلبه ما شاء وهو مطاوع

ولا تعترض فيما جهلت من أمره ... عليه فإن الإعتراض تنازع

وسلم له فيما تراه ولو يكن ... على غير مشروع فثم مخادع

وفى قصة الخضر الكريم كفاية ... بقتل غلام والكليم يدافع

فلما أبان الصبح عن ليل سرّه ... وسلّ حسام للمحاجج قاطع

أقام له العذر الكليم وإنه ... كذلك علم القوم فيه بدائع

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن الاستثناء فى قوله تعالى : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ فى حقّ أهل النار وأهل الجنة **فقال :** معناه الاستثناء فى حقّ أهل الجنة الذين يدخلون النار بذنوبهم ثم يخرجون منها فيكون مستثنى من الذين سعدوا وتكون ما بمعنى من شاء ربك ، وأما السموات والأرض فهى غير فقد بدلت ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾

ويدلك على أن هذا المراد بالاستثناء قوله آخر الآية ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ ويكون الاستثناء فى حقّ أهل النار يعود أيضا على هؤلاء الذين أدخلوها بذنوبهم ثم أخرجوا منها برحمة الله تعالى على تفاوت مراتبهم وعلى هذا فالاستثناء من الخالدين ، ومع ذلك فهو متناول للخلود فأطلق عليهم لفظ الشقاء باعتبار أوّل الأمر ، وأطلق عليهم لفظ السعادة باعتبار آخر الأمر ، والاستثناء من مدة خلودهم فى الجنة عائد إلى القبلية ، والاستثناء من مدة خلودهم فى النار عائد إلى البعدية .

وقال رضى الله تعالى عنه فى الدعاء : وقد تقدم الكلام عليه أن الدعاء إنما هو تشريف وتكريم لباب المناجاة والكرم وإلا فهو سبحانه وتعالى أعطاك يا ابن آدم كل ما أنت مفتقر إليه بسؤالك حالا لا مقالا بأن جعل لك جميع مافى السموات والأرض ، وخلق فيك ما تنتفع به من الأعضاء والجوارح ، ثم هو أيضا يعلم حاجتك التى تسأله قبل أن يخلقك وقبل أن يخلق السموات والأرض .

والنكتة فى أمره بالدعاء إظهار سرّ كرمه تعالى وأنه يجازى على كل شيء من جنسه جزاء وفاقا ، وذلك أنه أمرنا سبحانه وتعالى باجتناب ما نهانا عنه والائتمار بما أمرنا به وجازانا على ذلك بأن ائتمر لأوامرنا وانتهى عن نواهينا فإنك تقول فى الدعاء : اللهم اغفر لى ، فيأتمر لك بأن يغفر لك ، وتقول : اللهمّ لا تخزنى فينتهى عن نهيك بأن لا يخزيك ، ولذا قال تعالى شأنه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ ﴾ أى فليستجيبوا لى

بالائتمار بما أمرتهم به والانتهاء عما نهيتهم عنه ، فإذا كانوا كذلك فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فآتمر لأمره وأنتهى عن نهيه ، سبحانه وتعالى ما أكرمه ، ومع هذا فإن المصلحة فى ائتمار العبد لما أمر به وانتهائه عما نهى عنه عائدة عليه ، واستجابة دعائه عائدة عليه ، والله سبحانه وتعالى غنيّ عنه فى الجميع ، فانظر إلى هذا الكرم ، سبحان الكريم لا إله إلا هو .

وقال رضى الله عنه : قال الله تعالى حاكيا عن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾ يريد هنا معرفة الكيفية قال : ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِن ﴾ أى أولم تتخلق باسمى المؤمن ﴿ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ أى أنا معتقد اعتقادا صحيحا : أى متخلق باسمك المؤمن لكنى أريد أن أنظره عيانا ﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ﴾ أى على جميع جبال الدنيا من قاف إلى قاف ، فكم كل جزء من أجزاء هذه الأربعة الطيور بعدد جبال الدنيا قد لا يكون كالخردلة ، فقال له قائل : ومن وضع تلك الأجزاء على جميع جبال الدنيا ؟ قال : هو فى لحظة ، فالذى أقدر آصف بن برخيا أن يأتى بعرش بلقيس الذى وصفه الله على لسان الهدهد بالعظم - قيل كان يجلس عليه اثنا عشر ألفا - فى أقل من ارتداد الطرف ، هذا القدر الذى لا يتصوّر أقلّ منه ، فإن الطرف مفتوح فكم مقدار ارتداده ؟ ثم هو أقل منه ، فهذا القدر لا يتسع للكاف من كن والحال أنه ولىّ من أولياء أمة سليمان عليه الصلاة والسلام ثم هو كان بالشام وبلقيس باليمن ، فكيف الولىّ من خير أمة أخرجت للناس؟ فمن هذه قدرته قادر أن يجمع جميع جبال الدنيا بين

يدى إبراهيم قبل ارتداد الطرف ، فيضع فى كل جبل جزءا كما يضع الإنسان التمر فى الطبق ثم يفرّقها عنه فى ذلك المقدار ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أى أنه سبحانه وتعالى عزيز أن يتجلى بكنه جلاله وكبريائه ، فإنه تجلى باسم القادر لإبراهيم فى القصة بقدر لا يعلمه إلا الله تعالى . وأما تجليه سبحانه وتعالى للجبل حين جعله دكا وخرّ موسى صعقا فقد قدّره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمقدار ثلث الخنصر ، ثم قوله : ﴿ حَكِيمٌ ﴾ أى سبحانه وتعالى لا ينظر لعبده إلا الصلاح فإنه سبحانه وتعالى قال لموسى حين كلمه من الطور : يا موسى إنما أكلمك بقوّة عشرة آلاف لسان ولى قوّة الألسن كلها وأقوى من ذلك ، ولو كلمتك بكنه كلامى لم تكن شيئا ، هذا معنى قوله تعالى حكيم فى قصة إبراهيم : أى إنه ما تجلى له باسمه القادر إلا بمقدار يمكنه الطاقة له ، سبحانه وتعالى ما أعظم شأنه ..

ثم قال رضى الله تعالى عنه : وأعظم من هذا كله أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسرى به أوّلا من مكة إلى بيت المقدس مسيرة شهر، ثم إلى العرش مسيرة خمسين ألف سنة ، لأن غلظ كل سماء خمسمائة عام ، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام ، ثم من فوق السموات السبع ما لا يعلمه إلا الله من الهواء الذى جميع الجنان فى طيه ، ومسافة الكرسى ثم مسافة السموات سبعة آلاف سنة بطيران الملك الذى يعرج إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، ثم رجوعه عليه الصلاة والسلام إلى موسى فى السماء السادسة وصعوده خمس مرّات ، وهذا كله فى ليلة وما أصبح إلا بمكة ، سبحان القادر المقتدر لا إله إلا هو .



وقال رضى الله تعالى عنه : قال عزير عليه الصلاة والسلام حين مرّ بقرية خاوية على عروشها ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ هو هنا ما طلب إلا الكيفية كقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾ إلا أنه نبيّ ، والمؤمن من سائر الناس يعلم علمًا يقينا أن الله قادر على إحيائها فرضا ، أما نبيّ الله فما طلب إلا الكيفية لكن فيها شمّ من استبعاد بلفظة أنىّ ، فأراه الله الإحياء فى نفسه بأن أماته مائة عام ثم بعثه ، وفى هذه المدة جميعها فاته الترقى ؛ وإبراهيم عليه الصلاة والسلام أراه الإحياء فى غيره لأنه ما طلب إلا الكيفية من غير سمة من الاستبعاد، ثم قال سبحانه وتعالى : ﴿ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ ﴾ ثم لبس سبحانه وتعالى عليه بأن جعل قرينة طعامه كأن لم يلبث إلا يوما أو بعض يوم ، وقرينة حماره أنه لبث مائة عام لأنه رأى عظامه تلوح مفرقة ثم أحياه الله وهو ينظر ، فقال تعالى : ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

وقال رضى الله تعالى عنه : قال تعالى فى قصة عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ الآية ، فقال « بإذنى » لأن كل نبىّ وكل ولىّ لا يفعل شيئا إلا بإذن الله تعالى ، لأنه لا يتصوّر أن نبيا أو وليا كاملا يفعل شيئا من ذات نفسه وإن أقدره الله عليه ،

لأنه إن فعل شيئا بغير إذن بقى لهواه فيه مدخل ، وربما لا تقبل العبادة إذا كان فيها شائبة هوى فى الغالب ، ولا تكون العبادة إلا عكس الهوى النفسانى ، لكن قد تتفق نادرا .

وقال رضى الله تعالى عنه : يستفيد التلميذ من شيخه بقدر تصديقه له ومحبته له وبره ، قال الشاعر :

أقدَم أستاذى على برّ والدى ... وإن كان لى من والدى البرّ واللطف

فهذا مربىّ الروح والروح جوهر ... وهذا مربّى الجسم وهو لها صدف

لأن التصديق كالإناء فإن كان الإناء متسعا أخذ بقدره ، وإن كان ضيقا أخذ بقدره كذلك التصديق والمحبة يأخذ التلميذ بقدر كبرهما وصغرهما ففى الحديث أن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قال « بينا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها فقالت : إنا لم نخلق لهذا إنما خلقنا للحرث ، فقال الناس : سبحان الله بقرة تتكلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فإنى أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وهما غائبان » وإنما أخبر عنهما صلى الله عليه وآله وسلم لعلمه بمبلغ تصديقهما إلى النهاية ، وهذا ثمرة قوّة التصديق . فإذا عرفت فاعلم أن لا محال على الله بشىء ، وللقوم حالات مختلفة وطريقة كل واحد منهم غير طريقة الآخر ، وطرقهم إلى الله بعدد أنفاس الخلق ، فإياك أن تشكّ فيما صدر منهم ، بل اغتنم تغنم أو سلم تسلم ، أتراهم يتورّعون ويزهدون عن الدنيا التى فتنت أهلها ، فمنهم من يتنحى عن الملك ويغترب عن أهله ووطنه ، ومنهم من يطلق دمعه ويطلق لذّة وسنه ، ومنهم من يسيح فى الأرض غربا وشرقا ويقنع من العيش بما به تقوم روحه عن



التلاف توقا ثم يكذبون على الله ، كلا والله لا يقول ذلك من يؤمن بالله ، بل والله لقد شمروا للسباق فى حلبة المعالى فأحرزوا قصباته ، فكم جلىّ منهم مصلّ وقطع أعناق العلائق بصوارم عزماته ، وكم ماجد رضع طفل فؤاده من ثدى الحقيقة ألبان الأسرار ، وكشفت له عن وجوه المعارف براقع الأستار « هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » ليس سوى الله تعالى فى جميع الحالات أنيسهم ؛ ثم ذكر رضى الله عنه قصصا تكشف عن اختلاف أحوالهم ، فمن جملتها أن واحدا منهم كان يلبس الملابس الفائقة من الثياب ، فقال له بعض الناس : يا سيدى ما هذه الثياب التى تلبس ، أنت أحقّ بأن تزهد فيها ، فقال : خذ هذا الثوب ثم بعه وائتنى بثمنه ، فأخرجه إلى السوق فاشتراه منه رجل، ثم لما اشتراه قال : ما أحقّ هذا الثوب بسيدى فلان ، يعنى ذلك الولىّ صاحب الثوب ، فسعى به إليه وأهداه له فلبسه ، ثم لمّا وصل ذلك الرجل الذى باع الثوب رأى ذلك الثوب الذى باعه على ذلك الولىّ فبقى ينظر إلى الثوب نظرة وإلى ثمنه الذى فى يده أخرى ، فقال له : أبعت الثوب ؟ قال نعم ياسيدى إنما أنا أنظره هذا الذى عليك ، قال نعم إذاً تعرف أنى لم ألبس غير ما ألبسنى الله تعالى ؛ ثم آخر كان لا يمشى إلا راكبا على الخيل فجاءه يوما رجل وقال له : يا سيدى أريد أن أمشى أنا وأنت لزيارة الإمام الشافعى وهما حينئذ بمصر ، قال باسم الله نمشى ، فقال له : لكن أريد أن نمشى مترجلين على هيئة التواضع ، لأىّ شيء لاتمشى فى كل حالة إلا على ظهور الخيل ؟ فقال كذلك ، ثم مشيا فلما شرعا فى السير رآه رجل راكب على فرس فترجل ثم قال له : يا سيدى تمشى راجلا والله لا كان ذلك أبدا وتطلق زوجتى ثلاثا إن لم تركب على فرسى ، فالتفت إلى ذلك الرجل

ثم قال له : عرفت أني لم أكن أركب لهوى نفساني ، وإنما ذلك من الله سبحانه وتعالى ثم ركبا ، فمن كان منهم بهذه الصفة لم يكن ملتفتا إلى النعم بل وجودها عنده وعدمها على حدّ سواء ، بل هو مشغول عنها بالمنعم ، وإذا أعطى شيئا نزرا قبله وشكره وهو عنده كالكثير الوافر ، وعنده أن المعطى هو الله سبحانه وتعالى فيعظم العطية لأجل معطيها . وعلى الجملة فأحوال القوم لا تحصى ولا تعدّ .. اللهمّ اجعلنا يا أرحم الراحمين من أوليائك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، واجعلنا من حزبك فإن حزبك هم الغالبون آمين .. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ..

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن الحديث ، وهو قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إذا انتصف شعبان فلا تصوموا » .

فأجاب : أن ذلك النهى من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لئلا يصل الناس الواجب الذى هو شهر رمضان بالتطوّع فيجب عليهم ، إذ فى حياته صلى الله عليه وآله وسلم لم يزل الوحى ينزل ، فذلك مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم لما لم يخرج فى الليلة الثالثة بعد أن خرج ليلتين فى رمضان فاقتدى الناس بصلاته « خشيت أن تفترض عليكم » ، ومن بعد موته صلى الله عليه وآله وسلم سنّ عمر رضى الله عنه صلاة التراويح لأنه قد زالت العلة بموت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكذلك الصوم بعد النصف من شعبان ، ويدلّ على أن هذه هى علة النهى ، نهيه صلى الله عليه وآله وسلم عن صوم يوم الشكّ إلا لمن يسرد صومه : أى إما أن يكون صائم الدهر أو يصوم يوما ويفطر يوما فيصادف يوم الشكّ يوم الصوم ، أو بأن يكون ساردا صومه من أوّل شهررجب ، وللنهى علة أخرى وهى أنه نهى صلى الله



عليه وآله وسلم عن صوم بعد النصف من شعبان خشية أن تسلك أمته ما سلك النصارى ، فإنه افترض عليهم الصيام شهرا ، قال الله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ فمرض ملكهم فنذر إذا شفاه الله أن يزيد على الشهر الذى افترض عليهم صومه عشرة أيام فكانت أربعين يوما ، ثم مرض ملك ثان فنذر زيادة ثمانية أيام فصارت ثمانية وأربعين ، ثم زادوها اثنين فصار صيامهم خمسين يوما وجعلوه فى أيام معتدلة لا فى أيام الحرّ ولا فى أيام البرد فأوجبوا على نفوسهم من عندهم لا بأمر من الله ولا من رسوله فصار الأمر الآن فى هذا السؤال أن لا بأس بالصوم بعد النصف من شعبان ، إذ قد انتفت هاتان العلتان إلا يوم الشكّ إلا أن يكون ساردا ، ومن العلماء من تحرّى فمنع صوم اليوم السادس عشر ، منهم محيى الدين بن العربى وهو صواب لئلا يصير الحديث منسوخا محضا .

وسئل رضى الله تعالى عنه : كيف يعمل من لحق الإمام فى الركعتين الأخيرتين من الصلوات الجهرية وكان اللاحق اثنين هل يقتدى أحدهما بالآخر حين يقومان لتمام صلاتهما أولا ؟ وهل يقرأ اللاحق فى هاتين الركعتين جهرا لكونه لم يسمع جهر الإمام أو يسرّ؟ ..

فأجاب : أن لا فائدة فى اقتداء أحدهما بالآخر لأن اللاحق قد أدرك فضل الجماعة ولو لحق فى ركوع الركعة الأخيرة ، وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « صلاة الرجل مع الرجل خير من صلاته وحده » لا يكون دليلا لاقتداء أحدهما بالآخر لأنه قد صلى كل واحد منهما مع جماعة . وأما

الجهر فيجهر فى هاتين الركعتين اللتين يأتى بهما بعد تسليم الإمام لأن الركعتين اللتين فاتتا عليه جهريتان لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: « وما فاتكم فاقضوا » وحقيقة القضاء أن يؤدّى الذى فات بجميع صفاته. وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث آخر: « وما فاتكم فأتموا » فالمراد به أتموا عددها لأنها لم تكمل أربعا ، وأما إذا لحق المؤتمّ الإمام فى آخر ركعة من الجهرية فإنه يقوم بعد تسليم الإمام فيأتى بركعة يجهر فيها وهى ثانية له ثم يجلس للتشهد الأوسط ثم يقوم ويجهر فى الثالثة ليستكمل ما فاته من الجهر.

وقال رضى الله تعالى عنه : قال الله تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ .. الحسنى : هى الجنة ، قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ أى بالجنة فعمل لها عمل تصديق بها ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ وقوله تعالى ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ الزيادة : هى تجلى الحقّ تعالى كيف يشاء ، وتقديم الحسنى على الزيادة لكونها محلا لها . وأما تفسيرها عند أهل الباطن فالمراد بالحسنى أسماء الله الحسنى ، وقوله وزيادة : أى زيادة عليها لأن أسماء الله لا تحصى غير الأسماء الحسنى، وهذا التفسير على لغتهم التى هى نتيجة قصدهم لأنهم لم يقصدوا بعبادتهم سوى الله تعالى فيكون جزاؤهم على حسب مرادهم جزاء وفاقا ، فهو تعالى يتجلى لهم بالأسماء الحسنى لأن لكل اسم تجليا غير تجلى الاسم الآخر ويتجلى لهم أيضا بأسماء غير الأسماء الحسنى وهى الزيادة .

وقال رضى الله تعالى عنه : جميع أفعال بنى آدم هى أفعال الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ لأنه سبحانه خلق آدم وأهله وأقدره

على جميع ما يفعله وهو خالق لفعله وصناعته ، قال تعالى : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ ألا ترى إلى من أسقمه المرض حتى بلغ به إلى حالة لا يمكنه معها القيام ولا تحريك يد ولا رجل ، فالله سبحانه أذهب منه القوى بسبب ذلك المرض فلا يمكنه فعل شيء، وإذا أراد سبحانه أن يقدره أزال عنه ذلك المرض فتراه يفعل جميع أفعاله فالفاعل هو الله تعالى ، وجميع بني آدم كلمة الله ، فليس ذلك مختصا بعيسى وآدم عليهما الصلاة والسلام لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ وقوله في آية أخرى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ بل كل بني آدم كذلك وكل شيء كلمة الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ فإذا عرفت هذا عرفت أن كل أعمال الإنسان وغيره الخالق لها هو الله تعالى إذ هو أقدر كل شيء وأهله لما خلق له ، ولكن الوقوف عند القدر والإمساك عنه واجب ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا ذكر القدر فأمسكوا ، وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا ، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا » ولا يمكن التعبير بحقيقة القدر فهو ثابت منفي في حالة واحدة ، لأنك إذا نفيته نسبت إلى الله تعالى العجز ، وإذا أثبته نسبت إليه الظلم فما بقي إلا الإمساك ، ومن اتقى الله كان حقا عليه أن يعلمه حقيقته ، قال تعالى ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ والقدر من العلم الذي لا يمكن أن يعلم إلا من لدنه تبارك وتعالى ، فالإيمان به على الجملة ثم الاحتجاج به باطل.

وسئل رضي الله تعالى عنه : عن قوله تعالى ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ

يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ .

فأجاب : إن لها تفسيرين : أحدهما أن اليقين هو الموت وهو الظاهر فتكون حتى للغاية . الثانى أن اليقين هو أن يرى الشيء عيانا ، ألا ترى أن الواصف إذا وصف لك شيئا وأنت معتقد اعتقادا صحيحا لا يختلجك شكّ ولا ريب عندك أنه صادق فيما وصف لكنك لم تر ذلك الموصوف فأنت لا تزال تتخيل هذا الموصوف وتتصوّره ، ومعلوم قطعا أن تخيلك وتصورّك لهذا الشيء الذى لم تره لا يطابق حقيقته كمن يصف لك مكة مثلا وأنت لا تعرفها وتصوّرها تصويرا لا يطابق ما إذا رأيتها عيانا ، فإذا رأى الإنسان حقيقة الأمر آمن به وهو يشاهده ، وإذا آمن بما وصفه الواصف من دون مشاهدة فهو مؤمن بالغيب ، والمؤمن إذا عبد الله حقّ عبادته بقدر استطاعته عرّفه الله سبحانه وتعالى ، وإذا عرفه فلا يشهد سواه حتى إنه يحول بينه وبين قلبه: أى إذا رأى قلبه بعين البصيرة وجد الله حائلا بينه وبين قلبه ، وبهذه المعرفة تنال المعارف الإلهية التى من لدنه تبارك وتعالى ، وكلما صفا صوفيّ صفا قلبه فقربت منه أشكال المعارف ، ألا ترى أن الزجاج أصله حجر كثيف ثم لما صفى وزالت عنه الكدورات قرّب الأشخاص البعيدة ، فإن الناظور يقرّب الشيء البعيد حتى إن ما زادت تصفيته يقرأ الإنسان به مكتوبا من مسافة بريد ، كذلك المنظرة تقرّب الشمس من مسيرة أربعة آلاف عام حتى تحرق ماوقعت عليه ، وهذا أعظم من آصف بن برخيا فإنه أتى بعرش بلقيس من مسافة ثلاثة أشهر قبل أن يرتدّ الطرف وهذه أتت بالشمس من مسافة أربعة آلاف سنة قبل ارتداد الطرف ، فإنك إذا ركبتها على شيء أحرقته بمجرّد وقوعها عليه ؛ فالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هو عين

الوجود وواسطة عقده أخذ من أنوار الحقّ تعالى بقدر صفوه ، فالآخذ من الله تعالى بواسطته صلى الله عليه وآله وسلم ، ولله المثل الأعلى ولرسوله فى القوى كآخذ الضوء من الشمس بواسطة الزجاجة ، وهذا تشريف لهذه الأمة وأىّ تشريف لأنهم الآخذون بواسطته ، والآخذ من الله تعالى من غير واسطته صلى الله عليه وآله وسلم كآخذ الشىء من الشمس من دون واسطة الزجاجة ، وذلك لأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو النور الذى قبضه الله من قبضة نوره ، قال تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ فالنور هو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ لو كان النور هو الكتاب لكان لفظا متكرّرا، والحقّ تعالى هو سمعه وبصره وقلبه إلى آخره ، فكله صلى الله عليه وآله وسلم نور مع أنه متحيز فى بشريته وفى عبوديته والحقّ تعالى مطلق فى كبريائه وفى ملكوته وهو الله فى السموات وفى الأرض فى حال كونه على العرش استوى فى حال كونه قلب عبده المؤمن وبصره وسمعه سبحانه ، فلرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجهتان : وجهة إلى الحقّ تعالى وهو المقام الذى قال تعالى فيه : ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ فأعاد الضمير بصيغة الإفراد ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ فأعاد الضمير بصيغة الإفراد، وقال صلى الله عليه وآله وسلم فى هذا المعنى : « من رآنى فقد رأى الحقّ تعالى » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « إن لى وقتا لا يسعنى فيه إلا ربى » ولذا قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ فالحجاب المستور هو كونهم ما رأوا فيه إلا البشرية والعبودية إذ لو صدّقوه

لرأوا ما رأى الذين قال تعالى فى حقهم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ فهو صلى الله عليه وآله وسلم أقرب الكون إلى الله بل فوق العرش الحجب سبعون حجابا ما بين كل حجاب وحجاب مسافة سبعين ألف سنة ، وغلظ كل حجاب سبعون ألف سنة ، وفوق ذلك فضاء لا يعلم قدر مسافته إلا الله سبحانه وتعالى وهو الذى يقال له عالم الرقا وهو مظاهر أسماء الله وهو فوق العرش والكرسى ، ووراء هذا كله نور سيد الكونين والثقلين ، الرسول الخاتم خاتم الأنبياء والمرسلين سيد ولد آدم أجمعين ، ولذا قال صلى الله عليه وآله وسلم حين سأله الأعرابى « أين كان الله تعالى قبل أن يخلق الخلق؟ قال: كان فى عماء » بالمد والقصر ، فازداد السائل حيرة لأنه إن كان بالمدّ وهو السحاب الرقيق فيكون معناه يوم ﴿ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ﴾ وإن كان بالقصر فهو الغشاوة على القلب أو على العين، فاستفاد السائل هذا العلم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبه ازداد حيرة ، فالعلم بالله تعالى كلما زاد زاد صاحبه حيرة ، وفى هذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما لأصحابه « لو عرفتم الله حقّ معرفته لمشيتم على البحار ولزالت بدعائكم الجبال ، ولو خفتم الله عزّ وجلّ حقّ مخافته لعلمتم العلم الذى ليس معه جهل ، ولكن ما بلغ ذلك أحد ، قالوا : ولا أنت يارسول الله ؟ قال : ولا أنا ، قالوا : ما كنا نظنّ أن الأنبياء تقصر عن ذلك ، قال : الله أعظم من أن ينال أحد أمره كله ووراء ذلك مالا يعلمه إلا الله » .. ومع هذا فهو صلى الله عليه وآله وسلم فى حيرة ولذا قال « ربّ زدنى فيك تحيرا » وهو أيضا مع كونه فى مقام الأمن والقرب أخوف الخلق من الله تعالى ، وفى مقام الخوف قال صلى الله عليه وآله وسلم « ليت ربّ محمد لم يخلق محمدا » يعنى أنه

يتمنى أنه لو لم يقبض الحقّ تعالى قبضة من نوره لتحيز البشرية بل كانت مطلقة في أصلها . قال أبو بكرالصديق رضى الله تعالى عنه : ليت أبا بكر كان شجرة فعضدها جمل في فيه فكان بعرا ولم يكن بشرا ، فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف . وله صلى الله عليه وآله وسلم وجهة إلى الخلق ، قال تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ .. ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ فقال لتؤمنوا وجعله المرسل والمرسل إليه ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم « لا تدخل الشوكة في رجل أحدكم إلا وجدت ألمها » فهو صلى الله عليه وآله وسلم حقيقة الكون ، كما أن الشجرة لها ورق وغصون وفروع وعروق وجذوع وزهر وثمر وحقيقة الكل شجر ، فجميع دعائه صلى الله عليه وآله وسلم بصيغة الإفراد المراد به أمته ، فدعاؤه لنفسه عين دعائه لأمته، فمن صفا قلبه من أمته صلى الله عليه وآله وسلم وتوجه به إلى الله بواسطة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تفجر من قلبه ينابيع الحكمة ، وأخذ قلبه أنوار العلم الإلهي فقوى بقوّة قابليه الواسطة صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن كان كذلك فهو الوارث الذى قال فيه صلى الله عليه وآله وسلم « العلماء ورثة الأنبياء » ومن لفظ الصفاء أخذ الشاعر تسمية الصوفى صوفيا فقال :

لا تحسبنّ لباس الصوف لابسه … يدعى به بين أرباب العلى صوفى

تنازع الناس فى الصوفيّ واختلفوا … وكلهم قال قولا غير معروف

ولست أمنح هذا الاسم غير فتى … صفا فصوفى حتى سمى الصوفى

وقال رضى الله عنه : قال الله تعالى لرسول صلى الله عليه وآله

وسلم : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام عن معنى ذلك ، فقال جبريل حتى أسأل ربى فقال تعالى : أن تعفو عمن ظلمك ، وتصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتحسن إلى من أساء إليك » . وأما قوله تعالى ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ فليس المراد إعراض غضب ، بل معناه لا نؤاخذهم بجهلهم لأن الإنسان ربما حفر حفرة وفى علم الله أنه لا يقع فيها إلا ذلك الحافر لها لكنه جاهل لذلك ولو علم لما حفرها ، فهذه حالة الجاهل فأذيتهم لك هى عين أذيتهم لأنفسهم لكنهم جهلوا ولو عرفوا لما آذوك فأعرض عن جهلهم هذا وتخلق بأخلاقنا ، فإنا نعرض عمن جهل علينا فعسى أن يتوب منه : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ فائتمر صلى الله عليه وآله وسلم لأمر ربه وأعرض عن جهلهم حتى إنه طلب منهم أن يقتصوا منه حقوقهم إن كان لهم عليه حقوق ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : «أيها الناس لعله أن يكون قد دنا (١) منى حقوق وأنا بين أظهركم، فمن كان له على محمد حقّ من مال أو شعرأو بشر فهذا مال محمد وشعره وبشره ، ولا يقولن أحدكم إنى أتخوّف العداوة والبغضاء من محمد فإنهما ليستا من خلقى ولا من طبيعتى ، وإن أولاكم بى رجل كان له علىّ شىء من ذلك فأخذه أو يحللنى فألقى ربى وأنا محلّل لى » ثم قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ أتبع تعالى هذه الآية التى قبلها، وذلك لأن للشيطان مجالا عند هذه الخلال. والاستعاذة من الشيطان هى

---

(١) قوله قد دنا .. الخ ، هكذا فى الأصل وحرر لفظ الحديث اهـ مصححه

التلفظ بلفظ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ومعنى قول النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم « وأعوذ بك منك » أن الله هو الآخذ بناصية إبليس باسمه المضلّ ، قال تعالى: ﴿ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾ فلا سلطان له على عباد الله.

وقال رضى الله تعالى عنه : الصراط المستقيم الذى هو أحدّ من السيف وأدقّ من الشعر هو فى الدنيا قبل الآخرة ، وفى الآخرة مروره على قدر الاستقامة عليه فى الدنيا ، وهو فى الدنيا فى جميع الأمور وهى لا تحصى . فمن ذلك أن تؤمن بالقدر خيره وشرّه ولا تحتجّ به ، ومن ذلك أن تعتقد أن الله سبحانه وتعالى قلب عبده المؤمن وسمعه وبصره فى حال كونه على العرش استوى فى حال كونه فى السموات ، وفى الأرض فى حال كونه : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ ﴾ من حيوان وإنسان ونام وجماد وجامد ومائع ومعيته مع كل شىء من ذلك غير المعية التى مع الآخر وهو ناظر إلى كل فرد من أفراد الكون نظرة غير نظرة الآخر وناظر فى كل شعرة غير نظرة الأخرى ومصاحب لها من غير أن يشتمل عليه تعالى زمان ولا مكان ، فهو كما كان وكما يكون دائما أبديا سرمديا باطنا فى حال ظهوره . ومن جملة أدعية الصوفية : كيف أعرفك وأنت الباطن الذى لا تعرف وكيف لا أعرفك وأنت الظاهر الذى فى كل شىء تتعرّف ، وهو تبارك وتعالى أوّل فى حال كونه آخرا سبحانه وتعالى ؛ ومن ذلك أن تباشر الأسباب ولا تقف معها كأن تمتثل قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾ وقوله تعالى ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾ ولكن لا تقف معها فمن اشتغل بها عن الله تعالى فقد خسر ، كما أنه

تعالى أمر بالتزويج ليكون بسببه النسل وبالتكسب ثم قال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ وهو معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم « اعقلها وتوكل » ألا ترى أنه صلى الله عليه وآله وسلم لما وصل بالبراق إلى بيت المقدس ربطها في الحلقة التي كانت الأنبياء تربط فيها ، مع أن البراق مأمور فأين يهرب وأين يذهب؟ ومن ذلك أنه تعالى أمر بالأسباب التي توصل إلى الجنة والتي تقرّب عبده منه ، ثم أمرنا أن لا نقف معها ، فقال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾ فإذا ركنت إلى عملك فقد اتخذت من دون الله أولياء، قال الله تعالى: ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ أي تقرّب بالعبادة التي هي السبب ولا تركن إليها بل توكل عليه سبحانه وتعالى ، فإذا أراد الله بعبده خيرا سلك به الصراط المستقيم فلا يميل عنه ولا يحيف بل كلما عثر أو كاد قادته يد التوفيق ، وعلى قدر هذا السلوك يكون المرور على الصراط يوم القيامة الذي هو ألف سنة صعودا ومثلها هبوطا ومثلها استواء أيضا ، فمنهم كطرفة العين ، ومنهم كالبرق الخاطف ومنهم كالريح القاصف ، ومنهم من دون ذلك ، ومنهم من على قدمه وحبوا ...

اللهمّ ثبت أقدامنا على الصراط يوم تزلّ الأقدام يا أرحم الراحيمن.

وقال رضى الله تعالى عنه : معنى نية المؤمن أبلغ من عمله أنه قد يحجّ الإنسان وهو في بيته من دون سفر ولا تعب ، وذلك كأن تمنعه عن الحجّ موانع الشرع ونيته منطوية عليه ، ولولا أنه عاقته عوائق قدمها الشرع على الحجّ لأتى مكة ولو حبوا ، ومن ذلك أن أهل الجنة يخلدون في الجنة أبدا مع

أنه لم يعمل كل واحد إلا مدة عمره ، وكذلك من خلد فى النار فهو ما عمل عمل أهل النار إلا مدّة عمره ، والله سبحانه وتعالى عدل لا يظلم أحدا ، لأن نية المؤمن أنه لو عمر فى الدنيا أبدا مؤبدا لبقى على حالته التى هو فيها يعبد الله فيها ولا يشرك به شيئا ويؤمن بالله ورسوله فأبدته وخلدته نيته ، وكذلك الكافر فإن نيته لو عمر أبدا لبقى كافرا ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ فخلدته نيته فى النار ، نسأل الله العافية والسلامة ..

وقال رضى الله تعالى عنه : قال تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ زعم المفسرون أنهم ناس استوت حسناتهم وسيئاتهم يبقون بين الجنة والنار ، وهذا غلط لأنه لا دليل لهم فى أن فى الآخرة دارا ثالثة ، بل أصحاب الأعراف رجال من أولياء الله أودع الله فيهم هذا السرّ وهو كونهم يعرفون كلا بسيماهم ، ولذا أتى بالنكرة التى تقتضى التعظيم بقوله : ﴿ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴾ أى أىّ رجال مثل قوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ ﴾ ومثل قوله تعالى : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ فقولهم أناس استوت حسناتهم وسيئاتهم لم يفسره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بذلك حتى أنا نعتمده كما فسر المغضوب عليهم باليهود والضالين بالنصارى فيجب الوقوف على كلامه صلى الله عليه وآله وسلم وإن كان لفظ المغضوب عليهم يتناول كل من غضب الله عليه كقاتل العمد ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ ﴾ وكذلك الضالين . وأما أصحاب الأعراف فلم

يفسرهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بذلك التفسير الذى فسروه ، فمن أين أخذوه مع أنه قد انقطع الوحى بموته صلى الله عليه وآله وسلم فما بقى إلا أنهم فسروه من جهة عقولهم ورأيهم ، وليس للعقل والرأى فى الشرع مجال والمعنى الظاهر من اللفظ فى قـوله : ﴿ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ ﴾ أن هذا السرّ وهو المعرفة بالسيما فى ذلك اليوم الذى يقول فيه كل الناس حتى الأنبياء نفسى نفسى لا يودعه الله إلا فى رجال اصطفاهم لذلك الخطاب فى يوم تطيش فيه الألباب ، فقال تعالى حاكيا عنهم : ﴿ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ ثم قال : ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا ﴾ أى أصحاب الجنة ﴿ وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ فى دخولها ، ﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ فهؤلاء أصحاب الأعراف ، هم كبار الأولياء لأنهم حكموا بحكم الله فى ذلك اليوم الذى قال فيه تعالى : ﴿ لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ فهل يتكلم فى تلك الحالة غير من كان من أهل الله ؟ لا ينطق بحكمه قبل وقوعه ويعرفون كلا بسيماهم ، ياهل ترى أن يتكلم أحد فى ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴾ فكل مشتغل بنفسه ، بلى والله فلا يتكلم هناك إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا .

وقال رضى الله تعالى عنه « قال موسى عليه الصلاة والسلام : ياربّ خصنى بشىء أقدسك به دون غيرى ، فقال : قل لا إله إلا الله ، فقال : ياربّ علمنى شيئا أذكرك به وأدعوك به ، فقال : قل لا إله إلا الله ، فقال : ياربّ كل عبادك يقولها إنما أريد شيئا تخصنى به ، فقال: قل لا إله إلا الله ،



فقال : يارب أما هذه فكل أحد يقولها ، فقال تعالى : لو أن السموات السبع وعامرهنّ غيرى » ـ وقوله وعامرهنّ غيرى بالغ في الكلام ، لأنه بالنسبة إلى أن الله هو الذى عمرها فليست ثقيلة ولا فى عمارتها كلفة ، بل هى بكلمة كن ، ولفظة كن لا تعدل لا إله إلا الله ، فانظر إلى هذه البلاغة ، ثم لم يقل فى الأرضين وعامرهنّ غيرى لأنه كذلك فى السموات وإنما الأرضون أهون وأدون ـ « والأرضين السبع فى كفة ولا إله إلا الله فى كفة لرجحت بهما لا إله إلا الله » ومعنى هذا قصه الله تعالى فى القرآن لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ * قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ فعجل إلى الله سبحانه وتعالى شوقا إليه وخلف قومه وراءه طمعا أن ينال منه تعالى شيئا يختصّ به ، فأدّبه الله تعالى بأن فتن قومه بعده وأضلهم السامرىّ ، ثم لم يخصه بشىء دون غيره بل قال له : قل لا إله إلا الله ، فأمر أن يقول هذه الكلمة التى عمّ بها الأقصى والأدنى من المسلمين ، وذلك ليعلم أن فضل الله لا ينحصر فى أحد ولا يختصّ به أحد، بل فضله شامل وعطاؤه سبحانه عام وخزائنه لا تفنى ، ولو كان جميع ما خلق الله تعالى من جنّ وإنس وغيرهما فى درجة موسى لم ينقص من سعة فضل الله أحد منهم ، وأدّب الله تعالى بهذه القصة رسوله الأعظم ونبيه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ولذا قال لأبى ذرّ « إنى أراك ضعيفا وإنى أتمنى أن تكون مثلى » أى من جميع الوجوه، وذلك لعلمه صلى الله عليه وآله وسلم بسعة فضل الله ورحمته ، وهو يتمنى ذلك صلى الله عليه وآله وسلم لكل فرد من أمته ، وأمره الله تعالى أن يصبر نفسه مع أمته فقال : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ

وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ فهو يسوق أمته صلى الله عليه وآله وسلم ويجعلهم أمامه وظهره للملائكة ، وذلك أن قوّة النبوّة لا يلحق بها غيرها ، فلو لم يسقهم لتخلفوا وراءه وفتنوا ، صلى الله عليه وآله وسلم

.**وسئل رضى الله تعالى عنه :** هل يستفاد قبول شورى المرأة من قبول شعيب صلى الله عليه وآله وسلم شورى بنته لما قالت له ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ﴾ فقبل ذلك بقوله : ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ﴾ **فقال :** لا يستفاد ذلك بل يشاورن ويخالفن ، وأما مقام الأنبياء فهو معصوم فيسرى سرّه على من ليس فى مقامه ، فتستفاد الشورى عن المرأة وغيرها ببركته هو ، فإن الله سبحانه وتعالى أمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يشاور أصحابه فقال : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ مع أنه صلى الله عليه وآله وسلم أعقل العقلاء وأكمل الكملاء وأعرف بعواقب الأمور وقطب الكون الذى عليه رحاه يدور ، لكنهم بسبب صحبتهم له صلى الله عليه وآله وسلم تدفق عليهم أنوار أسراره فلا ينطقون إلا بالصواب ولا يتكلمون إلا بفصل الخطاب فلا يقاس على مقام الأنبياء ووقتهم ولا يضاهى ، بل مقامهم معصوم يختصّ بما لا يطلق على العموم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وقال رضى الله تعالى عنه : إذا أراد الله سبحانه بعبده خيرا رضاه بما هو فيه حتى يعتقد أن حصول ماهو فيه خير من عدم حصوله ؛ فإن أهل سبأ كانت لهم الجنتان اللتان وصفهما الله فى القرآن بقوله ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ وتانك الجنتان مسافة أشهر أو أكثر فانهما من قرب صنعاء

اليمن إلى قرب الشام ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً ﴾ ووصفها تبارك وتعالى بأنها طيبة فإنها من طيب هوائها لا يعيش فيها البقّ ولا البرغوث ولا القمل ولا العقرب ولا البعوض ثم تضع المرأة المكتل على رأسها فتمضى بين الجنتين بقدر سويعة وأقلّ فلا تقطعها إلا وقد امتلأ المكتل مما تساقط من الثمار من جميع الفواكه مع أن الله سبحانه وتعالى قدّر السير فيما بين القرية إلى القرية بحيث يمكن المسافر أن يتغدّى فى قرية ويتعشى فى أخرى ويبيت فى ثالثة ، فلم يرضوا بهذه الحالة بل بعضهم قالوا : لو طالت المسافة بين القرى : ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ بصيغة الأمر ، وبعضهم قالوا ، لو قربت المسافة بين القرى فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا بصيغة الماضى على جهة الإخبار ، فلما لم يرضوا بما هم فيه قال تعالى فى حقهم : ﴿ وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ وبدلهم تعالى : ﴿ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ ﴾ وهذان النوعان ليس فيهما منفعة سوى الحطب ، ثم قال : ﴿ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ أى وهذا النوع الذى فيه بعض منفعة دون غيره من الفواكه فإنها أقلها منفعة فلله تعالى الحمد فقال : ﴿ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ فكفران النعمة هو عدم الرضا بها وإن كانت فى الظاهر ليست نعمة للعبد لو يعرف قدرها لاختار وجودها عند وجودها على عدمها .. اللهمّ رضنا بقضائك ، وبارك لنا فيما قدّرت لنا حتى لا نحبّ تأخير ما عجلت ولا تعجيل ما أخرت ، ونسألك العافية من كل بلية ونسألك تمام العافية ، ونسألك الشكر على العافية ، ونسألك الغنى عن الناس، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلىّ العظيم .

وقال رضى الله عنه : المشايخ يمتحنون تلاميذهم بأمرهم بفعل شيء مما يخالف عاداتهم ليعرف الصادق من غيره ، ولهم فى ذلك حكايات عجيبة ليست هذه الكراريس موضع ذكرها ومعهم على ذلك دليل من كتاب الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ﴾ والمؤمنات يشمل الذكور والإناث فالمؤمنات صفة للنفوس : أى النفوس المؤمنات ، وقد أطلق سبحانه وتعالى لفظ النفس على الأشخاص فقال تعالى : ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾ إلى آخر الآيات ، ثم قال ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ فعلى قراءة الكسر يعود الضمير إلى النفس ، وعلى قراءة الفتح يعود إلى الأشخاص المؤمنات بدليل أن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لما نزلت عليه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ ﴾ إلى قوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ كان يبايع الذكور والإناث بهذه الصيغة على هذه الشروط فيقول للذكور : بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصونى فى معروف ، فدلّ على أن المراد بالمؤمنات النفوس .

وسئل رضى الله تعالى عنه : هل لمن أراد أن يأخذ شيخا أن يطلب منه كرامة ليطمئنّ بها قلبه لأنه ربما يكون ذلك الشيخ متطفلا وليس بأهل للمشيخة ؟ ثم إذا طلبها هل للشيخ أن يظهر له كرامة أم لا ؟.

فأجاب: بأنه لا ينبغى لمن أراد الأخذ أن يطلب من الشيخ ذلك ،



ولا ينبغى للشيخ أن يظهر له ذلك لأنه إن كانت له عناية وجذب من الله تعالى فهو يرى جميع حركات الشيخ وسكناته كرامات إذا كان صادقا وإن لم يكن له عناية فربما يتأوّل التلميذ الكرامة الظاهرة كما حكى الله سبحانه عن الكفار بقوله : ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ ﴾ الآية ، ثم إذا ظهرت له الكرامة ولم يتلقها بالقبول الصادق فذلك الخطر العظيم لأن بنى إسرائيل لما سألوا عيسى أن يسأل ربهم أن ينزل عليهم مائدة من السماء قال الله تعالى : ﴿ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ فلو لم يسألوا ذلك لكان عذابهم كعذاب غيرهم إذا كفروا .

فتأمل ما أخطر الإنكار بعد ظهور الحجة . ثم ضرب رضى الله تعالى عنه مثلا فقال : إذا أراد الإنسان أن يضع شيئا من زيت أو سمن فى إناء ليحفظه له هل يحفظه التراب إذا صبه عليه ؟ لا ، بل إذا أراد الإنسان أن يصنع من التراب إناء فلا بدّ أولا أن يعجنه بالماء ثم يخدمه حتى يمتزج بالماء ثم يهيىء صورة الإناء ثم ييبس فى الشمس وقتا من الزمان ثم توقد النار فيدخل فيها حتى ينضج نضجا كاملا ثم يخرج منها فيختبر فإن لم يحفظ الماء أوّلا أعيد فى النار ثم يخرج ويطلى بطلاء ثم يعاد فى النار ، فبعد ذلك لا يخون فتضع فيه ما شئت من زيت أو سمن أو غير ذلك فإنه يحفظه ، كذلك الأسرار لا توضع فى صدور الرجال إلا بعد تعب ورياضة وخدمة من الشيخ بالتعليم والاختبار والامتحان للرجل الذى يريد وضع الأسرار فيه ، فإن علم أنه قد صار حافظا لا يخون وضعها فيه وإلا أمسك ،

وهذا التدبير هو الذى أجرى عليه الله الكون فانه تعالى كان قادرا أن يعطينا الخبز على صورة لا يحتاج معها إلى شىء من الخدم لكنه أوّلا ألهمنا وأمرنا أن ندفن الحبّ فى التراب ثم نسقيه بالماء حتى تمتد عروقه فى الأرض فينبت ثم يسنبل ثم يحصد ثم يداس ثم يطحن ، ثم يعجن بماء ثم ينضج فى النار ثم يؤكل وهذه قاعدة كلية فى كل شىء أنه لا يحصل للإنسان شىء إلا بعد أن يدب فيه بجدّ وجهد حتى يحصله بعد زمان وإمعان، فقال له السائل فبم نعرف صدق الشيخ من عدم صدقه ؟ فقال بالصدق ، فإذا عاملت الله سبحانه وتعالى بالصدق واستخرته فحقّ عليه إذا عرف صدقك أن لا يدلك إلا على الصدق : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

وقال رضى الله تعالى عنه : إسرائيل نبىّ الله صلى الله عليه وآله وسلم لما حرّم على نفسه لحم الإبل حرّمها الله على أولاده ، ثم زاد على ذلك بأن حرّم عليهم كل ذى ظفر تبعا لكونه حرّم على نفسه ما أحلّ الله ، قال تعالى ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ ﴾ ونبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يقرّه الله على ما فعل من تحريم نسائه بل غالبه فيها وذلك عناية به صلى الله عليه وآله وسلم ورحمة من الله لأمته ، لأنه لو أقرّه لكان مشروعا لأمته ، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم أبو المؤمنين وما فعلته الآباء يثبت فى الأبناء من خير وشرّ ، قال تعالى فى قصة الخضر مع موسى : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ « وكان أبواه مؤمنين » .

وقال رضى الله تعالى عنه : قال تعالى : ﴿ وَالَّذِين آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ وقال تعالى فى عكس ذلك ﴿ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ وذلك أن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم حقيقة المؤمنين ، قال صلى الله عليه وآله وسلم « لاتدخل الشوكة فى رجل أحدكم إلا وجدت ألمها » وقال الله تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ والواو هنا تفسيرية : أى واستغفر لذنبك الذى هو ذنب المؤمنين والمؤمنات ، وأما هو صلى الله عليه وآله وسلم فمن أين له ذنب ، وإذا فرض أن له ذنبا من حيث إنه يعدّه هو ذنبا وليس بذنب لأنه لما عرف الله تعالى حقّ معرفته نزل نفسه صلى الله عليه وآله وسلم منزلة المقصر فى حقّ من عرفه ، فقد غفر الله له ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر ، فعلم أنه صلى الله عليه وآله وسلم حقيقة المؤمنين ، فأمره الله تعالى بأن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات ليتحقق له الشفاعة ، فهو صلى الله عليه وآله وسلم يتوب عن أمته ويشفع لهم ، والرزية كل الرزية فى الذنب من المؤمن إذا أذنب وحقيقته الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ..

اللهمّ إنا نسألك العافية .. ولذا كلما ازداد الإيمان فى امرئ كان الذنب منه أعظم منه من غيره .

وسئل رضى الله تعالى عنه : كيف تكون آداب التلميذ بين يدى شيخه ؟ ..

فأجاب : إن الأدب كل الأدب من التلميذ أن يعى لما سمعه منه بأذنه وقلبه فيقتدى به قولا وفعلا وعقيدة ، وأما آداب الهيئات فيجمعها ثلاث

كلمات وهن : كن مع أهل الظاهر بالظاهر ومع أهل الباطن بالباطن ، وكن مع أهل الله كيف شئت فانهم لا يرون الأفعال كلها إلا لله ولا يشهدون سواه فلا قبيح عندهم ولا شين بل كل ما فعل الحبيب مليح .

وقال رضى الله تعالى عنه : أخوف شيء على المريد التهاون بحقوق الخلق وإن قلّ لأنه الذنب الذى لا يتركه الله تعالى وإنْ كان مثقال ذرّة فإن رجلا وقف على جزار ليأخذ منه لحما فلما وصل إلى يده أرجعه عليه ولم يأخذه ، فخاصمه بين يدى الله وقال : ياربّ أخذ منى هذا لحما فأرجعه ، فوزن مالصق بيده منه فجاء مثقال ذرّة فكان مكملا لحسناته التى بها يدخل الجنة وطرح فى ميزان الجزار على حسناته فدخل الجنة وكان متمما لسيئاته التى يدخل بها النار وطرح فى ميزانه فوق سيئاته فدخل النار ..

نسأل الله العافية والسلامة ...

ورئى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه مناما بعد أن مات بشهر ، فقيل له كيف كان قدومك ؟ فقال الآن فرغت من الحساب حتى إنى حوسبت على بقرة رأيت امرأة تحلبها وهى رابطة لضرعها ليجتمع اللبن ، فقيل لى : رأيت بقرة ﴿ تعذّب ولم تنقذها . وبعض الصالحين نحت ترابا من جدار على كتاب كتبه ولم يجفّ منه المداد لعلمه أنه لا يساوى ثمنا ولا له قيمة ، فسمع هاتفا يقول : سيعلم المتهاون بالتراب ما يلقى غدا من طول الحساب.

واشترى إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يوما تمرا بمكة ، فسقطت



تمرة إلى الأرض فأخذها ظانا أنها من الذى اشتراه ، ثم رحل إلى بيت المقدس ؛ فلما وصل وبات فيه سمع ملكا يقول لآخر : مّن ههنا ؟ فقال : إبراهيم بن أدهم ، فقال : إبراهيم بن أدهم الذى حجبت دعوته شهرا من أجل تمرة أخذها من حقّ غيره ؟ فعاد من حينه إلى مكة فسأل عن الرجل فوجده قد مات ، فدلوه على ولده فاستحلّ منه فأحله وقال له وله ورثة غيرى ، فقال امض بى إليهم ، فمضى إليهم فأحلوه جميعهم ، ثم رحل إلى بيت المقدس فبات به ، فسمع أيضا ملكا يكلم آخر : مّن ههنا ؟ فقال إبراهيم بن أدهم ، قال : الذى غفر له ذنب التمرة التى سامحه فيها ورثة الرجل الذى أخذها منه واستجيبت دعوته ، فانظر ما هذا الخطر العظيم فى حقوق الخلق

اللهم إن لنا ذنوبا فيما بيننا وبينك وذنوبا فيما بيننا وبين خلقك .. اللهمّ ماكان لك منها فاغفره ، وما كان لخلقك فاقضه عنا ، وأغننا بفضلك إنك واسع المغفرة وذو فضل عظيم .

وقال رضى الله تعالى عنه : قال الله تعالى حاكيا عن هارون عليه الصلاة والسلام لما أخذ موسى عليه الصلاة والسلام بلحيته قال ﴿ يَا بْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي﴾ مع أنه أخوه من أمه وأبيه ولكنه لم يذكر إلا الأم وذلك أنها محل الرحمة ليذكر حقّ الرحامة من جهتها فيرحمه ، لأن الله سبحانه وتعالى وهبه له من رحمته كما قال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾ .

وقال رضى الله تعالى عنه : قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا

شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ من باب تكليم الخصم ليلقنه حجته ، فلو قال : غرّنى كرمك لفاز ونجا ، وأىّ غنيمة ومنجاة أعظم من الغرور برحمة الله ، لكنه لم يقل كذلك ، ولذا ردّ عليه تعالى بكلمة الردع التى هى أشد توبيخا فقال ﴿ كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾إلى آخرها فكانت أعماله السيئة أنه مكذّب بيوم الدين لا أنه مغرور برحمة الله .

وقال رضى الله تعالى عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث » وفى رواية « لم ينجس » فعلم بهذا التحديد أعنى القلتين أنه لا ينجس ولا يحمل الخبث إذا كان قلتين ، ثم فى حديث آخر « الماء طهور لا ينجسه شيء إلا ما غلب على ريحه أو طعمه أو لونه » ولم يحدّه بحد فعلم من التحديد الأول أنه لا ينجس ولا يحمل الخبث بما غلب على ريحه أو طعمه أو لونه إلا إذا كان أقلّ من ذلك التحديد ، وأما إذا كان قلتين فلا ينجس ولو غلبت على أحد أوصافه .

وقال رضى الله تعالى عنه : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ ﴾ فقدم بعد قوله ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي ﴾ الغفران ، ثم أتى باسمه الغفور بعد أن أتى بالضمير المنفصل الذى للتأكيد، ثم أتى باسمه الرحيم ثم عطف عليه العذاب ولم يأت باسم الانتقام فيقول : وإنى أنا المعذّب مثل قوله ﴿ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ولذا غلبت رحمته غضبه ، ثم بعد هاتين الجملتين قصّ سبحانه وتعالى قصة إبراهيم مع أضيافه ، والنكتة فى ذلك أن إبراهيم لما نزل عليه أضيافه أكرمهم غاية الإكرام وتولى خدمتهم بنفسه إكراما لهم ، قال تعالى ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا

سلامًا ﴾ ـــ ﴿ قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ ﴾ فهذا عبد من عبادى يكرم أضيافه النازلين عليه هذا الإكرام فكيف بالرحيم الكريم إذا نزل عليه عبده ضيفا عند الفاقة والاحتياج إلى الرحمة والإكرام ، فجعل سبحانه وتعالى الجملة التى فيها التخويف وهى قوله ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ ﴾ متوسطة بين جملة الرجاء وهى قوله ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي ﴾ وبين قصة إبراهيم ، وهذا سرّ حكمة ترتيب القرآن .

وقال رضى الله تعالى عنه : ما أخلّ بالملوك وأفسد عليهم أمر دينهم ودنياهم إلا الجور وعدم العدل ، فإن نظام الملك وزينته وروحه العدل ؛ فإن من اتصف بالعدل منهم ولو كان كافرا ظهر سرّه فى صلاح أمور رعيته وانتظم ملكه وبورك فى عمره وصار ممدوحا مذكورا خلفا عن سلف ؛ فإن كسرى لما ذهب سمعه رآه بعض أصحابه وهو يبكى ، فقال ما يبكيك ؟ قال: فقد سمعى ، وليس بكاؤه لمجرّد فقده ، ولكنه إذا أتى مظلوم يصيح لم يسمع صياحه ثم قال : الحمد لله أن ذهب سمعى ولم يذهب بصرى ، وأمر أن من ظلم لبس الثوب الأحمر فيكون علامة لكل من ظلم ؛ ثم لما بنى الإيوان وكان مما يليه بيت العجوز ساومها فلم ترض بيعه فأبقاه لها ، ثم أمر بأن يعوّج الإيوان من الجانب الذى يليه بيت العجوز .

وسئل بعض ملوك الكفار : ما السبب فى أنهم يعمرون وملوك الإسلام أسرع ما يزولون من ملكهم ، فأراه شجرة عظيمة ثابتة فى الأرض غاية الثبوت ، فقال : هل يستطيع أحد أن يزيل هذه الشجرة؟ قال : لا، قال :

هذا جوابك ، فبقى الرجل مفكرا فى تلك الشجرة ما معنى كونها هى الجواب، وبقيت همته متعلقة بها ، فلم يلبث إلا يسيرا إذ هو قد سمع بهدّة عظيمة ، فسأل عنها فقيل له : الشجرة الفلانية انقلعت ، وإذا هى تلك الشجرة ، فطلبه الملك فقال له : عرفت ما معنى أن هذه الشجرة جوابك ؟ قال : لا ، قال : إنها كانت ثابتة ذلك الثبوت الذى ليس معه لأحد قدرة على إزالتها ، فلما بقيت همتك متعلقة بها أزالتها فهذه همة رجل واحد أزالت شجرة عظيمة ، فكيف إذا تعلقت همم جميع الرعايا بملك جائر كل واحد منهم يريد زواله . وعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أراد أن يوسع الحرم النبوى على ساكنه أفضل الصلاة والسلام ، وكان مما يليه بيت العباس رضى الله تعالى عنه فطلبه وقال له : إنى أريد أن أوسع مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإن أردت أن أبنى لك بيتا مثل بيتك فى جهة أخرى أو أعطيك ثمنه وندخل بيتك فى المسجد ، فأبى العباس رضى الله تعالى عنه ، فقال عمر رضى الله تعالى عنه : لابد أن تفعل ، قال العباس رضى الله تعالى عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « إن الله تعالى أمر داود أن يبنى بيت المقدس ، فعمد إليه ليبنيه فوجد إلى جنبه أرضا فأراد أن يأخذها ، فأوحى الله إليه إنى أمرتك أن تبنى لى بيتا فأردت أن تغص. بيت عبد من عبادى، عقوبتك أن لا تبنيه » فقال عمر رضى الله تعالى عنه : لابد أن تأتينى ببرهان على ذلك ، فذهب إلى الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقال: أنشدكم الله هل سمعتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ذلك؟ فقالوا نعم ، وقلع عمر رضى الله تعالى عنه الميزاب الذى فى بيت العباس رضى الله تعالى عنه وهو كان إلى سطح يصبّ فى المسجد ، فقال العباس:

بئسما صنعت فإنه وضعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده فقال عمر رضى الله تعالى عنه : لابدّ أن تطلع على ظهرى أو على كتفى ثم تردّ الميزاب حيث كان ، ثم بعد ذلك سمح العباس رضى الله تعالى عنه ببيته ذلك من غير ثمن ولا عوض ، فانظر إلى العدل وأهله تزدد معرفة بمقدار العدل. ثم إن كل إنسان ملك على جوارحه وأعضائه فإذا كانت سيرته فيها بالعدل نال الخيرات واتصف بمحامد الصفات والعكس بالعكس ..

نسأل الله العافية ..

.وسئل رضى الله تعالى عنه : عن قول الله تعالى فى الصوم : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ ..

فأجاب : إنه فى صدر الإسلام قبل نزول ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ كان الصوم ليس بواجب ، بل من أراد أن يصوم صام ، ومن أراد أن لا يصوم افتدى بطعام مساكين ثم بعد نزول آية وجوب الصوم وهى قوله تعالى : ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ بقى حكم قوله : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ ﴾ على الحامل والمرضع ، لأنها تطيق الصوم ، ولكن لها أن تفطر إذا خشيت ضرر ولدها أو حملها ، وتفدى ثم تقضى ، وأما الشيخ الهرم والذى لا يطيق الصوم بعلة فحكمه مأخوذ من قراءة ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ ﴾ فله أن يفطر ويفدى ولا قضاء عليه ، وأما قولهم يقدّر حرف نفى تقديره ؛ وعلى الذين لا يطيقونه فهذا كلام فاسد لا يقول به عارف ، وكيف يزاد فى كلام الله شىء ليس من كلامه ..

اللهمّ اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ..

وقال رضى الله تعالى عنه : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ﴾ أتى هنا بزيادة الحرث ، مع أن نعيم الجنة لا يزول وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين ، وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.. وفيها التجليات الإلهية وليس فيها أسقام ولا آلام ولا حرّ ولا برد ولا تعب ولا نصب ، أهلها على سرر متقابلين ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨) لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنْزِفُونَ (١٩) وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾.. فذكر الزيادة في هذا الحرث بقوله : ﴿ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ﴾ .. ثم قال : ﴿ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾ الدنيا جميعها لا تعدل عند الله جناح بعوضة ، وكم ملوك فى الدنيا على زعمهم ، وكم نجار وكم زرّاع وكم صناع وغير ذلك ؛ فكم قسم الواحد منهم من جناح البعوضة ، ثم مع هذا أتى بمن التى للتبعيض فقال ﴿ نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾ فتأمل أين زيادة الحرث الأول وقدر حصة الرجل الواحد من جميع من فى الأرض من جناح بعوضة مع أنه يؤتى بعض هذه ، فأين الحصة من ذلك ..

اللهمّ انزع حبّ الدنيا من قلوبنا واجعل حبك أحبّ الأشياء إلينا وأصلح فساد قلوبنا وألهمنا رشدنا يا أرحم الراحمين .

وقال رضى الله تعالى عنه : أرواح الأموات فى البرزخ كل روح على صورة جثمانها من جميع الصفات حتى إن الرائى إذا رأى تلك الروح لا يراها إلا على صورة صاحبها مع أن الجسم قد بلى فى الجدث وأرواح الشهداء الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا

بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ إلى آخر الآيات المراد بها الأرواح ، وإنما مثل الفرق بينها وبين غيرها كمثل الرجل اليقظان والنائم فأرواحهم كاليقظان وأرواح غيرهم كالنائم ، فأرواح الشهداء فى تلذذها بالنعيم وبالبشارات عند ربهم والأرزاق وفرحهم كاليقظان وأرواح غيرهم فى تلذذها وفرحها كالإنسان إذا رأى فى منامه ما يسرّه ، ثم قال : هذا أقرب مثال يكون فيهم .

وقال رضى الله تعالى عنه : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَان ﴾ أى إن الأمانة جعلها الله سبحانه وتعالى وظيفة عظيمة لا يقوم بها إلا من كان فى أحسن تقويم ، فكل شيء غير الإنسان خلقته وطاقته قاصران عن حملها ولذا أبين أن يحملنها وأشفقن منها ، ولما خلق الله تعالى الإنسان فى أحسن تقويم قدر على حمل الأمانة ؛ فمثل ذلك كأن يفصل الإنسان ثوبا طويلا عريضا موفر الأذيال فى أعلى مرتبة الكمال ، فكل من لبسه إذا لم يكن فى غاية الطول والعرض يأبى أن يلبسه لأنه يعذّب بلبسه ولا يقدر أن يسير به ولا يتمتع به بوجه من الوجوه فإذا عرض ذلك الثوب على إنسان فى غاية الطول والعرض كامل الذات قبله وتمتع بلبسه وانتفع به ، كذلك الأمانة إذا لم يخنها الإنسان فهى أعظم وأكبر نافع له ، ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ أى قبل حمل الأمانة أتراه جاهلا بعد أن حملها وهو الذى علم الملائكة الأسماء بل الملائكة عبدت الله فى الأزل وترقت فيها وما بلغت معرفة الأسماء حتى علمهم آدم عليه السلام ، فانظر إلى شرف الجوهر الإنسانى إذا أدّى الأمانة ولم يخنها خلقه الله أوّلا فى أحسن تقويم ثم أعطاه

الأمانة التى هى سبب إذا لم يخنها لنيل الدرجات التى لم ينلها غيره من المخلوقات وإذا لم يخنها صار الحقّ سمعه وبصره إلى آخره ، وإذا لم يخنها أدخله الله الجنة التى فيها يبيح له النظر إلى وجهه ويحيا بحياة الله وملّكه الملك الدائم حتى إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، فأىّ نوع أشرف من هذا وأىّ مزية أعلى من هذه ، وياضيعة بل يا خيبة من رغب عن هذا الملك والنعيم بخيانتها فى حطام هذا الفانى وباع الدار الباقية بهذه الدنيا الفانية التى لا تعدل عند الله جناح بعوضة ، ففى الحديث « إنها تأتى يوم القيامة فى صورة عجوز شمطاء وتسأل الله أن يجعلها لأدنى أهل الجنة ، فيقول لا ، يا لا شىء »

اللهمّ اجعلنا ممن أدّى الأمانة يا أرحم الراحمين ..

وقال رضى الله تعالى عنه : قال الله تعالى : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ المراد بالنافد هو الوهم الذى نتخيله عندنا ؛ والوهم قتال ، لأن الدنيا أسحر من هاروت وماروت ، فيخيل لنا أن هناك شيئا ولا شىء كالسراب : ﴿ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴾ وأما من عرف منا قدر الدنيا ونزّلها منزلتها وسلك فيها الصراط المستقيم فهو الفائز ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ ..

وقال رضى الله تعالى عنه فى قول الملائكة عليهم الصلاة والسلام حين شاورهم الحقّ تبارك وتعالى فى آدم ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ معنى نسبح بحمدك ونقدّس لك : أى مخلصين لوجهك الكريم ، لا أن ذلك التسبيح والتقديس معلولان لأجل جزاء أو غير ذلك ، وهذه الدرجة هى أعلى درجات العبادات



التى من حازها فقد صار وليا ، وأما الأنبياء فكلهم كذلك وهى مراد كل مترق ولكن كم تلقى دون هذه الرتبة عاثرا ، وكيف تلقى عنها مقهقرا وما ينالها إلا من تولاه الله وسلم أموره لله فأخذ بيمناه ، فإن الملائكة عليهم السلام فرّوا من التسبيح والتقديس المعلولين ، لكنهم أخذتهم الغيرة على الخلافة فوقعوا فيما فروا منه ..

وقال رضى الله تعالى عنه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ وذلك أن قصة الإفك اتفقت فيها متفقات احتوت على كرامات وظهرت فيها خفيات : فمنها التوبة بشأن أبى بكر رضى الله تعالى عنه ، بقول الله تعالى : ﴿ وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ فجعله من أولى الفضل ، وتلك صفة من صفات الله تعالى ﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ . والسعة هى سعة الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ ﴾ فسعة أبى بكر رضى الله تعالى عنه هى سعة الله لأن المؤمن المتوكل على الله خزانته عند الله ، ومن كانت خزانته عند الله فتلك سعة الله. ومنها إظهار مزية مسطح رضى الله تعالى عنه عند الله ، فإن من أحبه الله تعالى قاد إليه الذنب خيرا كثيرا ، فإن مسطحا أتى بهذا الذنب العظيم الذى هو من أعظم الذنوب وأخطرها ، فكان بسببه الخير الكثير بأن وصفه الله تعالى بأنه من أولى القربى : أى من الله تعالى ، ففى الحديث « من تقرّب منى شبرا تقرّبت منه ذراعا ، ومن تقرّب منى ذراعا تقرّبت منه باعا » وبأنه من المساكين : أى إلى الله تعالى وهم الذين سكنوا إليه تعالى الذين قال رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم فى حقهم « اللهمّ أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين » وشهد له بأنه من المهاجرين فى سبيل الله ليخرج ممن هاجر لأجل مال يصيبه أو امرأة يتزوجها ، وهذا سرّ قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لعلّ الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فإنى قد غفرت لكم » ثم أتى تعالى بصيغة الأمر ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ ليتخلقوا بأخلاق الله تعالى فيعاملهم بها ، ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ فقال يرمون ولم يقل رموا ، لينبه جلّ جلاله أنه قد غفر للذين قد وقع منهم ذلك إنما هذا للذين يرمون فيما بعد ، وبرأ الله تعالى عائشة بأن وصفها بأنها من المحصنات ثم قال ﴿ الْغَافِلات ﴾ ، هذه غفلة ممدوحة لأنها غفلة عن الشرّ ﴿الْمُؤْمِنَات ﴾ فوصفها بأنها من المؤمنات ، ثم قال ﴿ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيم ﴾ فعلم أنهم غير من قد وقع منهم ذلك لأنه قد غفر لهم سبحانه وتعالى ، وكيف يأمر غيره أن يغفر لهم وهو لا يغفر لهم ، بل هو تبارك وتعالى أحقّ بالمعفرة ، ومنها أن عائشة رضى الله تعالى عنها كان فيها قبل ذلك زهو على نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلمها بمحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لها فأدّبها الله تعالى بذلك. ومنها أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يحبها والله سبحانه غيورعلى قلب عبده أن يسكن فيه حبّ غيره ، وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ، والقلب لا يسع إلا حبّا واحدا ، وهذه الغيرة من الربّ جلّ جلاله هى التى أدّب بسببها نبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما اشتدّ فى قلبه حبّ ولده إسماعيل فأمره بذبحه ، وهى أيضا التى أدّب بسببها نبيه يعقوب عليه الصلاة والسلام لما

اشتدّ فى قلبه حبّ ولده يوسف، فغيبه عنه وأدّب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما اشتدّ حبّ عائشة رضى الله تعالى عنها بقصة الإفك لينكسر قلبه فلا يبقى فيه إلا الله تعالى ، وإذا صفا قلب العبد المؤمن وتطهر حتى بلغ حدّ قوله تعالى : [لم تسعنى سمائى ولا أرضى ووسعنى قلب عبدى المؤمن] فلا بدّ أولا أن يذبح حتى يفضى عن بشريته فلا يبقى إلا الحقّ فينطق به ويبصر به ويسمع به ويبطش به ويمشى به ، قال تعالى ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ﴾ والله سبحانه وتعالى ملك الملوك ، فاذا دخل قرية قلب عبده أفسد أهلها وأهلها بشريتها ، والبشرية ذليلة والعزّة لدولة الحقّ وسلطانها ، وحينئذ ينادى منادى الجبار : ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ يخاطب بعد الاضمحلا ل فى عين العدم جميع الآثار فيجيب نفسه لما لم يجد سواه ﴿ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ .

وقال رضى الله تعالى عنه : تنوّعت أقوال المفسرين فى وجه إثبات الألف فى « السبيلا والرسولا » من قول الله تعالى حاكيا عن الكفار يوم القيامة يقولون : ﴿ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاْ * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ ﴾ وما أصابوا الغرض المقصود وهو أن إثبات الألف فى السبيلا تنبيه على تثنية السبيل لأنهما سبيلان سبيل الهدى وسبيل الضلال ، قال تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ فمن اهتدى لسبيل الهدى فقد اهتدى لسبيل الضلال ، ومن ضلّ عن سبيل الهدى فقد ضلّ عن سبيل الضلال لأنهما متلازمان من كل وجه . وأما إثباته فى الرسولا فكذلك إشارة إلى أن الرسول رسولان: رسول خارج وهو الذى جاء من عند الله ليبلغ عنه ، ورسول داخل وهو القابلية ، وكل واحد مفتقر إلى الآخر كنور البصر فإنه

مفتقر إلى نور خارج ، إذ لو كان فى ظلمة لما رأى شيئا ، والنور الخارج مفتقر إلى نور البصر ، فإن الأعمى لا يرى شيئا ولو كانت الشمس فى كبد السماء ، ألا ترى أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين جاء كل واحد منهم قومه بالمعجزات الباهرات والعلامات الظاهرات ، فلم يقبل منهم إلا من ثبت فى داخله رسول القابلية ، ومن لم يثبت لم ينتفع بالرسول الخارجى وهى المطاوعة ، يقال كسرته فانكسر يعنى قبل الكسر ، وأما إذا قلت فتلت الحديد فانفتل فهو باطل لأن الحديد لا ينفتل ، كذلك الكفار لم يثبت لهم رسول القابلية فلم يطاوعوا الامتثال لما جاءت به الرسل ، فهذا وجه إثبات الألف وبالله التوفيق .. وهو حسبنا ونعم الوكيل ..

وقال رضى الله تعالى عنه : قال المفسرون فى قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴾ إن المراد به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وإن الضمير فى ينصره يعود إليه صلى الله عليه وآله وسلم وليس كذلك ، لأنه لم يتقدم لفظ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى يعود إليه الضمير لاقريبا ولا بعيدا ، فإنه لم يتقدم ذكر اسمه صلى الله عليه وآله وسلم من أوّل السورة إلى هذه الآية ، بل الضمير فى ينصره عائد إلى الموصول وهو من كان يظن لا إلى الرسول لكونه لم يتقدم لفظ الرسول لا قريبا ولا بعيدا ، وقد يأتى ضمير عائد إلى متقدم وإن بَعُد كقوله تعالى : ﴿ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴾ فعلى قراءة الكسر معطوف على قوله تعالى ﴿ وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ أى وعنده علم قيله ياربّ ، وعلى قراءة النصب

معطوف على البعيد وهو قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ﴾ أي ويحسبون أنا لا نسمع قيله يارب . وأما ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ ﴾ فلم يتقدم ما يعود إليه الضمير على وجه تفسيرهم ، بل معناه كل من كان يظنّ أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع عن نفسه هذه النازلة التى بسببها يطلب النصر « هل يذهبن كيده ما يغيظ » أى لو أمكنه هذا المحال ما أذهب غيظه فكيف وهو لا يمكنه أصلا ، ومن الضمائر التى تعود إلى البعيد قوله تعالى : ﴿ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ فإنه معطوف على قوله تعالى قَبْلَ جزء : ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا ﴾ ـ ﴿ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ثم أتى تعالى بهذه الجمل المعترضة وهو قوله ﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ إلى آخر الآيات ، ثم قال « ولتصغى » تقديره ولنبينه لقوم يعلمون ولتصغى إليه ا هـ والحمد لله ..

وقال رضى الله تعالى عنه فى قول الله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ متعلق الجار والمجرور فى قوله بالقول الثابت هو آمنوا وليس متعلقا بيثبت تقديره الذين آمنوا بالقول الثابت يثبتهم الله ، والقول الثابت هو قول الله تعالى وما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وقال رضى الله تعالى عنه : فى حديث ما معناه « إن المؤمن يتلذذ بنزع روحه عند الموت كما يتلذذ الظمآن بشراب الماء البارد فى اليوم

الصائف » وأما قول الرسول (١) صلى الله عليه وآله وسلم بدليل قوله صلى الله عليه وآله وسلم « ما يشاك أحدكم بشوكة إلا وجدت ألمها » ولأن آدم عليه الصلاة والسلام ما أكل من الشجرة التى نهاه الله عن أكلها إلا لتحرّك الأشقياء فى صلبه الذين قال تعالى فى حقهم : ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾ وقال تعالى فى حقهم ﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ فالنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم هو حقيقة العالم الإنسانى وأصله وهو صلى الله عليه وآله وسلم يتحمل المشاقّ لأجل أمته ويستغفر فى كل يوم سبعين مرّة لأجل أمته ، لأن استغفاره لنفسه صلى الله عليه وآله وسلم هو عين استغفاره لأمته ، أتراه يذنب صلى الله عليه وآله وسلم وهو المعصوم؟ أو يخاف من الذنب وقد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر وذنبه الذى غفر له إنما هو باعتبار ما عنده صلى الله عليه وآله وسلم وإلا فليس له ذنب ، لكنه لما عرف الله سبحانه وتعالى حقّ معرفته نزّل نفسه صلى الله عليه وآله وسلم منزلة من لم يؤدّ حقه تعالى كما يليق بجماله وكماله ، فعدّ ذلك ذنبا . وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم « ربّ اغفر لى وتب علىّ » فهو استغفار لأمته وتوبة عنهم صلى الله عليه وآله وسلم، فهو ممتثل لأمر ربه سبحانه وتعالى حيث قال : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ أى الحقوق التى لك عليهم فضيعوها اعف عنهم فيها وتخلق بأخلاقنا والحقوق التى لنا استغفر لهم فيها ، وياهل تراه تعالى يأمره صلى الله

(١) قوله وأما قول الرسول .. الخ وقوله بعده ولأن آدم .. الخ هكذا فى الأصل ولعل فى الكلام سقطا فحرر وانظر المناسبة التى بها يرتبط الكلام بعضه ببعض اهـ مصححه



عليه وآله وسلم بالاستغفار لأمته ولا يقبله كمن يضيفك ويغلق بابه دونك ؟ حاشا وكلا تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا .. اللهمّ صلّ وسلم على رسولك الشفيع المشفع وعلى آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علمك .

وسئل رضي الله تعالى عنه : عما ورد من الأحاديث التي في معنى من تداوى واسترقى فقد برئ من التوكل وما ورد من تداويه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بحرق الحصير وإلصاقه بجرحه ونحوه من النفث وقراءة المعوّذتين .

فأجاب : دامت إفادته بما معناه : إن الأمة على ثلاث طبقات : عليا، ووسطى ، ودنيا ، فإذا جاء عن الشارع ما يقتضي كراهة فعل شيء إما بذمه أو ذمّ من فعله ، ثم جاء عنه أنه فعل شيئا منه فذلك الذمّ درجة الطبقة العليا وفعله لشيء منه وهو سيد أهل الطبقة العليا ليحصل الفاعل له من أهل الطبقة الوسطى والدنيا حظه من محبة الله تعالى بالاتباع ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ فهو صلى الله عليه وآله وسلم في استعمال الدواء والرقية في أعلى مراتب التوكل لأنه مستعمل لها لله بالله لا نظر له في ذلك إلا إلى الله ، فإن استعمل عبد الدواء مثلا مستحضرا نية الاقتداء أو الاتباع وامتثال الأمر كما ورد في إحدى روايات خطبه في حجه صلى الله عليه وآله وسلم « ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء » فله حظه من محبة الله على قدر نيته وإيمانه ، ومن فعله من غير نية سوى التداوي فله حظه بقدره ولا يشترط ما قالوه إنه لا يثاب على الفعل المباح إلا إذا نوى نية تصيره عملا صالحا ، فإن المؤمن مثاب على كل فعل يفعله من حركة وسكون وقول وسكوت ما لم يكن ذلك في معصية كما أنه لو فعل شيئا من ذلك عن غير قصد فيما لا يرضاه

الله تعالى فإنه يأثم ، والحجة فى هذا قوله صلى الله عليه وآله وسلم « إن فى بضع أحدكم صدقة ، قالوا يا رسول الله أيأتى أحدنا شهوته وله أجر؟ قال : أرأيتم لو وضعها فى حرام أما كان عليه وزر؟ » الحديث، وقوله « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالا يرفعه الله بها فى عليين ، ويتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوى بها فى النار سبعين خريفا » الحديث ، وفى بعض رواياته « لا يظنّ أنها تبلغ ما بلغت » فالعبد إذا ملّ القعود مثلا فقام ليستريح فهو مأجور لأنه ما قام إلا معتقدا أن الله أباحه ولو حرمه عليه ما فعله فهو مأجور وإن لم يستحضر النية ، وهكذا قس عليه سائر أفعال العبد مثل الأكل والشرب فهو ممتثل للأمر من الله سبحانه فأجره عظيم فى امتثال قوله ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ وكذلك كل ما ورد به أمر الشارع ، ولا شكّ أن من استحضر النية لكل فعل فإن رتبته أعلى وأجلّ وأجر كل عامل على قدر عمله.. نسأل الله التوفيق ..

وسئل رضى الله تعالى عنه : عمن أدرك الركوع مع الإمام هل يعتدّ بها ركعة ولو لم يقرأ الفاتحة فيها ؟

فأجاب : إن قراءة الفاتحة أسقطها الشارع عن المسبوق إذا أدرك الركوع مع الإمام بدليل حديث أبى خزيمة الذى صححه وحديث أبى بكرة رضى الله تعالى عنه « حين ركع دون الصفّ ومشى إلى الصفّ ، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم : زادك الله حرصا ولا تعد» فإنه لم يأمره بالإعادة ، ولو كانت لا تجزئه لأمره بالإعادة ، وقوله ﴿ وَلا تَعْدُ ﴾ إنما هو عن الركوع دون الصف ، لا عن اتباع الإمام على الحالة التى هو عليها ، فإنه مأمور باتباع الإمام على أىّ حال وجده عليها، وورد أيضا « أنه صلى الله عليه وآله

وسلم أطال الركوع فى بعض صلواته طولا زائدا ، فسئل بعد انصرافه فقال : إن جبريل أتانى فقبض يدىّ على ركبتىّ ليدرك علىّ رضى الله تعالى عنه الركعة » فسئل الشيخ رضى الله تعالى عنه من ذكر هذا الحديث ؟ قال : الذى يحضرنى الآن أنه ذكره ابن الجوزى مع أنه قد جعل بعض الأحاديث الحسان والصحاح موضوعة ، فما أورده إلا وهو عنده ثابت ، والله أعلم ..

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن قول الله تعالى فى الحديث القدسى [إن من عبادى من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لفسد حاله ومنهم من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لفسد حاله] .. الحديث مع ما ورد فى الحديث الآخر [إن رجالا يتخوّضون فى مال الله تعالى بغير حقّ فلهم النار] وما يشاهد من طغيان الأغنياء وكثرة المال فى أيدى الكفار .

فأجاب : إن قوله تعالى [إن من عبادى] فعباده هنا إما أن يكونوا الخواص منهم الذين لا يتعبدون لغيره تعالى فهو مثل قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ يا هل ترى أنه لا يتولى إلا الصالحين ؟ بل هو متولّ لجميع خلقه من كافر ومسلم وفاسق ومؤمن ؛ قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴾ .. وقال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ لكن التولى هنا خاصّ للصالحين باسمه الهادى واللطيف والرحيم وبجميع أسماء الرحمة وتوليه للمجرمين بأسماء العذاب كالمضلّ والمنتقم ؛ فإذا عرفت ذلك علمت أن لكل اسم من أسماء الله تأثيرا فى خلقه ، وأنّ الحقيقة واحدة وتأثير كل اسم من أسمائها فى المخلوقات فتأتى كل عبد جيوش الأسماء مع أن الحقيقة واحدة ؛ ولما كان خلق آدم على الصورة



وافقت الأسماء شؤونه ، فالمضلّ يجذبه إليه والهادى يجذبه إليه، والمنتقم يقول للمضل ائتنى به فإن لى فيه حصة ، والرحمن والرحيم يقولان للهادى ائتنا به فإن لنا فيه حصة ، فالله سبحانه متولّ لجميع العباد بجميع الصفات ، وقوله « يتولى الصالحين » أى بأسماء الرحمة ، فقوله « إن من عبادى من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لفسد حاله » أى عبادى الخواصّ فإن من الأنبياء من ابتلى بالفقر ومن الصالحين كذلك ، ومنهم من ابتلى بالقتل ، ومنهم من ابتلى بالأمراض لكن ذلك صلاحه باعتبار مآله كقطع اليد من الأكلة وتجرّع الأدوية ، نعوذ بالله من ذلك ، وكذلك قوله « إن من عبادى من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لفسد حاله » أى الخواصّ منهم لأنه بسبب غناه يدخل الجنة لكونه يتصدّق ويعتق ، إلى غير ذلك من أنواع الخير ، ولو كان فقيرا لسخط، وربما أحوجته الضرورة لفعل أشياء بسببها يستوجب النار ، هذا إذا كان لفظ عبادى موجها إلى الخواصّ فإذا كان باعتبار العموم ، فالصلاح فى قوله « إن من عبادى من لا يصلحه إلا الغنى » موجه إلى السابقة ، فإن من سبق فى علم الله أنه من أهل النار لا يصلحه لهذه السابقة إلا الغنى الذى هو عين الفساد ، فصلاحه عين فساده ، وعلى هذا كل من بسبب غناه يكون طغيانه ، وكذلك من سبق فى علم الله أنه من أهل النار ولكن لا يصلحه لهذه السابقة إلا الفقر وبسببه يكون طغيانه ، ولو كان غنيا لفسد حاله : أى فسد حال هذه السابقة وهذا سرّ القدر ولا تؤدّى عنه العبارة والسكوت فيه أولى .

وقال رضى الله تعالى عنه : إذا أسلم العبد جميع أموره لله وفوّضه له تولاه الله وعامله بما يصلحه وهو أعلم بمصالح عباده ، فإن أهل الله تعالى وأنبياءه مشوّقون ومتشوقون لتجلى الحقّ لهم فيتجلى لهم بالقدر الذى به



يتمتعون ويتلذذون على قدر طاقتهم واستطاعتهم لأنهم لا يزالون يتقرّبون ويتوددون إليه تعالى بالعبادات والأعمال الصالحات حتى يكون أبصارهم وأسماعهم فيرونه فطلبوه من بابه ، فكان تجليه لهم رحمة ، وبنو إسرائيل لما لم يفوّضوا اليه ولا طلبوه من بابه بل قالوا : ﴿ أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ تعنتا منهم تجلى لهم : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ فكان تجليه لهم عذابا ، ثم قال تعالى بعد ذلك : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أى تشكرون نعمة الحجاب ، فإن الحجاب رحمة لمثلكم ، كذلك نبيهم موسى عليه الصلاة والسلام قال ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ مع أنه قد رآه حيث تجلى له فى النار فى أول الأمر لكن قوله ﴿ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ يريد بالجلال والجمال الذى يعلمه لنفسه فقال : ﴿ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ ﴾ ـ ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ والصعقة هى الموت ، فرآه فى الموت وهو مصداق قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لن يرى أحدكم ربه حتى يموت » وهو ما رأى إلا بقدر ثلث الخنصر من الذات كما ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبهذا القدر كان تجليه له فوق استعداده وطاقته ، ولو كان فوق ذلك بقليل لصعق حتى لا يبقى موسى ولا يبعث ، فسبحان من لا يعلم قدره غيره ، ولا يبلغ الواصفون صفاته ، ونبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لما فوّض أمره إلى الله تعالى أسرى به وأراه إياه بقدر لا يعلمه إلا هو ، فصار فى الظاهر عبدا يمشى فى الناس ويتكلم معهم ، وفى الباطن أمواج بحار أنوار الحقّ تعالى ومن كنه الله طاقة واستطاعة يحمل بها أعباء ما أهله الله له من مشاهدته ومحاضرته وتبليغ أمته الرسالة وأداء الأمانة ، فهو علوى سفلى صلى الله عليه وآله وسلم؛ فسبحان المعطى المانح جلّ جلاله وتقدّست

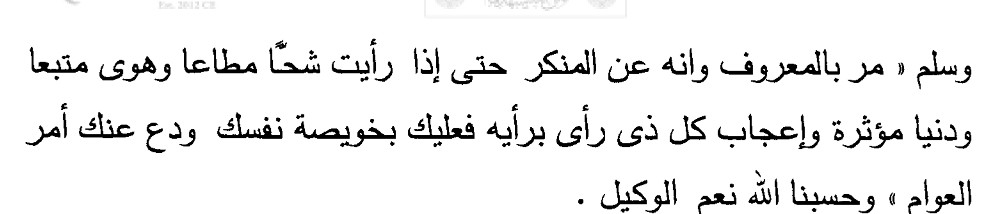
أسماؤه ولا إله غيره ، و صلى الله على نبينا وسيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وقال رضى الله تعالى عنه : أخفى الله ثلاثا فى ثلاث : أولياءه فى خلقه ، ورضاه فى طاعته ، وغضبه فى معصيته. وبه أوصى الباقر عليه السلام ولده فقال : يا بنىّ لا تحتقرنّ ذنبا فربما يكون به هبوط الأعمال وغضب الرحمن ، ولا تحتقرنّ طاعة فربما يكون بها نيل الخيرات وبها رضا الله تعالى ، ولا تحتقرن أحدا من المسلمين ، فربما تحتقر مَن هو عند الله عظيم فتكون منازعا لله .. وقال بعض الصالحين : إذا اعتقدت أن كل من رأيته هو الخضر فقد رأيته ولو كان معروفا عندك كأخيك وابن عمك لأنه يتصور بصورته ، والله الله أن تحتقر مسلما أو تؤذيه . فقد يكون وليا من أولياء الله وأنت لا تشعر فتكون داخلا فى غضب الله ، ففى الحديث « إن الله ليغضب لأوليائه كما يغضب الليث لأشباله » والله سبحانه يحارب ثلاثة أنواع من أهل المعاصى : قاطع الطريق، وآكل الربا ، والمؤذى لأوليائه . وفى الحديث الآخر القدسى « من عادى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة » قال تعالى ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ وقال تعالى فى آكل الربا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ وفى الحديث « من آذى وليا فقد حارب الله » .



وقال رضى الله تعالى عنه : لا ينبغى أن تكون الخلة إلا لله تعالى، ففى الحديث « يا أيها الناس إنه كان لى فيكم أخوّة وأصدقاء وأناأبرأ إلى الله أن أتخذ منكم خليلا ، ولو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن أخوّة الإسلام أفضل » وأما قول الله تعالى : ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ فهو دليل على ما قلناه لأن المتقين هم أحباء الله تعالى والله يحبّ المتقين فلا خليل لهم غير الله تعالى ، وليس المراد أن بعضهم أخلاء لبعض بل إذا تخالل رجلان فى الدنيا صارا عدوّين يوم القيامة ، لأن كل واحد منهما اتخذ خليلا غير الله ولا تبقى الخلة إلا لله فالمستثنى بقوله إلا المتقين إنما هو الخلة لله فقط ، لأن حقيقة الخلة هو أن يكون الجوهر عين العرض والعرض عين الجوهر كالصباغ فى الثوب ، وهو معنى أن يكون سمعه وبصره إلى آخره ..

وقال رضى الله تعالى عنه : قال أبو بكر الصدّيق رضى الله تعالى عنه : حمل الناس قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ على غير معناه ، فتركوا النهى عن المنكر والأمر بالمعروف ، وليس كذلك ، فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب على كل أحد إما بيده أو بلسانه أو بقلبه وذلك أضعف الإيمان ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لتأمرنّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليعمنكم الله بعقاب منه » وقوله « عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم » هو معنى « ولا تزر وازرة وزر أخرى » أى ضلال المضل لا يعاقب عليه من اهتدى ، فالواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكرحتى تكون المعذرة ، والمعذرة هو أن ترى مصداق ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله



وسلم « مر بالمعروف وانه عن المنكر حتى إذا رأيت شحًّا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخويصة نفسك ودع عنك أمر العوام » وحسبنا الله نعم الوكيل .

وقال رضى الله تعالى عنه : لما نزل قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ إلى قوله ﴿ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ترك الصحابة رضى الله عنهم الأكل من أموالهم حتى نزل قوله تعالى : ﴿ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ فأباح لهم تعالى أن يتصرفوا فى ماله الذى اشتراه منهم بالمعروف من غير إسراف ، وكانوا إذا أكلوا جميعا يؤثر كل واحد منهم أخاه ، وبهذا تحصل البركة ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم « خير الطعام ما كثرت عليه الأيدى » وشكا الصحابة عدم الشبع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال « لعلكم تفترقون على طعامكم ، وقالوا : نعم ، قال : اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « الذى يأكل وحده شيطان » وفى الحديث « الكنود هو الذى يأكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده » وكذلك إذا أكلوا أشتاتا فلا بد من الإيثار.. اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت يا أرحم الرحمين ..

وقال رضى الله تعالى عنه : قلب ابن آدم ميزانه ، فإن أردت أيها



الطالب للعلم أن تعرف العلم النافع من غيره فانظر في قلبك ، فإن وجدته حين تقف لسماع ذلك العلم يشرئب إلى الدنيا وحبّ الرياسة ففرّ منه ، فذلك هو الضلال المبين ، وإن اطمأن قلبك عند سماعه بالله وخرج من قلبك حبّ الدنيا واستغنيت بما عند الله تعالى فذلك هوالعلم النافع فعض عليه بالنواجذ وأت ولو حبوا ، وما جمع هذه الشروط والأوصاف سوى قول الله وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فأولا وبالذات أنك تكون من الذاكرين الله كثيرا بقولك : قال الله قال رسول الله ، ثم يصلى عليك الله عشرا بقولك صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم تلتمس الهدى من الذى شهد الله له بالبيان والهدى فقال : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ ﴾ فما أخسر صفقة من استبدل قال الله قال رسوله بقول فلان قال فلان ، أتراه نورا وكلام الله ورسوله ظلمة ، أو تلتمس الهدى من غير ما التمس منه الصحابة والصالحون من التابعين؟ ..

اللهم انفعنا بالقرآن العظيم وبسنة رسولك صلى الله عليه وآله وسلم..

وقال رضى الله تعالى عنه : قال الله ﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ عظم تعالى النفس اللوّامة فأقسم بها ولا يقسم إلا بعظيم ، ثم قرنها بيوم القيامة ، وذلك لأن النفس اللوامة وهى التى تذكر ذنوبها فتلوم نفسها ولومها نفسها هو قيامتها ، وهو معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » فمن حاسب نفسه ولامها فقد أقام قيامته ، لأن يوم القيامة هو يوم الحساب ، وفى الحديث « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى سفر ، فنزل منزلا فذهب إلى رجل فى الرمضاء جعل يتمرّغ فيها ويقول لنفسه : ذوقى حرّ النار جيفة بالليل وبطالة

بالنهار وتطمعين أن تدخلى الجنة ، فبينما هو يتقلب فى الرمضاء إذ أبصره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجاء إليه فقال: يارسول الله غلبتنى نفسى، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله قد باهى بك الملائكة ، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم لمن حضر من أصحابه : تزوّدوا من أخيكم ، فجعل كل واحد منهم يقول : ادع لى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمهم عمهم » وذلك لكونه حاسب نفسه فى خلوته ووبخها ولامها، فالكيس اللبيب من أكثر اللوم على نفسه وحاسبها قبل أن يحاسب على مثاقيل الذرّ ..

اللهمّ إنا نسألك توبة نصوحا وأن تشغلنا بعيوبنا عن عيوب غيرنا برحمتك يا أرحم الراحمين ..

وقال رضى الله تعالى عنه : ليس ماعبر عنه من المستقبل بصيغة الماضى فى القرآن لتحقق وقوعه كما زعم أهل المعانى مثل قوله تعالى : ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ ـ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ـ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ بل ما كان فى علم الله تعالى فهو مشاهد معاين عنده سبحانه وتعالى ، فإن علمه عين إبصاره ، فكل ما يكون فى يوم القيامة مشاهد له من قبل خلق كل شىء ، فإنك ترى المنىّ حال نزوله من الصلب وهو ماء ، والله سبحانه وتعالى يراه على الخلقة التى سيكون عليها ويرى فى ذلك المنى عيونه بقدر حجمها وسمعه وبصره وجميع جوارحه وأعضائه على ما ستكون عليه ، بل يراه كذلك قبل خلق كل شىء ، وعلمه بالشىء تعالى عين رؤيته له ، ويرى عيانا ذرّية تلك النطفة إلى ما لا نهاية له ، أرى الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم عيانا ليلة الإسراء كل ماسيكون

كالمرأة تخدشها هرّة ، فانه رآها صلى الله عليه وآله وسلم عيانا مع أن تلك المرأة فى البرزخ ، ورآها صلى الله عليه وآله وسلم كذلك فى النار، وفى الحديث « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يوما جالسا بين أصحابه فقال: إنى أرى حجرا ألقى من شفير النار وله سبعون سنة يهوى فيها وهو الآن وصل قعرها » فلما سكت صلى الله عليه وآله وسلم سمعوا وجبة عظيمة حتى حصلت رجفة وما سكنت تلك الوجبة حتى سمعوا صياحا فى بيت رجل من المنافقين مات فى تلك الحالة وعمره سبعون سنة فكل حياته يهوى فى النار وحال مماته وقع فى قعرها : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ فعبر صلى الله عليه وآله وسلم بالحجر عن ذلك المنافق ورآه رأى العين مع أنه فى تلك الحالة فى بيته لم يخرج منه ، فانظر إلى بطلان قول أهل المعانى يؤتى بصيغة الماضى فى محل المستقبل لتحقق وقوعه ، بل هو واقع وصيغته مطابقة لمعناه .. والله المستعان .

وقال رضى الله تعالى عنه : أعظم البلايا والرزايا والامتحانات واقعات على الأنبياء والأولياء من عباد الله تعالى ، وذلك لأن كل اسم من أسماء الله تعالى له تأثير فى خلقه ، فكل واحد يطلب حظه ، فحظّ المنتقم والضارّ والجبار منهم فى الدنيا والخير كل الخير لهم فى ذلك فانه لا يبقى بينهم وبين النعيم المقيم سوى الموت ، وبقدرالمشاقّ تكون لذّة الراحة ، سأل موسى عليه الصلاة والسلام ربه : يارب لم تعطى الدنيا الكفار والمجرمين وتزويها عن عبادك الصالحين فكشف له عن حالة من ابتلاه الله فى الدنيا من المؤمنين ، فلما رآه وما هو فيه من النعيم قال : لا يضرّه إذاً ما ابتلى به فى الدنيا ولو سحب على منخره من أوّل حياته إلى آخرها ؛ وكشف له أيضا

عمن أنعم عليه فى الدنيا من المجرمين ، فلما رآه وما هو فيه من العذاب قال : لا شىء ما كان فيه ولو ملك جميع الدنيا وما فيها ، ولا شك أن كل ما فقد ولو كان أعلى وأغلى وأعزّ ما فى الوهم فهو كلاشىء .. قال الشاعر :

كأنّ الفتى لم يعر يوما إذا اكتسى ولم يك صعلوكاً إذا ما تموّلا

وقال آخر :

إن التجار إذا عادوا وقد ربحوا أنساهم الربح ما عناهم السفر

هذا من غير نظر إلى أن جميع ما فى الدنيا الفانية لا يعدل ما يكون لأدنى أهل الجنة الباقية ، فإن الدنيا تتصور يوم القيامة فى صورة عجوز شمطاء وتسأل الله أن يجعلها لأدنى أهل الجنة ، فيقول لا يا لاشىء : أى أنت أهون من أن تكونى لأحد من أوليائى. هذا ، وفى طىّ ابتلاء المؤمنين حكم، قال تعالى ﴿ الٓمٓ * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴾ ألا ترى أن الصحابة فى أحد وقع عليهم ما وقع ليبتليهم ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾ يعنى الهزيمة ، وأىّ ابتلاء أعظم من هذا ؟ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم وهم المحقون وعدوّهم المبطلون ويريدون إعلاء كلمة الله تعالى ثم حصل عليهم ما حصل ، قال تعالى : ﴿ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ لأن الفتنة هى الاختبار ، يقال فتنت الذهب : أى ألقيته فى النار ليختبر ويظهر هل هو ذهب أولا ، وهل هو جيد أو ردىء ، ولذا قال منهم قائل : (لو كان لنا من الأمر شىء ما قتلنا ههنا) وقال البوصيرى فى الدرر المضية فى مدح خير البرية :

لو يمس النضار هون من النـــــار لما اختير للنضار الصلاء



فإذا عرفت وأمعنت فكرك فيما سنح هان عليك جميع مصائب الدنيا وتعلم أن فى طيها مع الصبر عليها كل الخيرات ونيل الدرجات ، وكفى لك أسوة بصاحب المعجزات والكرامات عليه وعلى آله أفضل السلام وأزكى التحيات : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يرجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ ﴾ ـ ﴿ وَمَن يتولَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾

وقال رضى الله تعالى عنه : قال تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ معناه فى الظاهر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « صلوا فى نعالكم » وفى الباطن زينة الإنسان فى صلاته حضور قلبه وإخلاص عمله ؛ ومعنى الإخلاص أن تكون صلاته تلك خالصة لله تعالى كما يستحقّ كما له وجلاله لا لطمع فى شيء ولا لنجاة من شيء ، وإنما يسأل الله الجنة لكونها محل رضاه ويتعوّذ من النار لكونها محل سخطه ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا تكن كالأجير السوء إن أعطى عمل وإن لم يعط لم يعمل ، ولا تكن كالعبد السوء إن خاف عمل وإن لم يخف لم يعمل » هذا ، فإن بلغ العبد إلى هذه الرتبة فقد أخذ زينته ، والزينة هى مقامه فى محلّ العبودية من جميع الوجوه ، واستؤذن رضى الله تعالى عنه من بعض من ينسب إليه فى أن يقرأ فى كتاب من الكتب المؤلفات فأعرض عن الجواب . ثم قال : استأذن فيما سلف رجل شيخه فى أن يدرس كتاب من المؤلفات ، فقال له على اختيارك ما ظهر لك عملت به ، وهذا التلميذ المستأذن رجل غريب فدرس فى مسجد تلك البلدة التى هو فيها ، فلما سمع شيخه بذلك قال له : يا رجل إنك مازلت مطاوعا نفسك لم تقنع بشهرتك ورياستك فى بلدك حتى أردتهما فى غربتك ؟ يعنى أن وضع التدريس كما

يفعل الآن للشيطان والنفس فيه مجال تصعب السلامة منهما ، لأن بسبب ذلك يظهر ويشتهر ، والظهور يقصم الظهور ، والظهور نقمة والنفس تهواه ، والخمول نعمة والنفس تأباه ، ولكن الذى كان عليه الصحابة وأهل الله من بعدهم أنهم لا يفتون إلا عند الحادثة ، حتى إن عمر رضى الله تعالى عنه كان إذا استفتى عن شيء يقول : أوقع ذلك ؟ فإن قالوا لا ، قال : لا تسألوا حتى يقع وإذا وقع فتح الله فيه ، وروى ذلك أيضا عن مالك رحمه الله تعالى ، وفى حديث ما معناه « ملعون من سأل عن شيء لم يكن » وأما ما حدث من نصب المدارس لتدريس الكتب المؤلفات فهو إلى النفس والهوى أقرب ، ولا يخلو من ذلك إلا القليل ، واتباع الهوى مذموم حتى فى العبادة « فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرّ ذات ليلة بأبى بكر رضى الله تعالى عنه وهو يخافت فى صلاته ثم مرّ بعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهو يجهر فى صلاته ، ثم مرّ ببلال وهو يقرأ من القرآن آيات من سور مختلفات ، فلما كان الغداة سأل أبا بكر عن مخافتته » يعنى أنه يريد أن يستفهمه عن قصده لأن كلّ واحد منهم له فى فعله ذلك قصد ونية « فقال : قد أسمعت من ناجيت ، فقال : ارفع صوتك قليلا ، ثم سأل عمر فقال: لأرضى الرحمن وأطرد الشيطان وأوقظ الوسنان ، فقال : اخفض صوتك قليلا ، ثم سأل بلالا فقال : أخلط الطيب بالطيب فقال: لا ، فاذا شرعت فى سورة فأتمها » فمقاصدهم رضى الله تعالى عنهم كلها حسنة ولكن أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يخرجهم عن أهواء نفوسهم ويمكنهم من حظهم من حبّ الله تعالى فى اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنما كان يقف

لأصحابه ليعظهم ويذكرهم بالله ويعرفهم به لا أنه يعلمهم أحكاما لم تقع فيها الحادثة ولم يحتج إلى الحكم فيها حالا ، والصحابة رضى الله تعالى عنهم كانوا إذا جاء السائل يسأل يوردون له الكتاب والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى إن رجلا سأل ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن القنفذ فقرأ له قوله تعالى : ﴿ قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ﴾ إلى آخر الآية ، فلما لم تنصّ هذه الآية على تحريمه أحله ، فلما سكت قال له رجل : إنى سمعت أبا هريرة رضى الله تعالى عنه يقول « إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما سئل عن القنفذ قال : هو خبيث من الخبائث » فقال ابن عمر : إن كان أبو هريرة حدّث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو ذاك ، فانظر إلى حال الصحابة الذين هم قطب رحى هذا الدين ثم انظر ما أجهل من أفتى بكلام رجل من السلف وجده فى هامش كتاب لم يعرف كيف سنده ولا وجه اتصاله بقائله ، وربما كان مخالفا لما جاء به كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم إذا ناقضته بالحديث عن رسول الله يقول لو صحّ هذا لا طلع عليه إمامى ، فما أعظم هذه الرزية التى عمت ، نسألك اللهم عافيتك ثم يميل عن حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصحيح الذى اجتهد فيه السلف الصالح من الأئمة حتى ضبطوه وأتقنوه وأوصلوه من ثقة عن ثبت إلى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم .

وقال رضى الله تعالى عنه : فى قول الله تعالى : ﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ ﴾ ليس المراد بيوتهم وديارهم ، بل المراد المعاصى : أى عصيتم بما عصوا به وقد عرفتم وتبين لكم كيف فعلنا بهم ، فإن لكل قوم نبىّ عصيانا

غير عصيان من سواهم ، فذلك الخطاب يتناول كل عاص على تنوع العصيان ، فالذى يلوط قد تبين له فى القرآن كيف فعل الله بقوم لوط فهو سكن فى مساكنهم ، والذى يُخسِر الميزان قد تبين له كيف فعل الله بقوم شعيب وسكن فى مساكنهم ، وكذلك سائر المعاصى ، ما من معصية إلا وقد عصى الله بها قوم وعوقبوا عليها بعقاب مخصوص ؛ فما أجهل من عصى الله تعالى وما أشدّه عداوة لنفسه ، قد أخبره الله تعالى فى كتابه العزيز على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما جرى للقوم الذين عصوا الله من خسف أو صيحة أو رمى بحجارة ..

اللهمّ اعصمنا حتى لا نعصيك واكفنا حتى لا نرجو سواك ..

وقال رضى الله تعالى عنه : أرسل الله سبحانه رسله كل رسول بمعجزة غير معجزة غيره من الرسل ، كذلك أولياؤه لا يتفق اثنان فى طريقة واحدة ، فقدرة الله تعالى وصنعته أبدعت كل شيء ، فكل فرد من مخلوقاته بديع فى خلقته ولونه ولسانه وطباعه ، فكل إنسان لم يتقدم عليه مثله من جميع الوجوه ولم يتأخر عنه أحد كذلك ؛ وإن تشابه اثنان فى جزء اختلفا فى جميع الأجزاء الباقية ، وكذلك غير الإنسان من الحيوانات والجمادات وغيرها فإن كل فرد مغاير لغيره حتى الشعرات ، فكل فرد من مخلوقاته تعالى ليس كمثله شيء ، قيل لبعض العلماء وهو أبو يزيد رضى الله تعالى عنه : بم عرفت الله ؟ فقال : بوحدانيتى عرفت وحدانيته فهو ليس كمثله شيء ، فسبحان المبدع لا إله إلا هو ؛ فإذا علمت أنه لا يفيد المريد تطلبه لمراده فى كتاب من الكتب المؤلفات ، فلا بد من الشيخ والأخذ عنه لأنه متفرد بطريقة لم يتقدمه أحد بها ولم يتأخرعنه أحد ، فبحضوره بين يدى شيخه تحصل له

البركة فيفتح الله عليه بفتوح مبتدع غير فتوح شيخه وغير فتوح من تقدمه ومن يتأخر ، لأن خزائن الله ملأي لا تنقص ، وعطاياه لا تحصى ولا تنحصر ولا تقاس بمقياس ، ولذا قالوا : طرائق القوم عدد أنفاس الخلق وكذلك الأنبياء والرسل، فإن لكل واحد منهم دينا غير دين الآخر وشريعة جديدة وشريعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نسخت جميع الشرائع ، ومن بقي على دين من قبله من الأنبياء ولم يؤمن به فهو كافر ، فإذا عرفت هذا الباب علمت أنه لابد من شيخ تأخذ عنه وإلا كان خطؤك أكبر من صوابك ، والله المستعان .

وقال رضى الله تعالى عنه : الدليل على أن بسم الله الرحمن الرحيم آية من كل سورة اتفاق الأمة على أن الصحابة لم يكتبوا فى مصاحفهم غير القرآن ، ولم يوجد مصحف من مصاحفهم إلا وفيه بسم الله الرحمن الرحيم فى أول كل سورة سوى براءة ، وهذا الإجماع بعد حديث عبد الله بن مغفل ، فإجماع المصاحف على كتبها مع اتفاق الأمة أن الصحابة لم يكتبوا إلا القرآن والإثبات مقدم على النفى كما يعتبره المحدثون دليل على ما قلنا ، وأى دليل أعظم من هذا كما ترى ؟ وغيره لما سمع ولده فى الصلاة قال باسم الله الرحمن الرحيم ، قال : يا بنيّ لا تكن أوّل من أحدث فى الإسلام فإنى صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبى بكر وعمر فلم أسمعهم يقولونها وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ فقال بعض الصحابة لعليّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : إنما هى ستّ آيات يعنون الفاتحة ، فقال : البسملة إحدى آياتها .

وقال رضى الله تعالى عنه : دعا الله عبيده إلى ضيافته بلسان خليله

إبراهيم وحبيبه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فإن الملك إذا دعا عزيزا عنده لضيافته أرسل إليه أكرم عبيده وأعزّهم عنده ، فقال تعالى جلّ جلاله وتقدست أسماؤه يأمر خليله صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ وقال تعالى على لسان نبيه وحبيبه محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ فما أعظم هذا التشريف الذى شرّف الله به هذه الأمة أن بعث إليهم لضيافته رسولين هما أفضل الخلق فقال بعض أصحابه : فالذى يجاور بمكة من الحجاج بعد أن يحجّ هل هو باق فى الضيافة أم لا ؟ فقال : باق فى ضيافة مولاه، فقال بعض أصحابه : ﴿ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا ﴾ .

فأجاب على البديهة بأن قال : « الضيافة ثلاثة أيام » وأيام كل احد على قدره ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ فإن بقى الرجل فى مكة مدة عمره أو فاه الله كمال ضيافته فى قبره وفى الجنة، فرقصت الألباب مما وجدت من السرور عند سماع هذا الجواب على البديهة ، ثم قال رضى الله عنه : وأعظم فوائد هذه الدعوة هو اجتماع المسلمين بعرفات ومزدلفة ومنى ومكة ، وفيهم الأولياء والصالحون فيشفع بعضهم لبعض ويهب الله مسيئهم لمحسنهم « هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » والاجتماع رحمة والفرقة عذاب ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ مع أن هذه الآية فى الكفار وهم لم يستغفروا وإنما استغفار النبى صلى الله عليه وآله وسلم لهم منه رائحة اتخاذ

الحقيقة فبها لم يعذّبهم الله فى الدنيا ، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ فسلم الكافرون من العذاب بمجرد اجتماعهم بالمؤمنين ، فحال الاجتماع بالصالحين حال سلامة ونجاة ، لأن الله ينظر إليهم فيسكن غضبه .

وقال رضى الله تعالى عنه : قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ فلا يعذّب سبحانه وتعالى أحدا حتى يبعث إليه رسولا ،فإن الذاهبة عقولهم والصبيان ويأجوج ومأجوج[1] لم يبعث الله إليهم رسولا ، ولكنه فى يوم القيامة يبعث إليهم رسولا وهم بمعزل من الناس والنار تأجج ولها زفير عظيم ، فيقول لهم : إنكم لم تعلموا بما جاءت به الرسل ، فكل واحد يعتذر بما كان فيه فيقول الذاهب عقله فى الدنيا : إنى كنت لا أعقل ولو عقلت لآمنت بما جاءت به الرسل وعملت بأوامرهم ونواهيهم ، فيقول : أنا رسولكم من عند الله إن امرتكم بأمر تطيعونى ، فيقولون: نعم فيأمرهم بأن يلقوا بأنفسهم فى النار فمن كانت سابقته سابقة السعادة وفى علم الله أنه لو كان عاقلا فى الدنيا لآمن ألقى نفسه فى النار فيجدها بردا وسلاما ، ومن سبقت له سابقة الشقاوة وفى علم الله أنه لو كان عاقلا فى الدنيا لما آمن لم يمكنه إلقاء نفسه فى النار أبدا حتى إنه ربما يهمّ أن يلقى نفسه مرارا فلا يمكنه وكذلك الصبيان ، وكذلك يأجوج ومأجوج ففى الحديث « أنه لما مات طفل قالت

---

(١) قوله ويأجوج ومأجوج ، هكذا فى الأصل ، والمشهور أن دعوته صلى الله عليه وآله وسلم شملت يأجوج ومأجوج وليحرر آهـ مصححه .

عائشة رضى الله تعالى عنها : عصفور من عصافير الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من هذه المتألية على الله؟ وما يدريك؟ فإن الله خلق للجنة خلقا وهم فى أصلاب آبائهم وخلق للنار خلقا وهم فى أصلاب آبائهم » .

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن قول الله تعالى فى الحديث القدسى الذى آخره « ومن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، ومن ذكرنى فى ملإ ذكرته فى ملإ خير من ملئه » فما هو الملأ الذى يذكره الله فيه وهو خير من ملئه صلى الله عليه وآله وسلم مع أنه خير خلق الله أجمعين ، والله يذكره إذا ذكره فى ملإ خير من ملئه ؟

فأجاب : بأن الملأ الذى يذكره الله تعالى فيه هو ملؤه صلى الله عليه وآله وسلم نفسه ، ولكن لم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الترقى فما ذكر الله تعالى إلا وارتقى إلى رتبة أعلى من الأولى فيذكره الله فى ملئه ذلك بعد ترقيه ، فيكون ذكر الله تعالى فى ملأ خير من الملأ الذى ذكر الله تعالى فيه لأنه قد ترقى إلى رتبة أعلى من الرتبة الأولى ، فالملأ واحد وباعتبار ترقيه متفاضل ، ولم يزل فى ترقّ إلى ما لا نهاية له ، وأصحابه صلى الله عليه وآله وسلم ورضى عنهم أجمعين كذلك فى ترقّ بعده صلى الله عليه وآله وسلم .

وقال رضى الله تعالى عنه: قال الله تعالى : ﴿ قل بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ فضل الله ورحمته هو

محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال الله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ أى من جنّ وإنس وشجر ومدر وحيوان ، فما من شيء إلا وهو مستمدّ من نوره صلى الله عليه وآله وسلم وله إليه وجهة ، وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ إلى قوله ﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ فرحمة الله وفضله هو سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك الأنبياء أخذ الله تعالى منهم ميثاقهم أن يؤمنوا به وينصروه كما قال جلّ وعلا : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ وذلك رحمة بهم ليؤبروا نخل إيمانهم به صلى الله عليه وآله وسلم فامتثلوا أمر ربهم ونصروه بأن بشر كل نبيّ قومه به صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال عيسى عليه الصلاة والسلام كما حكى عنه الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ .. وقال تعالى ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ ﴾ الآية ، فتعريف الأنبياء قومهم به صلى الله عليه وآله وسلم فى التوراة والإنجيل هو عين نصرهم له صلى الله عليه وآله وسلم وعليهم أجمعين ، ولذا عرفوه كما يعرفون أبناءهم كما قال

تعالى : ﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ وتعريف الأنبياء قومهم به صلى الله عليه وآله وسلم هو لأجل أنهم إذا أدركوه عرفوه فآمنوا به ، وهذا هو النصر ولكن لم يوفق الله إلا الأقل القليل منهم ، ثم قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ـ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ﴾ وغيرهما أى أدر أسماءهم على لسانك ففيها رحمة عليهم ولهم الخير الكثير فى مجرّد ذكرك لهم ، فانظر إلى هذا النبىّ الكريم الذى لا تحصى فضائله ولا تعدّ ،جلّ كماله أن يعبر عنه لسان ، وعزّ جماله أن يكون مدركا للإنسان ، وتعاظم جلاله أن يخطر فى جنان صلى الله عليه وآله وسلم .

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن قول الله تعالى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ ﴾ إلى ماذا يعود الضمير فى منه ؟ ..

فأجاب : أنه يعود إلى الشأن لأن نزول القرآن بحسب شئون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فمعرفة قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مترتبة على معرفة القرآن ، فمن عرف القرآن حقّ معرفته عرف قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشئونه صلى الله عليه وآله وسلم وخلقه القرآن ، فتارة يكون صلى الله عليه وآله وسلم ، فى بسط فيباسطه القرآن بآيات البسط وهى الحالة التى قال فيها صلى الله عليه وآله وسلم « لى حالة لا يسعنى فيها إلا ربى » وطورا يكون صلى الله عليه وآله وسلم فى قبض لما يجد من عدم امتثال قومه لأوامره ونواهيه ومخالفتهم له وأذيتهم له فينزل القرآن على حسب شأنه ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ وغير ذلك

فالقبض والبسط صفتان من صفات الله تعالى ، فإن بسط فلا هرب منه ، كما أنه إن قبض فلا فرار منه ، فلا ملجأ من الله إلا إليه . قال بعض أولياء الله رضى الله عنه يوما لأصحابه : هل تعلمون ما معنى قول رسول صلى الله عليه وآله وسلم « مثل المؤمن كخامة الزرع »؟ قالوا : لا نعلم ، قال : معناه أن المؤمن إذا أصابته ريح البسط شكر الله، وإن أصابته عواصف القبض رضى وكان منزلة القبض عنده كمنزلة البسط ، كما أن الزرع إذا أصابته شمال سجد ، وإذا أصابته جنوب سجد إلى موضع آخر فلا يعتريه من إحداهما إلا ما يعتريه من الأخرى ، إنما هو يوافق ذات اليمين بسجوده إلى جهة الشمال ، ويوافق ذات الشمال بسجوده إلى جهة اليمين ، قال تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ ﴾ الآية.. ومعنى هذه الآية بلسان أهل الحقيقة : لا تسجدوا لشمس البسط ولا لقمر القبض واسجدوا لله : أى تكون عبادتكم فى كل حال خالصة لله لا معلولة ، ولا تكونوا كمن إذا أنعم الله عليه أعرض ونأى بجانبه ، وإذا مسه الشرّ فذو دعاء عريض ، ولا بالعكس كما قال : ﴿ لا يَسْأَمُ الإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴾ فمن كان كذلك فوجهته إلى الله تعالى فى جميع الحالات من قبض وبسط وغيرهما ، وهو الإخلاص ، والإخلاص أن لا يكون العمل إلا لله فى قبض وبسط ، ولا يكون لأجل خوف من النار ولا شوق إلى الجنة ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ والجنة هى مال فمن ألهاه مال الجنة عن ذكر الله فقد نال من الخسران حظه، لكنه دون من ألهاه مال الدنيا الفانية ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ ومن لازم إخلاص العمل التوكل

الذى هو الدرجة العظمى ولا ينالها إلا من خلصه الله عن جميع الشوائب ، فإن بعض الصالحين قال : كل مقام بحمد الله وصلت إليه ومكثت فيه إلا هذا التوكل المبارك ، فما شممت له رائحة ، ومعنى التوكل أن جميع الحالات التى تصيبه من قبض وبسط ونفع وضرّ وجميع الحالات التى تعترى الشكل الإنسانى بمثابة واحدة لا ينازع الله فى شىء ولا تفرحه السرّاء ولا تزعجه الضرّاء بل إذا أصابته ضرّاء صبر ، ومما يعين على التوكل عدم الركون إلى الذين ظلموا ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ أى نار البعد والقطيعة ، والذين ظلموا هم الذين نقصوا ، وكل ما سوى الله ناقص ، وأعدى عدوّك نفسك التى بين جنبيك ، فإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما امتثلوا ما أمرهم الله تعالى به من الجهاد مع ما هم فيه من الضعف والفقر حتى إنهم كانوا يأكلون أوراق الشجر فى الغزوات ويتقون الحفا بالرقاع ، لكنهم لما توكلوا على الله وامتثلوا ما أمر الله من غير ركون إلى أنفسهم نصرهم الله وقمع بهم شوكة الكفر مع ما كان عليه الكفر من القوّة والعدد والمدد ، وأصحاب طالوت لما ركنوا إلى أنفسهم واتكلوا على أهوائهم إذ قالوا لنبيهم : ﴿ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ فلما بعث لهم ملكا صار منهم ما صار ، وتولوا إلا قليلا منهم ، ومثل هؤلاء من أنزل الله فيهم قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾ فحقيقة التوكل أن لا يتمنى الإنسان شيئا من العبادات أو غيرها لأنه ربما يدرك الإنسان فى نفسه قوّة فيتمنى عبادة أو جهادا ، فهذا هو الركون إلى النفس ، وإذا جاءه أمر من الله امتثله ولو كان

يرى أنه عاجز ، فتوكل على الله تعالى ونهض له متوكلا على الله لا راكنا إلى نفسه ولو كان في غاية الضعف فقد أعطى التوكل على الله حقه وهذا هو الظافر .

وقال رضي الله تعالى عنه : قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ ﴾ أي أنهم حذروا الموت الذي هو عكس الحياة الدائمة التي قال فيها تعالى : ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ فقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾ مثل قوله : ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ﴾ فأرادوا هذه الحياة : ﴿ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ أي قاتلوا في سبيل الله ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ أي يسمع دعاءكم ويعلم ما في قلوبكم ، فإن كان طلبكم للقتال لأهواء نفوسكم فالله يعلمه ولا تنصرون ، وإن كنتم مخلصين لله في ذلك فالله يعلمه وأنتم المنصورون الغالبون ، وإن قتلتم فهي بغيتكم ونحن نحييكم الحياة الدائمة ، فعلم الله منهم صدق النية فأحسن متقلبهم ومثواهم وأنالهم مشتهاهم ، وبالعكس قوم طالوت كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول لأصحابه « انظروا إلى هؤلاء » يعني قوم طالوت ، و ﴿ الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ والفرق بين الفريقين القصد والنية .. اللهمّ أحسن نياتنا وعاقبتنا في الأمور كلها يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على مولانا محمد وعلى آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علمك .. آمين ..

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن استدلال من منع قراءة المؤتمّ بالفاتحة فى الجهرية خلف الإمام بقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ .

فأجاب : ليس ذلك بدليل لهم ، والجواب على من استدلّ به أوضح من الشمس ، وذلك أن الله تعالى يقول : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ وهو صلى الله عليه وآله وسلم قال « صلوا كما رأيتمونى أصلى » وثبت فى الأحاديث الصحيحة التى ليست بمعارضة ولا منسوخة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « كان يسكت بعد تكبيرة الإحرام سكتة طويلة ومثلها بعد تمام الفاتحة ويقف على رءوس الآى » فالمؤتم مخير فى أن يقرأ الفاتحة إما فى السكتة الأولى وإما فى السكتة الثانية ، أو كلما وقف الإمام عند رءوس الآى ، فإن فعل كذلك فقد فعل ما أمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى قوله « لا صلاة إلا بأمّ القرآن » وقوله « كل صلاة لا يقرأ فيها بأمّ القرآن فهى خداج ثلاثا » أى إن لم يأت فيها بأمّ القرآن واستمع قراءة الإمام وأنصت لها فى حال قراءته ولم ينازعه بالقراءة ، فإن لم يسكت الإمام فى هذه المواضع فهو الذى فرّط . وأما المؤتمّ فلا تسقط عنه قراءة الفاتحة لأنه مأمور بالإتيان بها ، والإمام هو الذى ألجأه واضطرّه أن ينازعه بالقراءة ، فالتفريط من الإمام إذا لم يسكت فى المواضع التى كان يسكت فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والله المستعان ..

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن الأوقاف التى وقفها الواقفون على أئمة الصلاة والمقيمين مع أن الأجرة محرّمة عليهما ، لأن أجر الصلاة على

الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ ونحن مأمورون باتباعه صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اجعل لمسجدك مقيما لا يتخذ عليه أجرا » ..

فأجاب : أنه ينبغى للإمام والمقيم إذا صرف إليهما شيء من هذه الأوقاف أن يتورّعا عن الأكل منها فيأخذان ما صرف فيهما ثم يصرفانه على مستحقيه ظاهرا إن لم يخشيا على نفسهما الرياء ، أو باطنا إن خشياه ، والصارف الذى هو المتولى على تلك الأوقاف يصرفها فيهما امتثالا لأمر واقفه إلا أن يظهر له أنه لولا هذه الأجرة ما صلى الإمام ولا أقام المقيم فلا يجوز له الصرف فيهما وإن خالف أمر الواقف ، ولا ينبغى له أن يفتش عن ذلك ولا يبحث عن قصدهما بل يحملهما على الظاهر ، والظاهر فى حقهما أن أخذهما ليس فى مقابلة الصلاة ، وإنما أخذهما لكونه وقف الواقف عليهما كأن يقف الواقف على رجل وقفا وليس هو بإمام ولا مقيم فهو يأخذها امتثالا لأمر الواقف لأنه وقفها عليه ، فالظاهر من قصدهما هذا ولا يبحث عن غيره ، وبالله التوفيق ..

وسئل رضى الله تعالى عنه : عما إذا وجد الإنسان فى ثوبه منيا وتيقن أنه احتلم ولكنه ما عرف فى أىّ نومة هو ؟..

فأجاب : أنه يحمله على آخر نومة نامها ولا يعيد من الصلوات إلا ما بعدها بعد أن يغتسل ، فإن مثل هذا اتفق لعمر رضى الله عنه ، وهو أنه صلى بالناس صلاة الصبح ثم خرج إلى بلاد له فرأى فى ثوبه منيا تيقن منه أنه احتلم ، فاغتسل ثم أعاد صلاة الصبح فقط ولم يأمر

أحدا ممن صلى معه أن يعيدها ، فعلم أنه حمل ذلك الاحتلام على آخر نومة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ..

وسئل رضي الله تعالى عنه : عن الحديث الذى سماه أهل المصطلح مقلوبا ؟ ..

فأجاب : أن ذلك غلط وليس بمقلوب ، وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم « إذا سجد أحدكم فلا يبرك كما يبرك البعير وليضع يديه قبل ركبتيه » ففهم الناس أن البعير إذا برك قدّم يديه ، فاذا وضع الإنسان يديه قبل ركبتيه فقد تشبه بالبعير الذى نهى عنه صلى الله عليه وآله وسلم فألجأهم هذا الحديث إلى أن يقولوا : مقلوب ، وأنه انقلب على الراوى وإلا فآخر الحديث « وليضع يديه قبل ركبتيه » وهذا غلط فاحش نسخوا أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بهواهم وليس إلى العلم فيه سبيل ، والحديث تفسيره ظاهر ، فإن قوله صلى الله عليه وآله وسلم « إذا سجد أحدكم فلا يبرك كما يبرك البعير » والبعير يبرك على ركبتيه وإن كانتا فى يديه ، لأن ركبتى البعير فى يديه وركبتى الإنسان فى رجليه ، ولذا أتى بالعطف التفسيرى بقوله « وليضع يديه قبل ركبتيه » ليزيل الوهم الذى وقعوا فيه ، فاذا قدّم الإنسان وضع ركبتيه على يديه فقد تشبه بالبعير فى كونه يبرك على ركبتيه من غير نظر إلى كونهما فى يديه ، وركبتا الإنسان فى رجليه وركبتا الجمل لغة وعرفا فى يديه ، وأما ما رواه وائل بن حجر قال« رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا سجد وضع ركبتيه قبل يديه ، فاذا نهض رفع يديه قبل ركبتيه » فهذا فهم الصحابى وفهم الصحابى ربما يخطئ لأنه ليس بمعصوم فلا يقابل

ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والله الهادى إلى الصواب .

ومما أورده رضى الله تعالى عنه من الأحاديث :

الحديث الأول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ثلاثة لا يحبهم ربك : رجل سكن بيتا خربا ، ورجل نزل فى محلّ السيل ، ورجل أرسل دابته وجعل يقول : ياربّ احبسها يارب احبسها » .

والثاني : « ثلاث من فعلهنّ فقد استكمل الإيمان : بذل السلام للعامة ، والإنصاف من نفسك ، والإنفاق من الإقتار » .

الثالث : « من حضر إملاك امرئ مسلم فكأنما صام يوما فى سبيل الله اليوم بسبعمائة يوم ، ومن حضر جنازة امرئ مسلم فكأنما صام يوما فى سبيل الله اليوم بسبعمائة يوم ، ومن حضر ختان امرئ مسلم فكأنما صام يوما فى سبيل الله اليوم بسبعمائة يوم » .

الرابع : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « بعد قليل ثم يظهر الجور ، ما ظهر شيء من الجور إلا ذهب مثله من العدل حتى يولد ناس فى الجور لا يعرفون غيره ، ثم يأتى الله بالعدل كلما ظهر شيء من العدل ذهب مثله من الجور حتى يولد ناس فى العدل لا يعرفون غيره » .

الخامس: قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم وهو قابض على يديه يمينه وشماله ، فقال للذى فى يده اليمنى : هذا كتاب من ربّ العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم ثم أجمل على آخرهم لا يزاد

فيهم ولا ينقص ، ثم قال للذى فى شماله هذا كتاب من ربّ العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم ثم أجمل على آخرهم لا يزاد فيهم ولا ينقص ، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم : فرغ ربكم » .

وسئل رضى الله تعالى عنه : هل يستنبط من سرّ ألسنة العرب أنه يجب على كل قارئ تجويد القرآن ، وذلك مثل قولهم فى لفظ الحلق فإن فخمته كان اسما لمجرى الأكل والشرب من أقصى اللسان ، وإن رققته كان اسما لحلق الشعر مصدر حلق .

فأجاب : أنه لا يجب ذلك فانه موسع فيه أن يقرأه كل أحد بما يطيقه لسانه ، والمراد منه العمل به قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ فقوله : ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ ﴾ أى يؤمنون به لا أن معناه يقيمونه فى ألسنتهم .

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن قول من قال : الحمد لله كما يستحقه وأضعاف ما يستحقه ، كيف تكون مضاعفة ما يستحقه من الحمد مع أنه لا يحصر؟ .

فأجاب بأنه لا ينحصر ، وما ذلك إلا تفويض إلى الله تعالى فى إدراك معناه ، وفى الحديث ما معناه أن العبد إذا ذكر ذكرا يمكن الملائكة ضبطه وحصره فعلوا ، وإن لم يأمرهم الله أن يكتبوه فى صحيفة العبد بلفظه ووكلوا حصره وضبطه إلى الله تعالى وهو تعالى يعلم كل شىء بقدر علمه وقدرته ، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « مثقال حبة من خردل من أعمال القلب خير من أمثال الجبال الرواسى من أعمال الجوارح » . وسئل

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « أيّ الحجاج أعظم أجرا ، أيّ المصلين أعظم أجرا ، وأيّ المزكين أعظم أجرا وأيّ المجاهدين أعظم أجرا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أكثرهم لله عزّ وجلّ ذكرا » .

وسئل رضي الله تعالى عنه : عن قوله تعالى ﴿ **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ هل المعية بالذات والعلم أو بالعلم فقط ؟

فأجاب : بأن المعية منه سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وكما يعلمها لنفسه فإن العقل لا يهتدى إليها ، ولو كلف الله العقول بمعرفتها لحملها مالا طاقة لها به : ﴿ **ربنا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ** ﴾ فإن الأعمى الأكمه إذا قال لمبصر : صف لى السواد واجتهد لى فى وصفه حتى تخيله لى تخييلا لا يخطئ حقيقته فلا يقدر المبصر أن يزيد على قوله سواد، فيقول الأكمه : ما معنى سواد ، فاذا أراد لمبصر أن يزيده تقريبا يقول له عكس البياض ، فهل تراه يستفيد الأكمه بهذا الوصف ، بل لا يعرف إلى ماذهب إليه وهمه إلا الله فتعرف أنه لا يتميز له السواد إلا إذا خلق الله له عينين ثم بعد أن يصير مبصرا تقول له : هذا السواد فيراه عيانا ، فاذا عرفت أيها السائل هذا المثال علمت أن كلنا فى ذات الله كمه . وفى الحديث « كلكم فى ذات الله حمق وأنا أعرفكم طريق النجاة » وأنت لابد أن تسأل يوم القيامة عن ذلك ، وإذا سئلت فلابد من الجواب ، وإذا قلت ياربّ وكلت الأمر إليك فى ذلك وآمنت فى ذلك بالغيب لأنى لم أقف على كلام منك ولا من رسولك أن

المعيـة بالذات والعلم أو بالعلم فـقط ولا علم لى بشىء إلا مـا أتى عنك أو عن رسولك ، فإذا كان هذا جوابه أتراه يعطب أم ينجو بين يدى العدل الحكيم ؟ ، وإذا قـال ياربّ خشيت أن يضلّ عـبادك إذا أبقيت الآية على ظاهرها فقلت بالعلم لا بالذات يقول له الحقّ لا محالة أنا أقول إن القرآن هدى وأنت تقول مـضلّ ولولا كـلامك أنت لضلوا بكلامى ، فلولا أنك قطرت القـرآن إلى اعتقادك لضلّ الناس ، وهل أنا قلت في كتابى العزيز خطابا لرسولى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ أو قلت ليبينه للناس فلان فهذا عاطب ، هنالك قامت الحجة كالشمس إلا أن يتجاوز الله عنه ..

اللهمّ ألهمنا رشدنا حتى لا نتكلم إلا فيما يعنينا يا أرحم الراحمين ..

والفار من قوله بالذات وقع فى حفرة أعظم مما فرّ منه ، لأنه أراد أن يتنزّه الحقّ تعالى عن قوله بالذات ، والذى ألجأه إلى هذا الفرار أنه قاس على الذوات المعروفة بالعيان ، ومن شرط القياس المماثلة ، والله ليس كمثله شيء ، فانه لا يعلم قدره غيره ، ولا يبلغ الواصفون صفاته ، فإن موسى عليه الصلاة والسلام رآه ولم ير إلا النار هناك مع أنه بعد ترقيه عليه الصلاة والسلام فى أعلى درجات نبوّته ونيله لمرتبة الرسالة وهلاك عدوّه ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي ﴾ وذلك لأنه سأل الله أن ينظر إليه فى كنه جلاله وجماله الذى لا يكون من المخلوقات شيء له قابلية تقدر على أن يتجلى لها به ، وأما بقدر قابليته عليه الصلاة والسلام فقد تجلى له فى النار ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ ثم فى تكليمه تعالى له لما أدرك فى كل عضو منه وكل شعرة وكل جارحة منه تلذذا لا يضبطه قياس ولا يعرفه إلا من ذاقه ، قال : ياربّ أهكذا

كلامك؟ قال: إنما أكلمك بقوّة عشرة آلاف لسان ولي قوّة الألسن كلها وأقوى من ذلك ، ولو كلمتك بكنه كلامي لم تكن شيئا ، هذا في السماع من وراء الحجاب ، فكيف الرؤية ، ثم تجلى تعالى للجبل وجعله دكًا وخرّ موسى صعقا ، وإنما تجلى له كما قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم بقدر ثلث الخنصر من جميع اللذات ، فانظر إلى بطلان كلام من فكر بعقله فقال : بالعلم لا بالذات ، أتضبط ذات من لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ الواصفون صفاته بعقل ، بل﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ ﴾ من جميع الخلق صامت وناطق وجامد ومائع وساكن ومتحرّك ، لأن كل شيء له مع الله مناجاة لأن الصلاة مناجاة بين العبد وربه ، وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ ــ﴿ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ مع أن كل شيء مشتمل عليه زمان ومكان ، وهو تعالى كما كان لا يشتمل عليه زمان ولامكان في حال كونه تعالى على العرش استوى في حال كونه تعالى سمع عبده الذي يحبه وبصره ويده إلى آخر الحديث من غير مزج ولا كيفية ولا يرجع العبد ربا ولا الربّ عبدا ، بل كيف يشاء وأين يشاء كما يعلمه لنفسه وتقول : آمنا بالله على مراد الله ووكلنا كل الأمور إليه ونقول ما قالت الملائكة الكرام عليهم الصلاة والسلام ﴿ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ .

وسئل رضي الله تعالى عنه : ما معنى الاعتبار ؟ قال : هو المجاوزة ، يقال : عبرت الوادي بمعنى جاوزته ، وعبرت الرؤيا أي جاوزتها إلى المعنى

المقصود منها ، وقوله تعالى : ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ ﴾ أى جاوزوا ما أبصرتم من الآيات الذاتية والآفاقية وما سمعتم من الآيات القرآنية إلى غيرها وهو الله تعالى فكل ما فى الوجود يدلّ عليه سبحانه وتعالى ، وهو معنى قول القائل : والله ما رأيت شيئا إلا رأيت الله معه ، والآخر قال : إلا رأيت الله قبله : أى استدل بالله تعالى على مخلوقاته، فهذا الأخير أعلى درجة ، لأن الله تعالى عند من عرفه حقّ معرفته لا يستدل عليه بل هو الدليل على وجود مخلوقاته سبحانه وتعالى .. اللهمّ عرّفنا إياك حقّ المعرفة يا أرحم الراحمين يا أقدر القادرين ، إنك تفعل ما تشاء وأنت أكرم الأكرمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله أجمعين .

وسئل رضى الله تعالى عنه : مامعنى قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فى حجة الوداع « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت منه لم أسق الهدى ولجعلتها عمرة ! » .

فأجاب : بأنه صلى الله عليه وآله وسلم ساق الهدى فنزل عليه الوحى بأن يحجّ قارنا فتبع الحقّ مراده كما تبع الحقّ مراده ومراد أصحابه فى أسرى بدر لما قبلوا منهم الفدية ، فعاتبهم الله تعالى بعتاب لطيف حيث قال : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْلا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ثم اتبع الحقّ مرادهم بأن قال ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ فأحل الله تعالى لهم الغنيمة اتباعا لمرادهم مع أنها كانت محرّمة على من قبلهم وكانت تنزل نار



من السماء تأكل الغنائم ، وهذه معاملة الحبيب لحبيبه تعود الجمرة تمرة ، فالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لو لم يسق الهدى لما أوحى إليه أن يحجّ قارنا ، وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت منه لم أسق الهدى ولجعلتها عمرة » ومن هذا الباب « يدور الحقّ حيث دار عمر » والله ورسوله أعلم ..

وقال رضى الله تعالى عنه : لما سئل عن معنى قول الله تعالى : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ أعطى الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة أسرى به ثلاثة علوم : علم أمره بتبليغه ، وعلم أمره بكتمانه ، وعلم خيره فيه ؛ فالذى أمره بتبليغه هو علم الشريعة ، ومن قام بها حقّ القيام من غير تبديل ولا تغيير بل سلك الطريق التى نهجها له الكتاب والسنة بحسن نية وإخلاص تولى الله سبحانه وتعالى تعليمه العلمين الآخرين ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ وذلك لأن هذه الشريعة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام هى أصل كل سعادة ومنها تتفرّع الخيرات وتنمو البركات ، وهى الحبل الممدود من السماء إلى الأرض ، فمن حفظ هذا العلم الظاهر حقّ حفظه حتى عمل بمقتضاه علمه الله أسراره وأسراره ، هما العلمان الآخران ، لأن القرآن جامع لثلاثة علوم ، فمن فتح الله بصيرته اطلع على أسراره ، ولا يكون ذلك إلا بالقيام بحقّ ظاهره من جميع الوجوه ، رزقنا الله ذلك وبلغنا ما هنالك ، آمين ياربّ العالمين ..

وقال رضى الله عنه : من علت همته فى طاعة الله تعالى ورسخ

قدمه فيها قصد معالى الأمور فى الأفعال والأقوال ، وقصد فى معانى ما علمه الله تعالى من النطق ماعلا ، وما ينتهى إلى ذلك إلا أنظار من نوّر الله تعالى بصائرهم ، وإذا أردت أن يسلك بك هذا المنهاج فأنا أشير إليه بتفسير قولك : الحمد لله ، فمعناه أن الله هو الذى حمد نفسه بلسان عبده ، وتفضل سبحانه على عبده بأن أجرى حمده على لسانه ، فاذا قصد العبد هذا المعنى فمن أين يبقى للعجب أو للرياء مدخل ؟ ثم إذا تقرّب العبد من ربه جلّ وعلا حتى صار الحقّ سمعه وبصره ولسانه فهنالك الدرجة العليا والمرتبة العظمى ، فيصير معنى قول من كانت هذه صفته: الحمد لله. حمد الله تعالى نفسه بنفسه، ومحيت عنه ظلمه البشرية بأنوار الأحدية فيصير جميع تصرّفاته تصرّفات الحقّ تعالى : وهو معنى الغفر : أى تغفر البشرية بمعنى تغطى ، لأن غفر الشىء تغطيته ، ومنه المغفر وهو الذى يغطى به الرأس ، فاذا قال : ربّ اغفر لى ، فمعناه غطّ بشريتى وامحها بأنوارك ، وهذا مسلك هذا اللسان ومشرب أهله : ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وقال رضى الله تعالى عنه : للقرآن بطن وظهر وحدّ ومطلع ، فبطنه يعلمه الخواصّ وظهره علم الشريعة ، والحد هو معنى كونه جامعا لمعرفة الله تعالى وضابطا لها ، والمطلع لا يعلمه إلا الله تعالى ويعلمه لمن يشاء وهو كونه فى كل كلمة منه كل شىء ، وفى كل حرف منه جميع الحروف ، وذلك كالعالم الإنسانى جميعه من أوله إلى آخره جميع ما فيه فى إنسان واحد ، فإن قولك : هو : حرف واحد ، وإنما أتى بالواو عند إشباع الضمة ليمكن النطق بها فهو حرف واحد ، وهو اسم الذى أوجد جميع الكون من العدم سبحانه وتعالى ، ولهذا كان أنين المريض توحيدا لأنه أتى بالهاء فى قوله : آه ،



وإنما أتى بالهمزة قبلها ليمكن النطق بالهاء : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ .

وقال رضى الله تعالى عنه : كلما قرب العبد من الحقّ تعالى زاد إذلاله ، فانه إذا صار الحقّ سمعه وبصره إلى آخره قوى أثر العبودية فى الضمير المتصل بالبصر فى قوله : كنت بصره ، وكلما تذلل قوى اتصاله .

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن القدر، وقد تقدم الخوض فيه فى أثناء هذه الكراريس ، ولكن هذا تتمة له ضرب مثلا فى مجرّد قصته ، **فقال :** كان بعض الملوك يقرّب أحد وزرائه فحسده الآخرون فأراد أن يظهر وجه حبه له وتقريبه ، فبعث بجوهرة ثمينة لا توجد إلا فى خزائن الملوك إلى كل واحد من الوزراء ، وأمر كل واحد منهم أن يدقها دقا ناعما ، فكل واحد منهم فكر فى نفسه وقال : ما أراد الملك بهذا إلا اختبارى فيصحب معها هدية ثم يرجعها إلى الملك ويقول له : يا سيدى هذه الجوهرة عظيمة القدر وقد أمرت أن أدقها فلم أستحسن ذلك لأن إتلافها محض إسراف وإضاعة مال ، وليس فى دقها فائدة ، فيقول الملك : أحسنت ، فبعث بجوهرة إلى ذلك الوزير المقرّب وأمره بدقها ، فبمجرّد ما وصلت إليه أمر بالمهراس ثم دقها دقا ناعما وجعلها فى قرطاس ودخل على الملك فناوله القرطاس فقال ، ماهذا ؟ قال : هذه الجوهرة التى أمرتنى بدقها ، قال : كيف هذا ، أتتلفها وقد علمت ما هى عليه من النفاسة وتعلم مقدار ثمنها ؟ فلم يحتجّ عليه فيقول أنت الذى أمرتنى ، بل قال : قد أخطأت ولكن العفو ، فنسب الخطأ إلى نفسه فازداد قربا لديه ..

وقال رضى الله تعالى عنه : من لم يشرب من مشرب أهل الله

تعالى فهو غبيّ عن حالهم فأولى له السكوت عنهم وإن لم يقبل كلامهم عقله ، فإن بعضهم لما سمع قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ نزل به حال فقال : بطشي أشدّ ففي الظاهر أن هذه الكلمة بشعة وليست كذلك ، فإن معناها مستقيم ، وهو أن الله سبحانه وتعالى إذا بطش لم يفرغ في بطشه ذلك جميع ما يقدر عليه من القوّة والبطش لأنه ليس لذلك حدّ ، بخلاف الإنسان إذا غضب وأراد أن يبطش أفرغ جميع ما يقدر عليه من القوّة والقدرة ، وهذا معنى مستقيم لا شيء فيه من الغلوّ . وقال بعضهم : الله لا يعلم الغيب ، فظاهره فيه بشاعة وليس كذلك ، بل معناه أنه ليس عند الله غيب حتى يعلمه بل الغيب عنده مشهود ، وإنما يعلم الغيب باعتبار ما عند العبد ، وهذا المعنى لا غبار عليه ، والله الهادى إلى الصواب ومن ظنّ فيهم ظنّ السوء وكذبهم فقد دخل في معنى قوله تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ﴾ لأنه لا سبيل إلى الإحاطة بما يكنه باطن الإنسان ، بل لا يحيط بما يشتمله ظاهره ، فاعتقد تغنم أو سلم تسلم ، وفائدة الاعتقاد لا تحصل في الانتقاد ، وأرض المنتقد لا تساوى سماء المعتقد .. اللهمّ أعد علينا من بركات أوليائك ، واجعلنا من صالحي خير أمة خير أنبيائك وأصفيائك آمين يارب العالمين .

وقال رضى الله تعالى عنه لما سئل عن قول الله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ ما السرّ في جمع الظلمات وإفراد النور ؟ النور مفرد للفرد الصمد جلّ جلاله والظلمات للمتعددين ممن سواه ، وجميع الآيات التي في القرآن المذكور فيها النور والظلمات لا يؤتى فيها بالنور إلا مفردا ، والظلمات

جمع مثل قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾ والتى قبلها : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ وغير ذلك من الآيات .

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ ما حقيقة هذا الوحى ؟ .

فأجاب : بأن هذا الوحى بواسطة نبيهم مثل قوله تعالى : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ وهو لم ينزل إليهم ، وإنما نزل إليهم بواسطة نبيهم.

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن قول الله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ ﴾ مع أنه قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ ﴾

فأجاب : أن الوحى الذى أوحى الله تعالى إلى أم موسى وإلى مريم بنت عمران وحى غير وحى الرسالة ، لأن وحى الرسالة لأن وحى الرسالة لا ينبغى إلا للرجال ، لأن رتبة النساء التأخير ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ ﴾ ليس بحصر للوحى إنما هو حصر للرسالة، وكذلك المكالمة فانها ليست للأنبياء خاصة ، فقد تكون للأولياء ، وإنما مكالمته تعالى للأنبياء المرسلين على قدر مقامهم وهو تبليغ الرسالة ، ومكالمة الولىّ فيما هو فيه خاصة ، ثم ضرب رضى الله تعالى عنه مثلا بأن قال : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ ﴾ ألا ترى أن الملك يكلم سوّاس الخيل بما هم

فيه من إصلاح أطعمتها وأشربتها وعدّتها ، ويكلم الأمير بما هو فيه من ترميم أحوال المتأمر عليهم والسيرة الحسنة فيهم ، ويكلم خواصه بالأسرار التى لا يريد أن يطلع عليها أحد ، والذى ألجأ من بنى على عدم التكليم إلا للرسل أنه جعل باب المكالمة واحدا ، ولو اطلع على ذلك لما حكم ، وقول الله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ ليس بحصر إنما هو تعالى يكلم كل أحد بقدر قابليته، فهو تعالى كلم موسى تكليما كاد يذوب منه ويتلاشى تركيبه ، فمن شدة ما حصل معه قال : يا ربّ أهكذا كلامك ؟ فقال : إنما كلمتك بقوّة عشرة آلاف لسان ولى قوّة الألسن كلها ، ولو كلمتك بكنه كلامى لم تكن شيئا ، وقابلية موسى عليه الصلاة والسلام فى ذلك الحين تقوى على ذلك ولم يزل بعد ذلك مترقيا ، والنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قال « أوتيت جوامع الكلم » فهذا أعلى مقامات الكلام فى أعلى مراتب القوابل ، فانها لم تنته قابلية أحد من المرسلين إلى أن تقبل جوامع الكلم . اللهمّ صلّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وأذقنا حلاوة الإيمان بما جاء به .

وقال رضى الله تعالى عنه فى معنى الدعاء النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام « اللهمّ حبب الموت إلى من يعلم أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم رسولك » معناه أنه لم يحبّ الموت إلا من كثر شوقه إلى لقاء ربه ولم يرض بالحياة الدنيا ولم يطمئنّ بها ، وأما من رضى بها واطمأن بها فإنه لا يحبّ الموت ، قال تعالى فى حقّ أهل الكتاب : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ وقال تعالى فى حقّ المؤمنين : ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ

رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ وأما قول عائشة رضى الله تعالى عنها : « كلنا نكره الموت يا رسول الله ، فهو هنا فى حال مخصوص ، وهو أنه قد يعترى المؤمن خوف من أن يلقى ربه وهو غير ذاك من جميع الوجوه أو يذكر ذنوبه فيظنّ أنها لم تغفر فهو يحبّ الحياة لا لكونه راضيا ولا مطمئنا بها وإنما يحبها لأجل أن يدأب فى الأعمال التى تقرّ به إلى الله وتغفر بها ذنوبه ويترقى فى معالى الأعمال ، وهو لا يحصل له ذلك إلا فى قيد الحياة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ..

وقال رضى الله تعالى عنه فى قول الله تعالى فى قصة سليمان عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ ليس كما قال المفسرون إن الجسد غير سليمان بل هو سليمان نفسه بينما هو فى ملكه نافذا أمره فيمن تحت مملكته إذ سلب عنه السرّ الذى به انقيادهم وتسخيرهم له فلم يلتفت إليه ولم يطع أمره ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنَابَ ﴾ أى رجع إلى ربه لتنبهه إلى أنه تبارك وتعالى فتنه بذلك ، والفتنة هى الاختبار ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ ﴾ وذلك بعد أن قطع رءوس الخيل وسوقها جاءت الفتنة ، وحين أناب : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ﴾ وقد يظنّ أنه عليه السلام سأل ربه الملك الذى لا ينبغى لأحد من بعده محبة له وطمعا فيه ، وليس كذلك ، ولكن سأل ذلك رحمة وشفقة وتخفيفا لمن بعده لأن على الملك لكل واحد ممن تحت وطأته حقا بالغين ما بلغوا، فإن قلوا فبحسبهم ، وإن كثروا فبحسبهم ، وصاحب الحقّ له مقال ، قال صلى الله عليه وآله وسلم « دعه فإن لصاحب الحقّ مقالا » وهو المعنى الذى أشار إليه عمر رضى الله عنه حيث قال لأحد أولاده : أتحسب أن أباك ملك إنما هو عبد

للناس : أى خادمهم وهو سيدهم ، لأن خادم القوم سيدهم ، وهنا جاءت مسألة الدور فكل من الراعى والرعية سيد ومسود ، وهى العلة التى بها اختار نبينا صلى الله عليه وآله وسلم العبودية حيث خير بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا لأنه لا يريد أن يشغل قلبه بحقّ لغير الله تعالى ، قال صلى الله عليه وآله وسلم « لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا » .

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن قول الله تعالى حاكيا عن إخوة يوسف : ﴿ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ ﴾ ما معنى مزجاة ؟ ..

فأجاب : بأن المزجاة : القليل ، ويدل على ذلك ما بعده ﴿ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ أى لا تنظر إلى ما جئنا به فإنه قليل ، وكذلك قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ﴾ أى ينشئه ضعيفا قليلا ، ولذا قال تعالى ﴿ ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا ﴾ أى يكثره وينميه بعد أن كان ضعيفا قليلا ، وكذلك مخلوقات الله تعالى كلها أول ما يبرزها جلّ وعلا الى الوجود فى غاية من الضعف ثم ينميها ، فان النخلة أول ظهورها من جوف النواة فى غاية من الضعف ، ثم لا تزال تنمو حتى تصير إلى ماترى من التفرع والكبر كذلك كل مولود ، وذلك أشدّ دلالة على القدرة الباهرة سبحانه وتعالى ما أقدره من منعم ، وقولهم فى حلية النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أزجّ الحاجبين : أى قليل شعر حاجبه ، وقلة الشعر فى الحاجبين هى غاية الكمال صلى الله عليه وآله وسلم .

وسئل رضى الله تعالى عنه : ما معنى الحديث « الرؤيا على جناح طائر إذا قصت وقعت » وفى لفظ « الرؤيا معلقة برجل طائر ما لم يحدّث

صاحبها ، فإذا حدّث بها وقعت » فلا تحدث بها إلا صديقا صاحبا أو ناصحا أو حبيبا ، فاذاً معنى ذلك المراد التعبير ، فاذا عبرها أحد وقع ذلك التعبير، وقد تعبر ولا يقع فى الغالب .

فأجاب : بأن معناه بالفعل ، فان بعض المشايخ رأى كأنه أعطى تلميذا له عمامته ثم قام إلى التلميذ فقال له : إنى قد رأيت كذا وكنت أريد أن أعطيك عمامتى فى اليقظة ، ولكن أخشى أن يكون ذلك تعبيرها فلا أعطيك إياها ليبقى تعبيرها بيد الله سبحانه وتعالى ، وكذلك رأى بعض المحدّثين أن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم سقاه لبنا فقام من نومه يتقيأ لينظر صحة الرؤيا فحرم تعبيره إذ لو لم يتقيأه لأعطى من العلم بقدر ذلك اللبن ، والله أعلم

وقال رضى الله تعالى عنه : قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ ثم مقت سبحانه على الكفار لما قالوا كذلك ، فقال حاكيا عنهم : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾ وقال تعالى فى الردّ عليهم : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ وذلك لأنهم قالوا كلمة حقّ يريدون بها باطلا ،وليس قولهم ذلك تصديقا وإيمانا ولكنهم قالوها احتجاجا بالقدر فكان مقتا عليهم والاحتجاج بالقدر هو الخطر العظيم ، وكذلك عدم الإيمان به، والصراط المستقيم فى ذلك لمن أراد أن يسلك أسلم المسالك هو الإيمان بالقدر مع عدم الاحتجاج ..

وحسبنا الله ونعم الوكيل ...

وقال رضى الله تعالى عنه : القرآن قد يحتمل العدل ويحتمل الرحمة

فى كثير من الآيات كقوله تعالى ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ومثل ذلك كثير فحمله على معنى الرحمة أولى وأحسن ، وهو معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن الوجوه » لا على ما زعم كثير من الناس أن المراد بذلك تفسيره على أحسن وجوهه ، فأدّى هذا إلى أن كل واحد يفسره على قدرما سنح له من الرأى ، فأوقع كثيرا فى الغلط وحملهم على التلاعب بمعانى القرآن بالتأويلات الفاسدة، وأخرجوه عن معناه الظاهر الذى هو بيان وهدى ، قال تعالى ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى ﴾ فاذا عرفت هذا علمت أن المراد بقوله « فاحملوه على أحسن وجوهه » : أى اعملوا منه بأحسن وجوهه ، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث متمما لمكارم الأخلاق، فاذا احتملت الآية خلقين أحدهما أحسن من الآخر عمل بالأحسن ، فالصبر أولى من المعاقبة ، والتصدّق بالقصاص أولى من القصاص وغير ذلك ، والله الموفق والهادى للصواب .

وقال رضى الله تعالى عنه فى معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اللهمّ ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر » : معناه أن من قال كذلك صباحا أو مساء فقد صار نائبا عن جميع المخلوقات ناطق وصامت وجامد ومائع ومسلم

وكافر فى الحمد فيعود عليه أجر ذلك الحمد عن كل فرد من المخلوقات ، وهذا شيء لا يعلمه ولا يحصره إلا الله سبحانه وتعالى ، فسبحانه ما أكرمه جلّ وعلا يجازى بهذا الجزاء الذى لا يعدّ ولا يحصى على كلمة واحدة ، ثم انظر بلاغة كلام من لا ينطق عن الهوى الذى أعطى جوامع الكلم صلى الله عليه وآله وسلم ..

وقال رضى الله تعالى عنه : خلوص العمل هو أن لا يعمل الإنسان لأجل شيء فإن عمل الإنسان لأجل دنيا أو لخوف من النار أو لطمع فى الجنة فهو العمل المعلول ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا يكن أحدكم كالأجير السوء أن أعطى عمل وإن لم يعط لم يعمل ، ولا كالعبد السوء إن خاف عمل وإن لم يخف لم يعمل » فقال بعض الحاضرين : ففى الحديث « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظلّ إلا ظله ، ومن جملتهم : رجلان تحابا فى الله » فإذا أحبّ إنسان إنسانا لأجل ذلك أهو معلول ؟ قال : نعم هو معلول ، وإنما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنهما ممن يظلهم الله فى ظله جزاء لهما ، وأما هما فليسا بعالمين حال تحابهما بهذا الجزاء أو عالمين لكنهما لم يتحابا لأجله بل تحابا فى الله اجتمعا على رضاه ، وافترقا على رضاه من غير نظر إلى شيء ، فكان ذلك جزاءهما ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ ، اللهمّ اجعل أعمالنا وأقوالنا خالصة لوجهك الكريم بحرمة القرآن العظيم والنبىّ الكريم والصحابة أجمعين وعبادك الصالحين ..

وقال رضى الله تعالى عنه : قال الله تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ

يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ فكل من سوى الله جاهلية ، فاذا لم يرض العبد بحكم الله تعالى فيه فقد بغى حكم الجاهلية ، فإن المرض مثلا وجميع البلايا التى هى من الله سبحانه وتعالى هى حكم الله فى عباده ، فاذا تلقاها بالرضا والتسليم فقد امتثل لحكم الله تعالى وعلم أن كل ما كان من الله تعالى فهو خير وإن كان فى الظاهر شرّا ، فلو كشف له الغطاء لاختار ذلك الابتلاء.. اللهمّ بارك لنا فيما قدرت لنا ورضنا بقضائك حتى لا نحب تأخير ما عجلت ولا تعجيل ما أخرت يا أرحم الراحمين، ومن لم يرض إلابما هويته نفسه فقد بغى حكم الجاهلية ولو اتصل بكل ما هويته نفسه لتغير حاله وفسد حتى لو كشف له ذلك لفرّ مما هويته نفسه أعظم فرار، قال الله تعالى: ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾..

وقال رضى الله تعالى عنه : قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ الإشارة فى قوله ولذلك عائدة إلى أمةواحدة باعتبار الأمر ، لأن الله سبحانه وتعالى أمر بالاجتماع ونهى عن الافتراق . قال الله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ أى يجتمعوا على عبادتى وهى عائدة إلى « ولا يزالون مختلفين » باعتبار الإرادة لأن الله سبحانه وتعالى خلق خلقا للنار، ولذلك وقع الاختلاف بين أهل الجنة وبين أهل النار، فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير .

وقال رضى الله تعالى عنه : تكبيرة الإحرام للصلاة هو أن ينسى المصلى كل شىء سوى الله ويسبح فى الكبرياء والعظمة ، ثم كلما انتهى إلى نهاية فى الكبرياء فالله كبرياؤه فوق ذلك ، ولهذا يجدّد التكبير عند الركوع فيقول الله أكبر : أى أكبر مما انتهيت إليه فى السباحة فى كبريائه ، ثم هكذا إلى وسط الصلاة فيتحقق عجزك عن أن تسبح فى جدول من بحور كبريائه فتعود ثم تصل إلى الخلق فى آخرالصلاة ، فتقول : السلام عليكم ورحمة الله لأن التسليم لا يكون إلا من عائد من سفر ؛ فأما الذى هو حاضر فيلتفت على من على يمينه ويقول السلام عليكم وعلى من على يساره ويقول السلام عليكم ، فهو يعدّ من الجنون لأنه ليس بمشروع فى حقه .

وقال رضى الله تعالى عنه : إذا اطلعت على عصيان عاص فاكره منه ذلك الفعل فى تلك الساعة ولا تحمله عليه من بعد لأنه ربما يكون ذلك الرجل مغفورا له ولا يضرّه ذنب ، فإن الصحابة رضى الله تعالى عنهم لم تضرّهم الذنوب ولا عبادة الأصنام ولا قتل البنات بل هم خير الخلق بعد الأنبياء ، ولهذا قال الله تعالى فى كتابه العزيز مخاطبا لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ فأمره تعالى بأن يتبرأ من عملهم لا منهم ، ثم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما بلغه أنّ خالد بن الوليد قتل الذين قالوا: صبأنا وهم قاصدون بذلك الشهادة والإسلام قال : « اللهمّ إنى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد » ولم يقل من خالد ، فهذا الصراط الذى به النجاة ، ثم إن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ فينبغى التخلق بأخلاق الله تعالى لا كما هو عادة الناس إذا رأوا رجلا فعل معصية حملوه عليها ورأوه بها مدة حياته ، نعوذ بالله من هذه

الأخلاق ، بل إذا مرّت ساعة يمكن التوبة فيها فلا تحمله على ذلك الذنب ولا تره به ، وإذا صلى إماما صليت معه ، ولا تتخلق بعكس أخلاق الله تعالى وتجعل السيئات يذهبن الحسنات ..

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق والأعمال لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت يا أرحم الراحمين ..

ومما أورد رضى الله تعالى عنه من الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إياكم والظنّ فان الظنّ أكذب الحديث » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال « يا عائشة لا تأكلى الطين فان الله خلق آدم من الطين فحرّم الطين على ذريته » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « من مات وفى بطنه مثقال حبة خردل من طين كبه الله فى نار جهنم على وجهه » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « لا يغتسل أحدكم فى الماء الدائم وهو جنب » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « من بنى فوق عشرة أذرع ناداه ملك إلى أين يا عدو الله » ورأى صلى الله عليه وآله وسلم رجلا يصلى وثيابه مسبلة ، فأمره أن يعيد الوضوء والصلاة فصلى على ذلك الحال وجاء إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فأمره أن يعيد الوضوء والصلاة فقال له رجل : يا رسول الله رأيتك أمرته بإعادة الوضوء والصلاة مرتين ، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم « إنه صلى مسبلا ولا يقبل الله صلاة مسبل » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال « ائتزروا كما تأتزر الملائكة عند ربّ العالمين ، قالوا : كيف تأتزر الملائكة عند ربّ العالمين ؛ قال : إلى أنصاف سوقها » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « من أرخى سراويله حتى تدخل تحت قدميه فقد عصى الله ورسوله ، ومن عصى الله ورسوله فله نار

جهنم » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « يا سعد ابن زرارة لا تسبل إزارك فإن الله لا يحب المسبلين » وعن عبدالله بن عمر قال « رآني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإزاري مسبل فقال : من هذا ؟ قلت : عبد الله ، قال : إن كنت عبد الله فارفع إزارك » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « إذا وُقع في رجل وأنت في ملإ فكن للرجل ناصرا وللقوم زاجرا وقم عنهم » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « من اغتاب مسلما جاء يوم القيامة ولسانه معقود إلى قفاه لا يحله إلا عفو الله أو عفو من اغتابه » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « الغيبة أشد من ستة وثلاثين زنية في الإسلام » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « من غصب شبرا من الأرض طوقه الله يوم القيامة الى سبع أرضين» وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « أول من تسعر بهم النار ثلاثة : عالم ، وشهيد ، وغني » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « من شفع شفاعة فأهدى إليه هدية فقبلها فقد أتى باب عظيما من أبواب الربا » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إن الله نظيف يحبّ النظافة » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والموقدين عليها السرج » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « نظفوا أفنيتكم فإن اليهود لا تنظف أفنيتها » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « أيما امرأة تطيبت ثم خرجت فهي زانية » ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « أن يجصص القبر وأن يبنى عليه وأن يكتب عليه وأن يوطأ » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « إن الميت يسمع

الأذان والإقامة والسلام من المسلم عليه ما لم يطين عليه القبر فلا تطينوا قبور موتاكم » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « كسر عظم المؤمن ميتا ككسره حيا » .

وقال رضى الله تعالى عنه : قال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ المراد العلماء بالله تعالى ، لأن من علم به تعالى خشيه ، ألا ترى أن العالم بالحية أن فيها سما قاتلا يخشاها ويخاف منها ، والذى لا يعلم كالصبىّ يميل إليها ويأنس بها ويعجبه ما عليها من النقوش والصفاء فيباشرها بيده ولا يخافها ولا يخشاها لأنه لا يعلم أن هناك سما ، فقول الله سبحانه وتعالى فى ابن أم مكتوم : ﴿ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ وهو يخشى ﴾ فشهادة الله له بالخشية عين شهادته له بالعلم ، وشهادة الله مستمرة لأن علمه تعالى بما سيأتى كعلمه فى الحال ، فالخشية فى ابن أم مكتوم بشهادة الله تعالى مطلقة ماضيا وحالا واستقبالا ، ولهذا خلفه النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فى المدينة فى أكثر غزواته لعلمه بالله تعالى .

وسئل رضى الله تعالى عنه : عن قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

فأجاب : بأن الظن يحصل للإنسان من قبل نفسه فيصدقه عليه الشيطان، ولذا قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ ﴾ أى إبليس لا يجىء للإنسان بالوساوس إلا بعد أن يؤتى من قبل نفسه فيلقى إبليس المجال وليس أنه لولا إبليس ما عصى الله تعالى ، فان إبليس عصى من قبل نفسه وليس له شيطان ، وهو أيضا يخطب على منبر فى النار بما حكى الله تعالى

عنه فى القــرآن : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ﴾ وهذا الظنّ وقع فيه الناس إلا من عصمه الله تعالى .. ولذا قال تعالى : ﴿ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ يعنى لا المؤمنون جميعهم بل فريق .. نسأل الله العافية والسلامة . فانك ترى أنك لولا سعيك فى الرزق لما أكلت ولا اكتسبت وهذا ظنّ اتبعته ورميت اليقين وهو قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ ، وقال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ وهذا وإن كان فى بنى إسرائيل فهو عام ، لأن القرآن أنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليتخلق به هو وأمته ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ ﴾ أى لهم ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ أتى بقوله « الله يرزقها » بإضافة الرزق إليها ثم عطف بقوله « وإياكم » تنكيتا لابن آدم لو فهم أن الدابة لما لم تحمل رزقها ابتدأناها بالرزق كما قدمناها فى اللفظ بقولنا الله يرزقها ، وابن آدم لما كان له سعى فى رزقه أخرناه فى الرزق كما أخرنا لفظه بقولنا وإياكم ، فهذا هو ظنّ من قبل نفس الإنسان ، فلما القى إبليس المجال بهذا الظنّ صدقه فصار الإنسان عازما جازما بأنه لو لم يسع لما رزق أصلا ، كذلك العلم ظنّ الإنسان من قبل نفسه أن العلم هو ما عليه الناس الآن مكبون كالمنطق والتعمق فى النحو والصرف وعلم الأصول فصدقه عليهم

إبليس وصاروا عازمين جازمين بأن ذلك هو العلم لا علم غيره ، ثم يصدّق الرجل قول الرجل إذا نقله له عن صاحب مذهبه ويعلم أنه صادق لا ريب فيه فيحكم به وهو يعلم علما يقينا أن الشاهد الواحد لا تقبل شهادته حتى ينضم إليه آخر أو امرأتان فيرمى هذا اليقين الذى هو من قبل الله تعالى ثم يعمل بظنه الذى حصل عن إخبار المخبر له بأن صاحب مذهبه قال كذا فيصدقه عليه إبليس ويرى أن ذلك هو الحقّ .

إذا قالت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذام

ثم قد يكون كلام إمامه معارضا لكتاب الله تعالى أو لسنة رسوله اللذين جميع الأمة متلقية لهما بالقبول عن النقل الصحيح الذى لا يشك فى صحة نقلهما من له أدنى مسكة بالإسلام ، فإن وجد تأويلا قطر كتاب الله وسنة رسوله إلى قول إمامه ، وإن لم يجد تأويلا رماهما وعمل بقول إمامه ، ويقول : لو كان هذا الحديث صحيحا لعلمه إمامى ، فهذا معنى : « ولقد صدق عليهم إبليس ظنه » وإضافة الظنّ إلى إبليس لكونه كان بسببه المجال لإبليس فى كونه صدقه عليهم ، وإلا فالظنّ والتصديق منه ، لكن لما صار التصديق له صار الظنّ داخلا تحته فانقلب الظن له وصار الظن والتصديق كلهما له .. اللهمّ أعذنا من الشيطان حتى لا يكون له علينا سلطان ..

وروى ابن ماجه أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال « عليكم بالبغيض النافع التلبينة ، فوالذى نفسى بيده إنه ليغسل بطن أحدكم كما يغسل أحدكم الوسخ عن وجهه » .. وروى أحمد والبخارى ومسلم أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : « التلبينة مجمة لفؤاد المريض تذهب ببعض الحزن » انتهى .



وقال رضى الله تعالى عنه : ما أعظم غلطة غلطها الزمخشرى فى تفسير قول الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ فجعل هذا دليل أن جبريل عليه السلام أفضل من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن أين له دليل فى هذا اللفظ على أنه أفضل منه ولم ينظر فى ليلة الإسراء حين وصل جبريل عليه السلام إلى سدرة المنتهى ووقف فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « أتتركنى فى هذا الموضع وحدى فقال : ﴿ وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ ولو جاوزت قدر أنملة لاحترقت » فهذا محل الاستنباط بأن مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعلى لأنه رقى حتى سمع صريف القلم فى اللوح إلى محل لا ينتهى إليه أحد . وأما قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما رأى الرفرف هو وجبريل عليه السلام قال « أما جبريل فغشى عليه ، وأما أنا فلم يغش علىّ ، قال : فكان جبريل أعلى منى » فلا يدل هذا على الإطلاق أنه أعلم منه ، بل فى ذلك الشيء بخصوصه فلا يضرّ السلطان أن يكون الخياط أعلم منه بالخياطة ، وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم « لا تفضلونى على يونس بن متى ولا تفضلونى على موسى » فذلك وقع منه صلى الله عليه وآله وسلم فى مقام افتخار ، كانت اليهود تقول : لا أفضل من موسى افتخارا منهم ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم فى هذا المقام « لا تفضلونى على موسى » . وأما يونس فإنه لما وقعت مذاكرة فى موقف ابن دقيق العيد فى التوحيد سألوه ما الدليل على أن الله سبحانه وتعالى لا يتحيز فقال قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا تفضلونى على يونس بن متى » فقالوا من أين يكون الدليل فى هذا ؟ فقال : لا أقول لكم

حتى تقضوا دين هذا الرجل وهناك رجل عليه دين ، فكل واحد منهم قضى عنه بعضا من دينه حتى قضوه كله ، فقال : وجه الاستنباط منه أن قوله صلى الله عليه وآله وسلم « لا تفضلوني على يونس بن متى » أي في القرب من الله تعالى فإن قربي ليلة أسرى بي وأنا في الأفق الأعلى وكنت قاب قوسين أو أدنى كقرب يونس بن متى منه وهو في بطن الحوت في قعر البحر، ولما كان المقام مقام التحدّث بنعمة الله تعالى قال صلى الله عليه وآله وسلم « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » ا هـ ..

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « الزهد في الدنيا أن تحب ما يحبّ خالقك ، وأن تبغض ما يبغض خالقك ، وأن تتحرّج من حلال الدنيا كما تتحرج من حرامها ، فإن حلالها حساب وحرامها عقاب ، وأن ترحم جميع المسلمين كما ترحم نفسك ، وأن تتحرج عن الكلام فيما لا يعنيك كما تتحرّج من الحرام ، وأن تتحرج من كثرة الأكل كما تتحرج من الميتة التي قد اشتد نتنها ، وأن تتحرج من حطام الدنيا وزينتها كما تتحرج من النار. وأن تقصر أملك في الدنيا فهذا هو الزهد في الدنيا » .

وعنه رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ما هو لك فهو آتيك على ضعفك ، وما ليس لك فلن تدركه بقوّتك » وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من بنى بنيانا أو غرس غرسا بغير ظلم ولا اعتداء كان له أجره باقيا ما انتفع به أحد من خلق الله تعالى » .. وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ما آمن بي من بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع وهو يعلم » وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أيما قوم بات فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم



ذمة الله » وعنه قال : قال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « يارسول الله إنى سائلك عما فى الدنيا والآخرة ، قال له صلى الله عليه وآله وسلم : سل عما بدا لك ، قال : يا نبى الله أحبّ أن أكون أعلم الناس ، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم : اتق الله تكن أعلم الناس ، قال : أحبّ أن أكون أغنى الناس ، قال له صلى الله عليه وآله وسلم : كن قانعا تكن أغنى الناس ، قال : أحبّ أن أكون خير الناس ، قال له صلى الله عليه وآله وسلم : خير الناس من ينفع الناس فكن نافعا لهم ، قال : أحبّ أن أكون أعدل الناس ، قال له صلى الله عليه وآله وسلم : أحبّ للناس ما تحبّ لنفسك تكن أعدل الناس ، قال : أحبّ أن أكون أخصّ الناس ، قال له صلى الله عليه وآله وسلم : أكثر ذكر الله تكن أخصّ العباد إلى الله تعالى ، قال : أحبّ أن أكون من المحسنين ، قال له صلى الله عليه وآله وسلم : اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك تكن من المحسنين ، قال :أحبّ أن يكمل إيمانى ، قال له صلى الله عليه وآله وسلم : حسن خلقك مع الناس يكمل إيمانك ، قال : أحبّ أن أكون من المطيعين ، قال له صلى الله عليه وآله وسلم : أدّ فرائض الله تكن مطيعا ، قال : أحبّ أن ألقى الله نقيا من الذنوب ، قال له صلى الله عليه وآله وسلم : اغتسل من الجنابة متطهرا تلق الله وما عليك ذنب ، قال : أحبّ أن أحشر فى النور ، قال له صلى الله عليه وآله وسلم : لا تظلم أحدا تحشر فى النور يوم القيامة ، قال : أحبّ أن يرحمنى الله ، قال له صلى الله عليه وآله وسلم ارحم نفسك وارحم خلق الله يرحمك الله ، قال : أحبّ أن تقل ذنوبى ، قال له صلى الله عليه وآله وسلم : استغفر الله تقلّ ذنوبك ، قال : أحبّ أن يوسع على فى الرزق ، قال له صلى الله عليه وآله

وسلم : دم على الطهارة يوسع عليك فى الرزق ، قال : أحبّ أن أكون أكرم الناس ، قال له صلى الله عليه وآله وسلم : لا تشك الله إلى الخلق تكن أكرم الناس ، قال : أحبّ أن أكون من أحباء الله وأحباء رسوله ، قال له صلى الله عليه وآله وسلم : أحبّ ما أحبّ الله ورسوله وأبغض ما أبغض الله ورسوله تكن من أحباء الله وأحباء رسوله ، قال : أحبّ أن أكون آمنا من سخط الله ، قال له صلى الله عليه وآله وسلم : لا تغضب على أحد تأمن من غضبه وسخطه ، قال : أحبّ أن يستر الله عيوبى ، قال له صلى الله عليه وآله وسلم : استر عيوب إخوانك يستر الله عيوبك ، قال : فما الذى يمحو الخطايا ؟ قال له صلى الله عليه وآله وسلم : الدموع والخضوع والأمراض ، قال : فأىّ حسنة أفضل عند الله ؟ قال له صلى الله عليه وآله وسلم : حسن الخلق والتواضع والصبر على البلية والرضا بالقضاء ، قال : فأىّ سيئة أعظم عند الله ، قال له صلى الله عليه وآله وسلم : سوء الخلق والشحّ المطاع ، قال : فما الذى يسكن غضب الرحمن؟ قال له صلى الله عليه وآله وسلم : إخفاء الصدقة وصلة الرحم ، قال : فما يطفىء نار جهنم ؟ قال له صلى الله عليه وآله وسلم : الصوم » اهـ .

وقال رضى الله عنه : قال سيدنا ومولانا رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم « والذى بعثنى بالحقّ بشيرا لتفترقنّ أمتى على أهل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة تدعو إلى النار ، فإذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله ، فان فيه نبأ ماقبلكم ونبأ ما يأتى بعدكم والحكم فيما بينكم ، من خالفه من الجبابرة قصمه الله ، ومن ابتغى العلم فى غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ونوره المبين وشفاعته النافعة ، عصمة لمن

تمسك به ونجاة لمن تبعه ولا يعوجّ فيقام ولا يزيغ فيشعب ولا تنقضى عجائبه ولا يخلقه كثرة الرد ، هو الذى سمعته الجن فلم تنته أن ولوا إلى قومهم منذرين ، قالوا يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن تمسك به هدى إلى صراط مستقيم » ..

وصلى الله على مولانا سيدنا محمد وعلى آله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله .. ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلىّ العظيم ..





الفهـــرس





رقم الإيداع
١٥١١٦ ـ ٢٠٠٦

الترقيم الدولي

I.S.B.N.
977- 418 - 007 - 0

الناشر
دار جوامع الكلم

١٧ شارع الشيخ صالح الجعفرى
الدراسة - القاهرة ت : ٥٨٩٨٠٢٩